رحلات في القارة الإفريقية:

من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي

رحلة في أقصى غرب إفريقية وحديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ح محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

من غينيا الإستوائيـة إلـى سـاو تومي . -
الرياض ، ١٤٢٤هـ
٢٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٧ - ٧١٦ - ١٠ - ٩٩٦٠
١- غينيا - وصف ورحلات
٢- الإسلام - غينيا أ- العنوان

ديوي ٩١٦,٦٦٥٢٠٤ ١٤٢٤/٤٦٧٢

رقم الايداع ١٤٢٤/٤٦٧٢
ردمك ٧-٧١٦-١٠-٩٩٦٠

جمهورية غينا الاستوائية هي الغينية التي بقيت من غينيات إفريقية لم أزرها من قبل وقد زرت (غينيا كونكري) و(غينيا بيساو) وذكرت ذلك فـــي كـــتاب (من غينيا بيساو إلى غينيا كونكري) المطبوع. والمؤمل أن أزور بعـــد غينيا الاستوائية هذه دولة (ساو تومي) التي تقع في المحيط الأطلسي قبالة ساحل الكاميرون.

ولا أدري كـــيف اقـــترن اسم غينيا بصعوبة الوصول إليه فغينيات إفريقـــية، وأرجـــو ألا يزل لسان القارئ أو فهمه أو حتى عينه فيقرأها (غانـــيات) إفريقـــية، سبق أن قطعت لها أو لأكثرها تذاكر في جملة من الـــبلدان الإفريقية التي كنت قررت زيارتها، وحتى هذه الاستوائية التي كانـــت تسمى في زمن الاستعمار: غينيا الاستوائية، أزمعت السفر إليها مرتيـــن آخرهما كانت عندما وصلت إلى جارتها (ليبرفيل) عاصمة دولة القـــابون، وذلك في مرور كان المقصود منه زيارة (أنقولا)، ومن لواندا عاصـــمة أنقولا سافرت إلى مدينة (ابرازافيل) عاصمة دولة الكنغو، ولم أستطع أن أنفق وقتاً في الذهاب إلى غينيا الاستوائية، حيث لم أجد طيراناً مناســـباً مباشراً لها من أنقولا، أوطيراناً مناسباً منها إلى غينيا كونكري التي كانت الهدف التالي للرحلة.

كما أن (غينيا الآسيوية) التي كانت مستعمرة بريطانية باسم (غينيا الجديـــدة الشرقية) ثم صار اسمها بعد الاستقلال (بابوانيو غني) أي بابوا وغينيا الجديدة، قد أزمعت السفر إليها مرتين إحداهما عندما زرت جزائر جنوب المحيط الهادئ ووضعت زيارتها في برنامج الرحلة، ولكن الوقت لـــم يسعفني بزيارتها لأنها كانت في آخر البرنامج والثانية كانت في عام ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م ميلادية عندما اشتريت التذاكر لزيارتها من الرياض، وطلبـــت مـــن سفيرنا في كانبرا عاصمة استراليا بعد أن وصلنا إليها أن

يحصل لنا على سمة دخول غينيا الجديدة فذكر أنه اتصل بالمندوب السامي لها في استراليا وأنه أفاد أن أمثالنا لا يحتاجون إلى الحصول على سمة دخول مسبقة، وإنما يمكن أن يحصلوا عليها من المطار أسوة ببقية السياح.

ولكننا عندما أردنا السفر إليها من مدينة (هونيارا) عاصمة جزر سليمان الواقعة في جنوب المحيط الهادئ أنزلوا أمتعتنا من الطائرة بعد أن كانوا رفعوها إليها وأعادوا إلينا تذاكرنا بحجة أننا لا نحمل سمة دخول إلى (غينيا الجديدة) هذه، وأن المدينة التي ستنزل فيها هذه الطائرة ليست مدينة (بورت مورزبي) العاصمة التي لدى مطارها صلاحية منح سمات الدخول للسياح، وأنه ليس بإمكاننا الحصول على سمة الدخول منها وهي مدينة (كيبتا) لذا فإنهم سوف يعيدوننا بالطائرة إلى هونيارا، ولا تقبل الشركة ذلك فعدنا من مطار هونيارا آسفين إلى المدينة، ولبثنا فيها يوماً واحداً سافرنا بعده إلى مدينة بريزبن عاصمة ولاية كوينزلاند في أستراليا.

ولم أزر هذه الغينية الاستوائية حتى الآن[1].

وهناك غينية أخرى شقيقة لهذه الاستوائية، وإن كان اسمها قد تغير ففارقته غينيته، إلا أنه لا يزال باقياً في بطون الكتب وذاكرة المسنين وهي غينيا الجديدة الهولندية التي كانت مستعمرة هولندية، وعندما انسحبت هولندا من إندونيسيا وكانت تستعمرها أيضاً انضمت إلى إندونيسيا فأسماها الإندونيسيون (ايريان الغربية) وقد حاولت عدة مرات أن أزورها عندما كنت زائراً إلى إندونيسيا أو ماراً بها، ولكن لم تتيسر

---

(1) زار المؤلف بعد ذلك (غينيا الآسيوية) وهي (بابوا نيوغني) وكتب عنها كتاباً قائماً برأسه عنوانه (غينيا الجديدة: آخر الغينيات زيارة).

زيارتهـــا حتى الآن، ونسأل الله أن ييسر ذلك، وكنت حريصاً على زيارتها، لأن فـــيها حـــركة إسلامية ناشئة، بعد أن كانت مقفرة من الدين الإسلامي، ويحـــتاج الإخـــوة المســـلمون فيها إلى زيارة يتبعها دعم من رابطة العالم الإســـلامي لمؤسساتهم الإسلامية، وتخصيص منح دراسية لأبنائهم، والمراد بهـــم المســـلمون الأصلاء من أهل البلاد بالدرجة الأولى، وهم غير الإخوة الإندونيسيين الذين لهم قدم راسخة في الإسلام كما هو معروف.

يوم السبت ١١/١١/١٤١٦هـ- ٣٠/٣/١٩٩٦م:

من دوالا إلى مالابو:

ذكرت في كتاب (العودة إلى غرب إفريقية) أنني كنت في السنغال لحضور اجتماع لجنة الإعلام والثقافة المنبثقة من منظمة المؤتمر الإسلامي ويرأسها الرئيس عبده جوف رئيس جمهورية السنغال، وأنني انتهزت الفرصة لزيارة القطرين الباقيين في القارة الإفريقية اللذين لم أزرهما من قبل وهما غينيا الاستوائية، وساو تومي، ولذلك سافرنا من داكار إلى غينيا الاستوائية عبر مدينة (دوالا) المدينة الرئيسية في الكاميرون وكان يرافقني في هذه الرحلة لجمهورية غينيا الاستوائية وساو تومي صديقي السفير عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي الإقليمي لغرب إفريقية، ومقره في داكار.

وفي هذا اليوم أقلعنا على طائرة نفاثة صغيرة روسية الصنع من مطار دوالا في البر الإفريقي قاصدين مطار (مالابو) في جزيرة قبالة ساحل المحيط الأطلسي: هي جزء من أرض، غينيا الاستوائية وإن كانت واقعة في المحيط الأطلسي بخلاف سائر أرض غينيا الاستوائية التي هي واقعة في البر الإفريقي الرئيسي، وسوف أزور الجزيرة والأرض الإفريقية الغينية في هذه الرحلة بإذن الله.

معلومات عن جمهورية غينيا الاستوائية

الاسم الرسمي للدولة: جمهورية غينيا الاستوائية.

الموقـــع: تقـــع فـــي أقصى غرب إفريقية على ساحل المحيط الأطلسي ويحدها من الشمال الكاميرون ومن الشرق والجنوب الجابون.

المساحة: ٢٨٠٥٠ كم٢.

العاصمة: مالابو.

عدد السكان: ٣٧٩٠٠٠ حسب إحصاء ١٩٩٣م.

الطقس: استوائي حار ورطب.

الديانة: كاثوليك ٨٢./. ديانات أخرى ١٨./..

اللغة الرئيسية: فانج ٧٥./.، لهجة إنجليزية.

اللغة الرسمية: الإسبانية.

الاســتقلال: اســتقلت عن إسبانيا في ١٢ أكتوبر ١٩٦٨م (الاسم السابق غينيا الإسبانية).

النظام القضائي: مبني على النظام القضائي الإسباني والعادات القبلية.

الاقتصاد: يعتمد على الزراعة.

أهم المواني: مالابو، وباتا.

عدد المطارات: ٣.

العملة: فرنك غرب إفريقية (سيفا).

التوقيت: جرينتش +١.


غينيا الاستوائية
الكاميرون
مونغومو
إيفينايونغ
الغابون

مطار مالابو:

رأينا مدينة (مالابو) على البعد واقعة بين الجبل الأخضر والمحيط الأزرق، وقـد ظهرت مبانيها التي يغلب عليها البياض كأنما هي جديدة قشيبة، إلا أنه تبين بعد ذلك أن الأمر ليس كذلك كما سيأتي.

ومـن العجيب أن المرء يرى المدينة منفردة ليس بقربها فضلاً عـن أن يكـون حولها أو حتى بعيداً منها مدن ظاهرة، وإنما كل الأبنية الظاهرة هي التي تؤلف هذه المدينة الوحيدة.

وبعـد مضي عشرين دقيقة من الطيران النفاث هبطت الطائرة في مطـار (مـالابو) بسرعة لأنها سريعة الطيران، ولم تحوم حول المدينة لكونها كانت قد تدنت وهي فوق مياه البحر.

كان المدرج الوحيد في المطار ضيقاً إلا أنه طويل محاط بأعشاب وحشية وهي البرية التي لم تغرس خيل إليَّ أول ما رأيتها أنها حقول من قصـب السكر أو من نبات الذرة ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك، وأنها كثـيرة فـي الجزيرة، وليس فيها ما يصلح أن يأكله الإنسان أو يشربه، وخلف هذا النبات الوحشي كانت توجد أشجار الموز والنارجيل.

وقفـت الطائرة في ساحة وقوف ضيقة، ومع ذلك كانت فيها عدة طائرات صغيرة.

والمفاجـأ لـنا لكونه غير معروف ولا مسبوق لي أنا الذي خبرت العـالم إلاَّ في مكان واحد أن وجدنا موظف الجوازات عند سلم الطائرة فطلـب منا جوازاتنا وأخذها معه، فسرنا خلفه مع بقية الركاب إلى مبنى المطـار الـذي وجدناه صغيراً حقيراً، أما صغره فظاهر، وأما حقارته،

فلكونـــه يـــبدو مهملاً غير معتنى به، حتى لا يوجد فيه إلاّ مكتب واحد للجــوازات لــيس فيه أثاث، لذلك ذهب الضابط بنا إلى ضابط أكبر منه جالس في غرفة ضيقة جداً على مكتب صغير.

سألنا الضابط عما إذا كنا نحمل سمة دخول، وهو يعلم أن ذلك غير ممكن لقلة الممثلين لبلاده في البلدان الأخرى، ومن ذلك مدينة داكار التي قدمـــنا منها حيث كنت طلبت من سفارتنا هناك أن تبحث لنا عن ممثلية لهذه البلاد (غينيا الاستوائية) وجمهورية (ساو تومي) فذكرت السفارة أنه لا يوجد لها أي ممثلية في داكار، وأنهم سألوا وزارة الخارجية السنغالية فـــأكدت لهـــم ذلك أيضاً، وقالت السفارة: إننا من باب الاحتياط سنرسل برقـــية لحكومـــة غينـــيا الاستوائية وأخرى لحكومة ساو تومي نخبرهم بقدومك ومرافقك الشيخ الدكوري، وقد فعلت، إلا أننا لم نحتج إليها هنا إذ قـــال الضـــابط سنعطيكم (الفيزا) من هنا فأعطونا كذا فرنكات، فقال له الدكـــوري: نحن دبلوماسيون، فقال: صحيح، وختم على جوازاتنا بسمة الدخول، قال الشيخ الدكوري ذلك لأن جوازه (دبلوماسي) كجوازي وهو صادر من جمهورية (مالي) بلده.

انصــــرفنا من عنده وإذا بحقيبتينا ليس معهما غيرهما فوق منصة اسمنتية صغيرة، وعندهما موظفة، قالت: افتحوا، قلنا: (دبلوماتك)، وهنا حضر عسكريان أحدهما ضابط، وكان في القاعة الصغيرة رجال ونساء لا أدري عملهم، وبعد جدال أصروا على فتحهما، مع أن الشيخ الدكوري احـــتد، وقال: أنتم تعرفون أن الدبلوماسيين لا تفتح حقائبهم، أما أنا فإنني أعرف أن حامل الجواز (الدبلوماسي) إذا وصل إلى بلد لا يعمل فيه فإنه يجـــوز للسلطات المختصة فتح أمتعته، وإن كانت المجاملة تقتضي عدم

فـــتحها، أمـــا إذا كان يعمل في البلد نفسه، فإنه لا يجوز فتح حقيبته إلا بحضور لجنة من سفارة بلاده ووزارة خارجية البلد الذي يعمل فيه إن لم يطلب حضور موظف من المحكمة فيها.

قلـــت للضـــابط بلطف: لماذا تفتحون حقائبنا؟ فقال: نفتحها من أجل الأمن لأنه ليس لدينا فاحص كهربائي يرينا ما بداخل الحقيقة، ففتحوا حقيبة الشـــيخ الدكـــوري أولاً، ولم يجدوا فيها شيئاً مهماً وفتحوا حقيبتي بعد ذلك ولـــم يجـــدوا شـــيئاً يهمهم إلا أنهم رأوا علبة فيها أقط وهو اللبن المطبوخ المجفف نأكله في السفر، فسألوني عنه فقلت لهم خذوه لكم فتركوه.

ولـــم يفـــتحوا أي حقيـــبة يدوية مما يدل على أنهم- كما يقولون- يخشـــون مـــن دخول أسلحة ونحوها ولا يخشون من غيرها، لأن النقود والأشياء الثمينة تكون عادة في الحقائب الصغيرة.

عندما كانوا يفتحون حقيبتي تذكرت أنني مررت بجميع دول العالم صـــغيرها وكبيرها، قاصيها ودانيها ولم تفتح في أي مطار في العالم ولا محطـــة للحـــافلات أو للقطارات، إلا في مطار دويلة صغيرة لا قدر لها وهي (سلمون آيلندز) أي جزر سليمان الواقعة في جنوب المحيط الهادئ، وتبيـــن أنهـــم يفتحون الحقائب يبحثون فيها عن أشياء يأخذونها وبخاصة الطعـــام ونحوه، وقد أخذوا مني ومن رفيقي الشيخ محمد بن قعود آنذاك ولـــم يكن جوازه (دبلوماسياً) قليلاً من البسكويت وتفاحتين وقلماً رخيصاً زائداً، وكان ذلك منذ ١٤ عاماً أي عام ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م بالضبط، وقد ذكـــرت زيارتـــي لجزر سلمون تلك في كتاب: (جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ) المطبوع.

وشيء آخر ذكرته عندما حضر ضابط الجوازات إلى سلم الطائرة يتسلم جوازات الركاب، فقد ذكرت واقعة مشابهة في مرة واحدة في مكان ناءٍ عن هذه البلاد الإفريقية وهو مطار مدينة (تفليس) عاصمة جمهورية جورجـيا الواقعة في جبال (قبق) التي تسمى الآن بالقفقاس أو القوقاز، فعندما وقفت الطائرة بعد هبوطها في المطار صعد إليها ضابطان معهما ختم فوقفا عند مدخلها في نهاية السلم وجعلا يختمان جوازات المسافرين القادميـن، ومـن بينها جوازاتنا وكنا حصلنا على سمة دخول من سفارة جورجيا في موسكو، لأننا كنا قادمين من موسكو إلى تفليس، ونزلنا من سـلم الطائـرة، فرأيـنا ضابطين آخرين يطلعان على الختم الذي ختمه زمـيلاهما ثم يتركان المسافر إلى حال سبيله، وقد غادرنا المطار بالفعل دون أن نمـر بـأي مكتـب للجوازات أو غيرها، بل من ساحة وقوف الطائرة إلى مدينة تفليس رأساً.

ونعـود إلى الحديث عن قاعة الوصول في مطار (مالابو) فنقول: إنهـا لا تتعدى أربعة أمتار في خمسة، وصغرها ليس بعيب عندنا، ربما لكون أهلها ليست لديهم إمكانات لبناء قاعة كبيرة، وإنما العيب أنها غير نظـيفة، ومـن ذلـك وجود حشرة كبيرة ميتة فيها ووجود صندوق من الورق المقوى (الكرتون) قد تآكل نصفه الأعلى فأصبح يجب وضعه مع النفايات، وقد جعلوه مجمعاً للنفاية على حالته تلك.

وعـندما خرجنا من باب الجمرك كنا نطأ أرضاً مكشوفة فيها قليل من الوحل بعد مطر كان نزل البارحة، كما أخبرونا، وليس لها رصيف أو رواق ولا فـي أرضها زفت، وهي بخلاف المدخل الرئيسي للمطار، فهو مرصوف وفوقه مظلة مناسبة.

وكـــان رجل موجوداً معنا في داخل الغرفة ظنناه أحد الموظفين، فحمل حقائبنا، وقال أنا سائق (تاكسي) وقرب سيارته وهي ليست في لون سيارات الأجرة، وقال: الأجرة ثلاثة آلاف فرنك إلى قلب المدينة، وكانت امـــرأة قد قالت للشيخ الدكوري: إن الأجرة ألفان ونصف من الفرنكات الإفريقـــية الغربـــية (السيفا) فهي العملة المستعملة في هذه البلاد الغينية الاستوائية، وليست لهم عملة وطنية محلية.

سار السائق بسيارته فزجاجها الأمامي مكسور كسراً مضاعفاً وقد حـــاول جـــبره بوضـــع غراء لاصق على أمكنة الكسر فزادت ظهوره وكثافته، وذكرت بذلك سيارات الأجرة في روسيا حيث قل أن تجد منها سيارة ذات زجاج سليم.

وســـلك طـــريقاً بيـــن المطـــار والمدينة جيداً مزدوجاً بين شقيه جزيرة غرســـت فـــيها زهور حمر غير مألوفة لنا، وقد تفاءلت بذلك بأن تكون البلدة جـــيدة مـــثل هذا الطريق غير أنه تبين أنه الطريق الوحيد الجيد فيها، والمراد بـــالجودة هـــنا أن يكـــون الزفـــت فيه معتاداً غير متكسر ولا منحفر، وقابلتنا ســـيارة مـــنفردة فذكـــر السائق أنها سيارة زوجة الرئيس وأن الزوجة تسوقها بنفســـها والســـيارة معتادة، كما مررنا ببيت معتاد المظهر منفرد لكون البيوت ليست متصلة ما بين المدينة والمطار ذكر السائق أنه بيت نائب الرئيس.

أمـــا الســـائق فـــإن مظهـــره مثل مظهر سيارته لا يدل على وجاهة المـــنظر، أو عـــراقة المحتد، ومع ذلك تبين مع تكرر معاملته أنه غير ذلك فهـــو ذكـــي ولبق، وذو معاملة كريمة، فقد استمر معنا فحمدنا سيرته وعدم مشاكسته، بل إنه ساعدنا في بعض الأمور المتعلقة بحجز التذاكر وغيرها.

ومـــن حســـن تصرفه أننا ونحن ذاهبون للمدينة نبحث عن فندق،

وليس لدينا اسم فندق معين قال لنا: ينبغي أن تروا الفندق وتعرفوا أجرته فإذا لم يعجبكم ذهبنا إلى غيره، ولم يقل: أعطوني أجرة، لأنه يعرف أن من حقه ذلك وأننا لن نبخسه حقه.

وقفنا عند فندق جيد المظهر فأراد الشيخ الدكوري أن يذهب مع السائق ليسأل عن وجود غرف فيه وكنت راكباً في المقعد الأمامي من السيارة جوار السائق، وهو في المقعد الخلفي فلم يستطع، أن يفتح باباً من بابي السيارة وحاول السائق أن يفتح الباب فلم يستطع فانتقل الشيخ الدكوري إلى الأمام بخفيه وثيابه الفضفاضة حتى استطاع النزول من السيارة.

ويقع هذا الفندق في حاشية المدينة مما يلي المطار، ويبعد عنه تسعة كيلات واسمه فندق أوريكا لم نجد فيه غرفاً خالية فانتقلنا إلى فندق آخر في المنطقة نفسها اسمه (امبالا) وهو أقل في المظهر من الفندق السابق فوجدنا فيه غرفة واحدة، وأهم من ذلك أننا وجدنا لأول مرة فيه أخاً مسلماً يبيع بضائع من التي يشتريها السياح من المصنوعات الخشبية التقليدية، ومن مشتقات العاج وقد عرفناه على البعد من قلنسوته (طاقيته) فذكر أن اسمه (عبدالله بابايو بن يحيى) وهو هوساوي نيجيري الأصل، ولا يزال يحمل الجنسية النيجيرية رغم كونه مولوداً في هذه البلاد، وكان مرآه ساراً لنا وفتحاً في إنقاذ الوقت لأنه أخبرنا بكثير مما نريده عن الإتصال بالإخوة المسلمين، بل وعدنا أن يتصل بهم ويحضر بهم إلينا في الفندق الذي نسكن فيه، وقد فعل.

وقال: يوجد فندق قريب من الجامع يمكنكم السكنى فيه، فقال السائق: ذاك لا يصلح لكم ليس فيه تكييف، وكان على حق، إذ ذهب بنا إلى فندق آخر في المدينة اسمه (كاندي) هوتيل، فنزلنا في غرفتين فيه

واســعتين كل غرفة فيها سرير عريض، ومكان متسع فيه مقاعد وجلسة جيدة فهي أشبه بالجناح إلا أنه لا يفصل بينها وبين السرير شيء.

والغــرف مكيفة والكهرباء قلما تنقطع كما أخبرونا غير أن الماء كان مقطوعاً وقد وضعوا أواني في الحمام مليئة بالماء، وعرفنا بعد ذلك أن الماء لا يصل إلى المنطقة إلا لأقل من ساعة في اليوم ويظل مقطوعاً لأكــثر مــن ٢٣ ساعة في اليوم، وذكروا لنا ونحن الآن قبيل الظهر أن الماء سيأتي في آخر الليل.

ومبــنى الفندق من طابق واحد شبيه بالأبنية الجيدة هنا المبنية من لبن الإسمنت ودعائمه مسقفة بالصفيح، وقد فوجئنا بوجود غرفة فيه، لأن الفنادق الجيدة هنا ثلاثة يعتبرون هذا أحدها، ومررنا باثنين لم نجد فيهما غــرفاً خالــية، وأجرة الغرفة الواحدة في (كاندي) هذا (١٧) ألف فرنك سيفا ويعادل ١٧٠ فرنكاً فرنسياً، أو ١٣٥ ريالاً سعودية.

اســترحنا قلــيلاً في الفندق الذي ليس فيه مطعم، ولا يوجد مطعم قريــب مــنه مع أنه في المدينة، فاستعضنا عن الغداء بتمرات معنا من نخــيلات لــي في بريدة وشاي صنعناه وحبات من الفول السوداني كان رفيقي الدكوري أحضرها معه من السنغال.

ثــم جاء عدد من كبار الإخوة المسلمين لزيارتنا بناء على إخبار الأخ (عــبدالله بابايو بن يحيى) وهم: حمزة إيجان أبيا فيش وهو مسلم جديد من الغينيــن الأصــلاء أهــل هذه البلاد، وهنا يطلق اسم غيني على المواطن الأصلي من دون أن يضيفوا اللفظ إلى إحدى الغينيات أو يعرّفوه، فكنا أول الأمر نظنهم يريدون النسبة إلى غينيا كونكري.

وهــذا الأخ المسلم شاب نبيه يعرف العربية والفرنسية والإسبانية

التي يتكلم بها عامة الناس في (مالابو) وهي مختلطة (كريول)، وليس له شـــغل، فنفعـــنا كثيراً، وجاءته معرفة العربية من دراسة له في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وإن كان لم يتم الدراسة فيها.

ســـألت الأخ حمـــزة عمـــا إذا كان أبوه مسلماً فنفى ذلك بشدة، وقال: معظم المسلمين من أهل غينيا الأصلاء أسلموا بأنفسهم بمعنى أن آباءهم غير مسلمين.

وحضـــر إمـــام المسلمين في (مالابو) حسين عبدالعزيز محمد عبدالله أصله مـــن إقليم ابَّشَا في شاد، وسكن في غينيا الاستوائية هذه منذ ٤٨ سنة، وكان غادر بلاده قبل ٧٢ سنة، وهذا ليس بعجيب لأن عمره الآن (٩٦) سنة.

هكـــذا قـــال الإخوة قبل أن نلقاه، وقاله لنا بعد أن لقيناه، ولا يزال صحيح البدن سليم الحواس، لا يظن من يراه إلا أنه ابن ٧٦.

وله من الولد ٨ ما بين ذكور وإناث، ولا يتقاضى راتباً من أحد على عمله الطويل في الإمامة، وإنما يعيش من أرض له زراعية ذكر أنه يزرع فـــيها الموز والأبوكافو ويجني من أشجار النارجيل جوز الهند، ومن الأنبة وهـــو المـــانجو ثمراً كثيراً ينتفع به، وقال ونزرع أيضاً (بانقو) وهو شبيه بالـــبطاطس إلا أنـــه يـــنمو كالعروق الغليظة، وذكروا أنه غير اليام، وأنهم يـــزرعون الـــيام أيضـــاً، واليام مثل الكسافا عروق تنمو داخل التربة يدقها الـــناس ويصـــنعون منها العصيدة وغيرها وهي غذاء شائع رخيص لسكان خـــط الاســـتواء علـــى مـــدار الأرض، وتبلغ مساحة أرضه الزراعية ٢٥ هكتاراً، كان اشتراها من الحكومة في القديم.



مع إمام المسلمين المسن حسين عبدالعزيز في مالابو

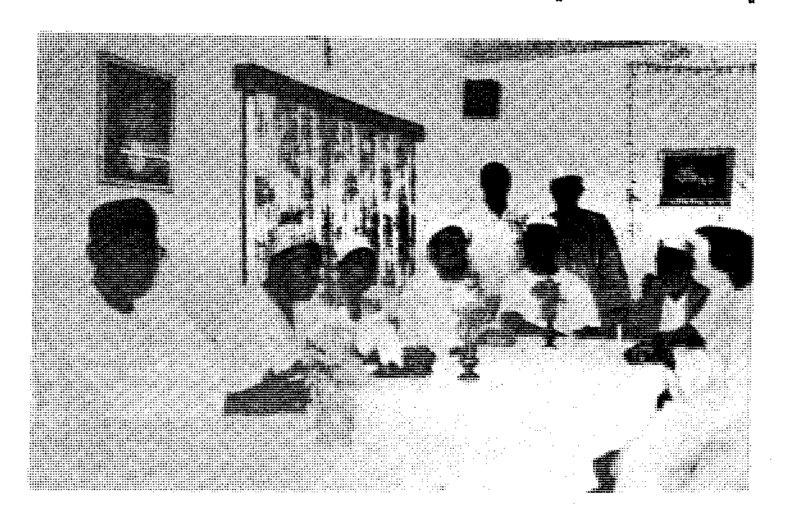
قـــال: والــزراعة هنا سهلة، لأن الزرع يشرب من ماء المطر، حيث ينزل المطـــر يومـــياً فـــي أكثر الأيام، وهو يعرف العربية جيداً ويتكلم بها بطلاقة لأن أهل تشاد وبخاصة أهل أبشا يعرفون العربية ويتخاطبون بها فيما بينهم.

والإمام حسين لا يزال يحمل الجنسية التشادية لم يغيرها إلى جنسية هـــذه البلاد لأنه لا يجد داعياً لذلك فإقامته ميسرة، ولا شيء يضايقه في بقائه (شادياً) وإلا فإنه يستحق الحصول على الجنسية الغينية الاستوائية.

وظنـــي أن كثيراً من الناس هنا ما بين مواطنين وغرباء لا يلقون بالاً للأمور الشكلية من جنسية وإقامة وإلا اضطروا إلى التجنس بجنسية البلاد أو رحلوا، لأنهم لا يملكون أموالاً يسخون بها للحصول على الإقامة، ويـــبدو الإمام في المظهر كأحد شيوخ التكارنة في مكة فلونه فاحم السواد،

وعليه قميص عربي وطاقية وشماغ أحمر.

وقـد حضـر أيضـاً الشـريف- هكذا كان ينعت نفسه دائماً حتى في الكـتابة- حسن بن عبدالعال نائب رئيس جمعية التضامن للدعوة الإسلامية في الكامـيرون التي هي جار كبير لهذه البلاد الغينية في أراضيها الواقعة في البر الإفريقـي، ولكـن الشـريف من بلدة بعيدة جداً عن الحدود وهي (كوسري) بكسـر الراء، وتقع على شاطئ نهر (شاري) الذي يفصل بين شاد والكاميرون فـي الشـمال الغربـي، ولا تبعد كثيراً عن مدينة (انجمينا) عاصمة شاد، وقد حضـر إلـى هـذه الـبلاد مـن أجل الدعوة إلى الله و هو خبير بها، عارف للعاملين في الحقل الإسلامي فيها، بل بالتطور الذي حصل فيها.



الجلسة مع المسلمين في فندق مالابو

والأخ صـالح ايـنو ذكروا أن (اينو) هذه في اسمه أصلها (عينه) العربية وهو من الكاميرون أيضاً ولذلك يعرف العربية جيداً مثل الشريف حسـن الـذي لا تشك إذا رأيته في أنه من شمال السودان أو من جنوب مصر، ويعمل صالح اينو هنا في التجارة.

والأخ بايورو وهذا هو اسمه واسم أسرته، فبا: اسم أسرته ويورو: اسمه الشخصي وهو من السنغال ويعمل خياطاً فنياً في هذه البلاد.

والأخ (محمد باري) من غينيا كونكري وعمله طباخ للأوروبيين، أي إنـــه يصـــنع الطعـــام الجيد النظيف للأوروبيين الذين لا يأكلون في مطاعم أهل البلاد.

والأخ الســـادس الـــذي معهم هو الذي أحضرهم وهو أخونا المسلم الـــذي ذكرنا قبل قليل أننا صادفناه في فندق إمبالا وهو (عبدالله بابايو بن يحـــيى) الهوساوي، وقد بكى عندما ورد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر المدينة المنورة.

كـــان وصـــول هؤلاء الإخوة الكرام إلينا في الرابعة عصراً، وقد جـــرت معهـــم أحاديث متفرقة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد سواء مـــنهم من كانوا من أهل البلاد الأصلاء، ومن هم من الطارئين الذين لا يحملون جنسيتها، وأكثرهم مضت عليه سنوات من الإقامة فيها.

وذكـــروا أن رئـــيس المسلمين من الناحية الرسمية هو الأخ الحاج أحمـــد أبـــا مـــن هوسا نيجيريا، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إليه الآن وسوف يقابلنا فيما بعد.

ولاحظت أن السكان الأصلاء المسلمين بزعامة الأخ حمزة ايجان يريدون أن يؤسسوا جمعية إسلامية وطنية يكون رئيسها أو الأمين العام فيها هو نفسه، مع أنه شاب فقير، ولكن السبب في ذلك هو عدم رضاهم عـــن الجمعية الإسلامية القديمة التي ذكروا أنها لا تعمل ما ينبغي عمله تجاه المسلمين، وقد تبين لنا صحة ذلك فيما بعد، كما ذكروا أشياء لا نعلم صـــحتها عـــن عدم معرفتهم بأوجه صرف بعض التبرعات القليلة التي كانت الجمعية قد حصلت عليها.



في مطعم فندق كاندي في مالابو

على يميني الشيخ حسين بن عبدالعزيز إمام المسلمين هنا

كـــان الاجتماع مفيداً لنا جداً، إذْ سمعنا فيه ما لم نسمع به من قبل عن أحوال المسلمين في هذه البلاد وعن أحوال البلاد وسكانها بعامة.

كمـــا عرفـــنا أموراً لم تذكرها التقارير والكتب المؤلفة في أحوال المسلمين لأن كاتبيها كانوا ينقلون عن غيرهم وبخاصة من الأوروبيين، الذين لم يكونوا كلهم يتناولون هذه الأمور بطريقة مجردة عن الهـــوى، أو عـــن العواطـــف والمؤثرات المتوارثة، إضافة إلى عدم قدرتهم على الـــنفاذ إلى أفكار المسلمين التي تحتاج إلى الاختلاط بهم وشعورهم بأن محدثهم يشاركهم العواطف.

وقد ذكرت ما يتعلق بالمسلمين هنا في فصل الإسلام من التعريف بغينيا الاستوائية.

مسجد وسط المدينة:

بعــد أن نفــد مــا عــند الإخوة هؤلاء من الحديث عن المسلمين وأوضــاعهم ضــربنا لهم موعداً قريباً لزيارة المسجدين الموجودين في مدينة (مالابو) في ضوء النهار.

تركــنا فندقنا الواقع في حي (بوليتو ميشا) الذي تغلق شارعه من جهة الشمال تلة خضراء بالغة الإخضرار مما حدا بي إلى التقاط صورة لها منه، وصادف ذلك مرور أطفال ثلاثة فطلبت من أحدهم أن يلتقط لي معهم صورة في شارع الفندق.



في شارع الفندق (فندق كاندي) في مالابو مع باعة من الأطفال

ولــم يكن مع أحد من المسلمين سيارة ولم يملكها فاستأجرنا سيارة أجرة بــ٣ آلاف فرنك (سيفا) في الساعة، وكان بأبها لا يفتح إلا بصعوبة ولا يفتح من الداخل، لذلك يسارع سائقها فيفتحه لنا عند النزول والصعود.

ولاحظــت أن الســيارة لــيس لها مفتاح فإذا أراد سائقها أن يدير

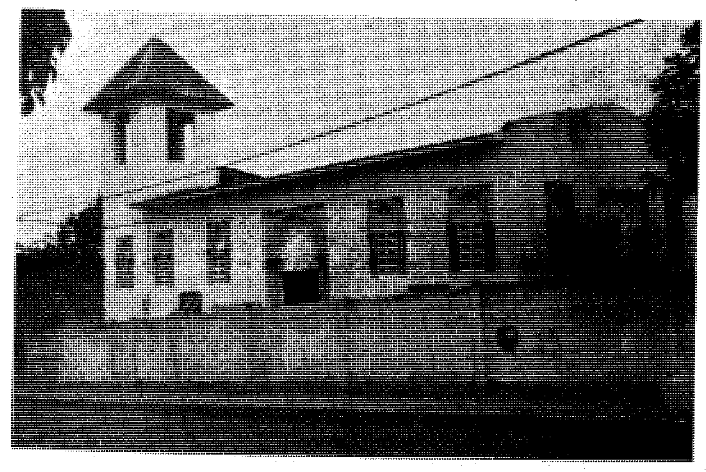
محـــركها أوصل بيده سلكين أحدهما بالآخر فاشتغلت، وإذا أراد الوقوف فصلهما بيده، ووجدناه مسلماٍ اسمه عبدالرزاق يقول: إنه من غانا.

ســـرنا مـــع شوارع المدينة فوجدناها جيدة في الأصل فهي واسعة ومســـتقيمة اســـتقامة عجيـــبة، رغم مظهرها الحالي، مما يدل على أن تخطيطها كان جيداً معتنى به، وذلك في زمن الاستعمار الإسباني.

ولاحظـــت من خلال رؤية الناس فيها أن البالغين من رجال ونساء ملابسهم نظيفة معتنى بها، وأما الأطفال فإنهم خلاف ذلك وأكثرهم ليس عليه إلا ما يستر العورة.

وكان يركب معنا الإمام حسين والأخ حمزة ايجان.

مسجد وسط مالابو:



مسجد وسط المدينة في مالابو

وليس هو بالمسجد القديم، ومع ذلك تقام فيه صلاة الجمعة وحده، لا تقام في غيره في المدينة.

وجدنـــا (مســـجد وسط مالابو) مبنياً من الأسمنت المسلح بطريقة معـــتادة ليس فيها من فن بناء المساجد أو هندستها شيء، ولا غرابة في

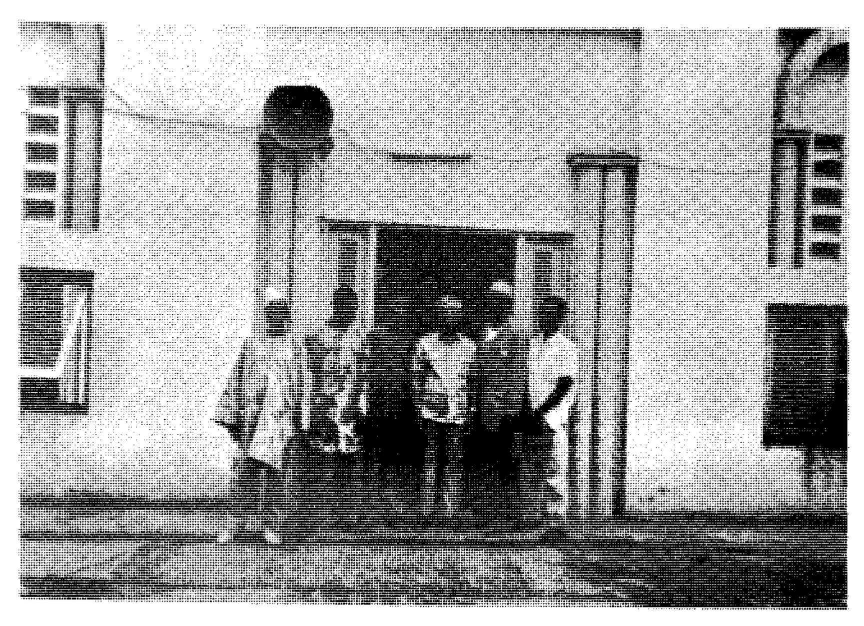
ذلك، لضعف حالة المسلمين في هذه البلاد وعدم اعتيادهم على بناء البيوت وفق هندسات معينة، وذكروا أنهم جمعوا مالاً فيما بينهم لم يساعدهم أحد من الخارج، وإنما كانت المبالغ الرئيسية من السنغاليين والماليين، وغيرهم من مسلمي إفريقية الغربية الذين أتوا إلى هذه البلاد من أجل التجارة أو الاسترزاق، ثم بدءوا بناء المسجد فعلم الليبيون بذلك، وكانت لهم سفارة في مالابو فأكملوا بناءه لهم تبرعاً.

ويعتبر مبنى المسجد جيداً بالنسبة إلى حالة الأبنية المجاورة، وإن كان الحي الذي يقع فيه المسجد ذا بيوت جيدة مبنية بلبن الأسمنت ومسقفة بأسنمة من الصفيح، وتوجد أبنية قليلة من طابقين بالأسمنت المسلح، وذلك لحداثة الحي النسبية، ولذلك كان الشارع الذي يقع عليه المسجد طويلاً مستقيماً، وقد التقطت فيه صورة تذكارية مع الشيخ الإمام حسين.

ولا ينبغي أن يسارع أحد من القراء الكرام فيظن أن إمامته كإمامة علماء الإسلام وأنها تعني إمامة المسلمين، وإنما هو يؤم الناس لصلاة الجمعة في هذا المسجد، ويؤمهم للصلوات اليومية في المسجد الآخر الذي سنزوره بعد هذا بإذن الله.

أجمل ما في المسجد أنه عالي السقف، ولذلك بدا فسيحاً عند النظر إليه، وقد أسس المسجد في عام ١٩٨٥م.

وجدنا فراش المسجد من البساط الردئ (الموكيت) الذي يبدو كما لو كان لا يلقى العناية، وهو في نظري غير لائق فقلت للإمام حسين والقوم يسمعون: إن هذا الفراش ردئ وغير مناسب للمسجد، فقال: كان فيه فراش جيد أخذه (النشالين) ثم قال: لقد سرقوا فراش المسجد، وقال الإخوة وهو يسمع: إن السارقين من غير المسلمين.



عند باب مسجد وسط المدينة في مالابو

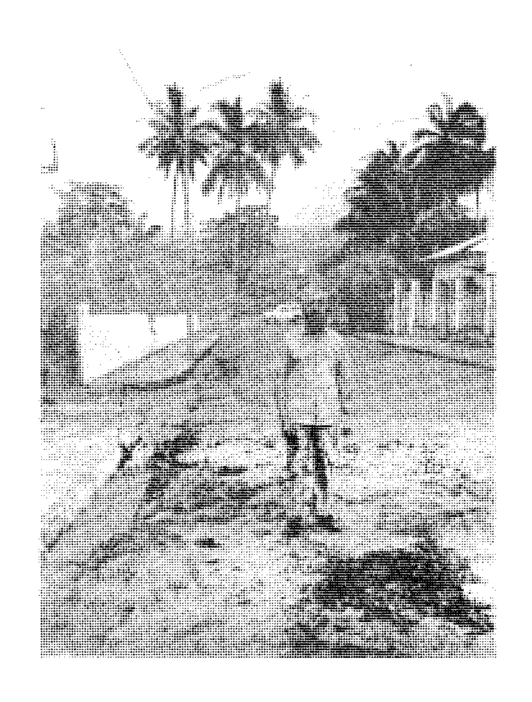
وينتصب المسجد من دون ملحقات إلا حمامات الوضوء في الجهة الغربية من الفناء، وغرفة في آخر الفناء منفردة، وغير متصلة بالمصلى المكشـــوف، ذكروا أنها مصلى للنساء، وهذه أول مرة أرى فيها مصلى للنساء منفصلاً عن المسجد بفراغ في إفريقية، وإنما كانت أكثر المساجد تفصل بين مصلى النساء ومصلى الرجال بستارة من القماش، أو بحائط من لبن الأسمنت المخرق، أو نحو ذلك.

وفـــي فـــنائه ركن ذكروا أنه مخصص لتجهيز الجنازة، وفي جانب من الفـــناء شـــجرة من أشجار الأنبة (المانجو) ضخمة جداً، لاشك في أنها كانت موجـــودة قبل بناء المسجد، بل قبل بناء الحي كله أبقوها على حالها، كما هي الحال في كثير من البلدان التي فيها أشجار ضخمة أو غابات ملتفة.

وجدنـــا في المسجد مصاحف كريمة مطبوعة بالخط المغربي الذي يقـــترب مـــن الخـــط الكوفي المعروف لأنه هو الخط الكوفي الذي كان معروفاً مستعملاً ثم استعاض المشارقة عنه بالنسخ والديواني وحافظ عليه المغاربة، ومن الفروق فيه عن الخط المشرقي أن القاف فيه تنقط بنقطة واحدة من فوق، والفاء بنقطة واحدة من تحت.

وكنت سمعتهم يذكرون جماعة من المغاربة كانوا موجودين لديهم من المنفيين الذين نفاهم الإسبان إلى هذه البلاد أو نقلوهم عقاباً لهم عندما كـــانوا يحـــتلون مـــنطقة الـــريف في شمال المغرب، فسألتهم عن هذه المصاحف من أين حصلوا عليها فأجابوا إنها من المغاربة، فسألتهم أهي مـــن الســـفارة المغربية هنا التي هي السفارة العربية الوحيدة في (غينيا الاستوائية) فنفوا ذلك وقالوا: السفارة المغربية لا تهتم بهذه الأمور، وإنما كانـــت السفارة الليبية قبل إغلاقها تساعدنا، وهذه المصاحف أرسلها أخ مغربـــي صـــلى معـــنا الجمعة ورأى أنه لا توجد مصاحف في الجامع فأرسلها إلينا.

وجدنا في المسجد خمسة من الإخوة المسلمين الجدد من أهل البلاد الأصلاء، وكلهم شاب حريص على معرفة أمور دينه، أحدهم كان يصلي والآخرون معهم مصاحف يقرءون منها وأحدهم معه كتاب فيه نصوص عربـــية مترجمة إلى الفرنسية واسم الأخ المسلم هذا: مصطفى، فالتقطت معهم ومع الإمام صورة تذكارية.



المؤلف في شارع المسجد في مالابو

عقدنـــا جلســـة قصـــيرة في المسجد معهم ومع اثنين أو ثلاثة من المســـلمين الذيـــن دخلوا المسجد عندما رأونا حوله فحدثونا عما ذكرته وغـــيره، وأخبرونا أن المصاريف المتكررة اللازمة للمسجد كالكهرباء، والماء، وما يحتاج إليه من ترميم أو إصلاح بسيط يجمعونه من المسلمين بعـــد صلاة الجمعة، وذلك بأن يأخذ أحد أعضاء الجمعية الإسلامية إناء ويمر به على المصلين فمن كان معه نقد وأراد التبرع به وضعه في ذلك الإناء ثم يودع مع غيره للجمعية الإسلامية لتنفق منه على المسجد.

وذكـــروا أن عـــدد المصلين صلاة الجمعة يكون في حدود ٣٠٠ مصلٍ وفي الصلوات الخمس المعتادة ما بين ٤٠ إلى ٥٠.

وقـــد ســـارع أحد الإخوة المسلمين بالشكوى من عدم وجود مدرسة في المســـجد وطلبوا منا أن ننشئ لهم مدرسة فأخبرناهم أن رابطة العالم الإسلامي تعمـــل علـــى مســـتوى العالم كله، وأنه لا يمكنها أن تبني المساجد والمدارس

التـــي يحـــتاجها المسلمون في كل العالم، وإنما درجت على المساعدة في بناء المســاجد والمــدارس والمؤسســـات الإسلامية الأخرى التي يبدأ أهلها العمل فـــيها، ولـــذا نحن مستعدون للمساعدة على إيجاد المدرسة إذا فتحت ولو بعدد قلـــيل من التلاميذ في أول الأمر، ومساعدتنا ستكون في هيئة دفع مبلغ للتأثيث الضروري للمدرسة وتحمل راتب المدرس أو المدير لها.

ولكن لابد من أن تنهضوا أنتم بالعمل أولاً، وفق استطاعتكم، و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

قلـــت لهم: لقد جربنا أن المؤسسة التي يبنيها أهل الخارج لا تسير على الوجه المطلوب إلا إذا استمروا بعد بنائها في تشغيلها وإدارتها وهذا أمر يصعب تحمله من قبل الرابطة في كل بلدان العالم.

حي المسلمين:

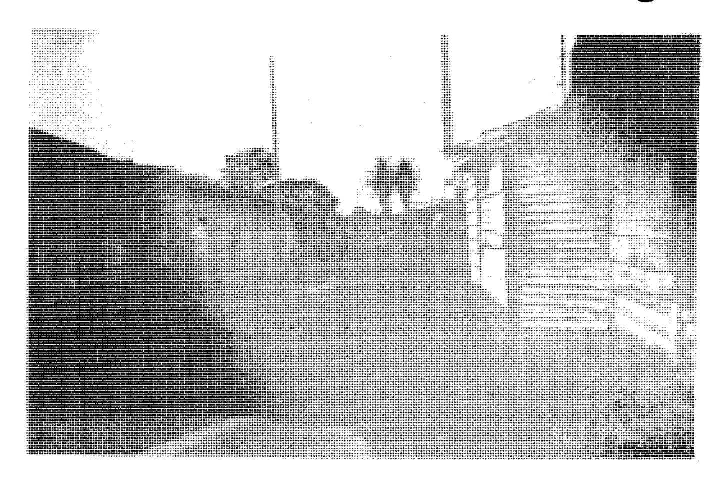


شارع في حي المسلمين في مالابو

انطلقنا من مسجد وسط مالابو الذي هو المسجد الجامع الوحيد الذي تقام فيه صلاة الجمعة لرؤية المسجد الآخر فيها الذي ذكروا أنه يقع في حـــي أســـموه حي المسلمين، وذكروا أنهم بدءوا في بنائه بأن أحضروا

المواد اللازمة للبناء، ولكنهم وقفوا عند هذا الحد لقصور النفقة، غير أننا وجدنا الأمر على هذه الصورة.

وصلنا إلى الحي الذي فيه الجامع وهو حي لا بأس به لو لا خراب شوارعه، وبخاصة ذهاب الزفت منها ووجود الحفر والنقر فيها إلى حي غايـــة فـــي السوء، بل يصعب وصف سوءه إلا بأن نقول: إنه أسوأ مما تتخـــيله فقد دخلنا سوقه الطويل وهو ضيق الشارع بالنسبة إلى الشوارع فـــي الأحياء الأخرى، ولم يعرف هو ولا شوارعه أي شيء من أعمال التحســـين أو الصـــيانة فأرضـــه حجرية طينية، وليس فيه أرصفة وإنما مكانهـــا مجـــرى المياه المستعملة يسير بجانب الحيطان تخرج المياه من البيوت إليه، مع أن البيوت لم تدخلها أنابيب المياه، وإنما يوجد الماء على هيـــئة صنابير متباعدة في الشوارع يأخذ منها الناس الماء بالأواني، هذا إذا ســـالت المـــياه، وقـــد رأيتها موجودة إذ رأيت صنبوراً عليه امرأتان تـــأخذان الماء منه وقد أسودّ ما حول أرضه من الماء دون أن يصلح أو يصـــان، والبـــيوت فـــيه خشبية ردئية وأردأ منها سقوفها التي هي من الصفيح الصدئ.

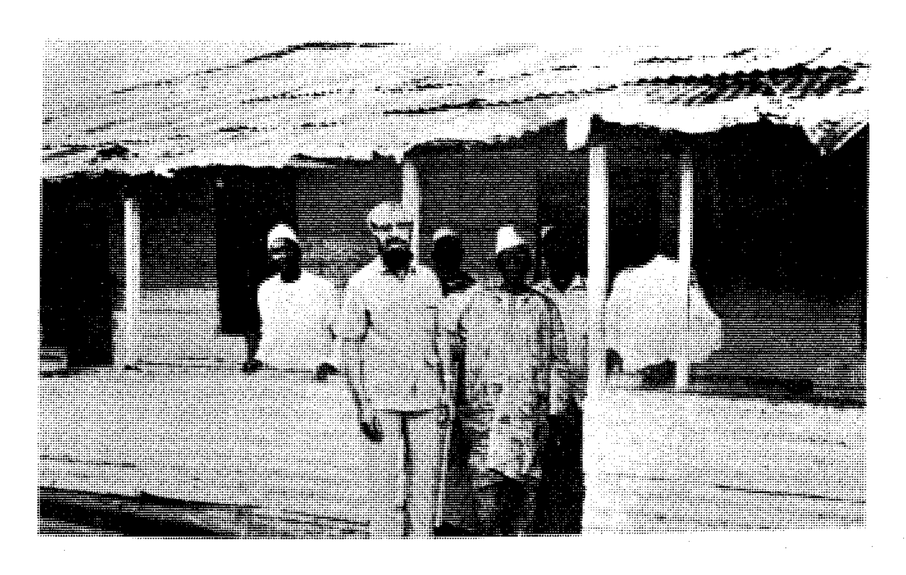


شارع المسجد الأول في حي المسلمين في مالابو

وبضـــائع الســـوق هي قليلة نزرة مثل وضعه نفسه، والأطفال في الشوارع ملابسهم مهلهلة غير نظيفة، أما الكبار من النساء والرجال فإن ملابســـهم أحســـن وضعاً من ذلك، وأردت أن أخرج من السيارة لألتقط صـــورة تذكاريـــة فيه لابد من وجودي فيها من باب توثيق الزيارة، إذ اعـــتدت علـــى أن أكون في الصور في الأماكن البعيدة من أجل توثيق القـــول بأنني زرتها لا من باب اعتقادي بأن صورتي مهمة للقارئ، بل إننـــي أعـــرف أنه لا يحب أن تتكرر أمامه صورة جميلة فكيف بصورة شيخ أشيب، وإنما المراد تأكيد الزيارة ووجودي في ذلك المكان.

ولكـــن الإخوة المرافقين واثنان منهم هما الإمام حسين عبدالعزيز، والأخ حمزة ايجان من سكان هذا الحي سارعا يقولان بانزعاج: لا، لا، لا تصور، الحكومة: الشرطة موجودة وتعاقب على التصوير، إنهم سوف يســـجنونك، ويـــأخذون الصورة، واندفعت ألتقط صورة عجلى وأنا في السيارة، ثم أنكمش داخلها لأرسم صورة بالقلم لما شاهدته في هذا الحي الذي يسمونه حي المسلمين.

عدلنا من شارع السوق الذي هو الشارع العام في الحي إلى شارع آخر يأخذ ذات اليسار وهو في الضيق والسوء مثل صنوه الأول، ورأيت المـــنازل فـــي الشارع متشابهة في كونها من الخشب المسقف بالصفيح، وكونها من طابق واحد وأشاروا إلى مبنى منها لا يميزه عن غيره شيء وقالوا: ها هو المسجد.

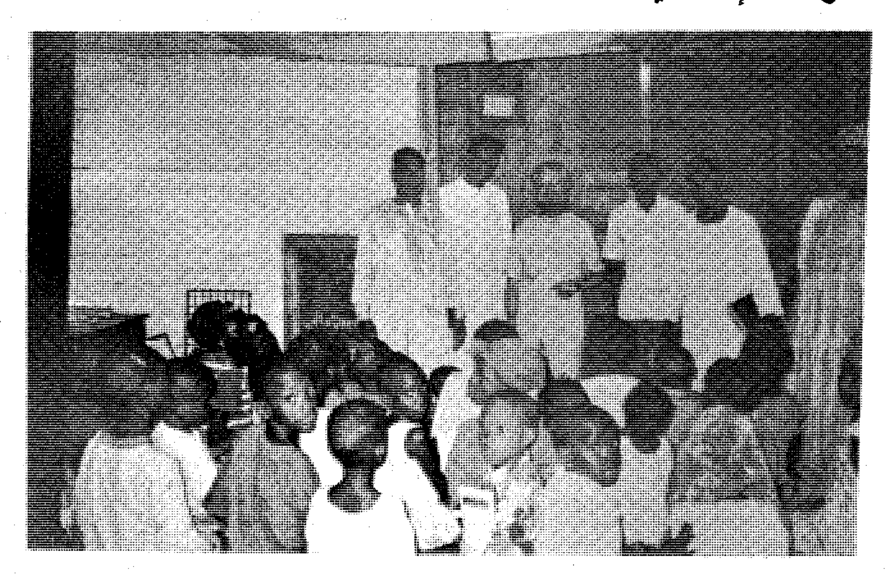


تذكارية مع الشيخ الدكوري أمام مدخل المسجد الأول في مالابو

وقفت السيارة عند المسجد الذي ليس له ما يجعله من حيث المظهر يعرف بأنه مسجد لا منارة ولا قبة ولا حتى محراب يرى من الشارع لأن محرابه قد جعلوا ما خلفه ركناً صغيراً محجوزاً فيه النعش الذي تحمل فيه الجنازة مفصولاً بينه وبين المسجد بحائط المسجد الخشبي.

ومجرد كون المسجد من الخشب لا يجعله سيئاً فكثير من المساجد في البلدان المطيرة ذات الغابات الكثيرة تكون فيها المساجد من الخشب مثل إندونيسيا و(بروناي) وحتى أستراليا وبعض أقطار أمريكا الجنوبية تكون المساجد من الخشب لأن المنازل نفسها كثير منها من الخشب، ولكن المبنى يكون مرتباً مطلياً معتنى به حتى لا تكاد تعرف في كثير من الأحيان أنه من الخشب أو الأسمنت المسلح، ولكن هذا المسجد على غاية من السوء المتمثل في عدم العناية به، فبعض الأخشاب في حيطانه متكسرة، وسقفه المستعار الخشبي ويجعلونه تحت الصفيح المسنم قد تخرق أيضاً، وبعضه آيل للسقوط فجعلوا له خشبة مائلة تدعمه عن السقوط، وفرشه وأرضه ليست بعيدة من ذلك.

المدرسة الإسلامية:



في فصل صغار الطلاب في المدرسة الإسلامية

بجوار المسجد الأول في مالابو

وجدنا في الجهة الغربية من المسجد، وهي المعاكسة للمحراب لأن قبلتهم جهة الشرق مدرسة من صف واحد مختلط من الذكور والإناث الصغار.

والمعلم فيها شاب يتكلم العربية بطلاقة، وذلك لكونه من تشاد، وأهل تشاد كلهم يعرف العربية العامية، ولكنه درس في معهد البحوث الإسلامية الذي يتبع المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم واسمه (جبريل بن عبدالله عوف محمد) وهو المدرس الوحيد في المدرسة التي تتألف من هذا الفصل الوحيد الذي فيه ثلاثون تلميذاً من الجنسين، ذكر أنه لا يأخذ راتباً من أحد، و إنما يتقاضى رسماً من أولياء التلاميذ هو ثلاثة آلاف فرنك إفريقي غربي في الشهر، وهذا مبلغ جيد يحسده عليه الآخرون.

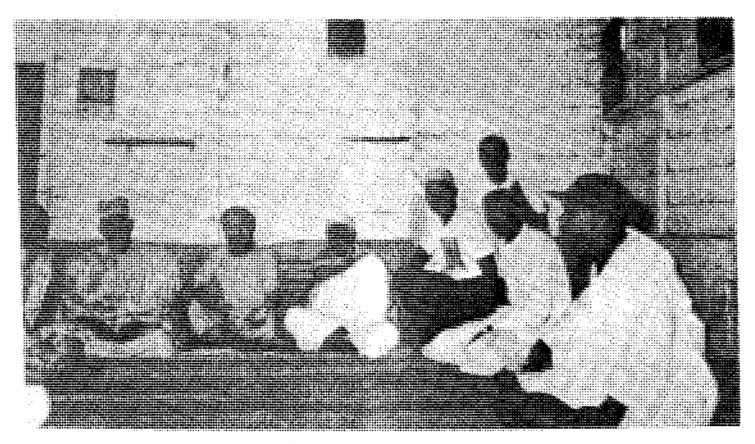
وسبورة الفصل جيدة وواسعة غير أن المدرس قسمها نصفين بخط من الطباشير في أحدهما حروف الهجاء العربية للمبتدئين، والنصف

الثانـــي كتب عليها لمن هم من الفصل أرقى وأعرف كتب عليها (أركان الإيمان: ستة) وذكرها.

طلبـــت من إحدى التلميذات واسمها ميمونة بنت عيسى أن تقرأ لنا ســـورة الضحى من جزء (عم) كان معها فقرأت قراءة متوسطة لا تكاد تســـمع، كأنما لم تتمرن على القراءة أمام الأجانب، فبدت كأنما تستحي، ولذلك كانت قراءتها غير جيدة.

وطالـــب اســـمه (أحمـــد عبدالله) قرأ بعد ذلك قراءة غير جيدة، ويخفـــض التلامـــيذ أصواتهم حتى لا يكاد يسمعهم أحد، فطلبت من الأخ المدرس أن يمرنهم على الخطابة في الفصل والتحدث إلى زملائهم وإليه بصوت مرتفع منفرد، وأن يجعل لهم في آخر الأسبوع اجتماعاً مع أولياء أمورهـــم حـــتى يتشـــجعوا ويمرنوا على الكلام أمام الناس دون شعور بالخوف، والخجل.

ومـــع صـــغر هذه المدرسة وحالتها التي ذكرتها فإن اسمها كبير عجيب هو: (نور عظيم)، هكذا كتبوه عليها من الداخل.



جلسة داخل المسجد الأول في مالابو مع عدد من المسلمين فيه

عقدنـــا جلسة مع الأخ الإمام وجماعة المسجد في المسجد لمعرفة تاريخـــه ومعــرفة المزيد من أحوال المسلمين وقد حضر معنا جمع من الإخوة المسلمين من أهل الحي فذكروا ما كانوا ذكروه من قبل من كون هـــذا المسجد هو أول مسجد في مدينة (مالابو) وأنه كان هو الوحيد في الجزيـــرة لسنوات عدة، ويرجع تاريخ بنائه الأول إلى عام ١٩٣٣م وهذا تـــاريخ مـــبكر للوجود الإسلامي المحسوس في هذه البلاد، ولكن الجميع أكـــدوه، واقتنعت به عندما ذكروا أن المغاربة ساعدوا على بنائه، وذلك عندما أحضرتهم إسبانيا التي كانت تستعمر هذه البلاد وتحكم الريف في شمال المغرب.

ذكـــرت لهم تأثرنا من حالة المسجد، وأنه ينبغي أن تتألف جمعية منهم للعناية به، وإذا لم تكن لديهم أية موارد مالية، فإنه ينبغي أن يكتبوا لـــرابطة العـــالم الإسلامي وغيرها من المؤسسات الإسلامية التي تساعد على مثل هذه الأمور.

فذكـــروا أنهم لا يعرفون كيف تكون الكتابة، وقال أحدهم: لقد كتبنا للرابطة فأخبرتهم أن الكتابة التي تكون لها نتيجة تحتاج إلى أن تؤيد من إحـــدى الجهات الموثوقة، وأنتم بالقرب من جهتين موثوقتين هما مكتب رابطة العالم الإسلامي في البلد المجاور لكم وهو الغابون ومكتب الرابطة فـــي عاصمته (ليبرفيل)، والثانية: السفارة السعودية في ياوندي عاصمة جارتكم الأخرى الكاميرون فتستطيعون أن تكتبوا للرابطة وتوثقوا الكتابة من هاتين الجهتين.

ولكن تبين لي أنهم قد عدموا حتى الرغبة الملحة في الكتابة والقدرة علـــى ذلـــك، ويلقـــي كثـــير من المسلمين اللوم على الجمعية الإسلامية الموجودة التي لم تقم بذلك نيابة عن المسلمين لأن هذا هو عملها، وهو

مــبرر وجودهـــا، وهــذا صـــحيح، ولكن صلاح حالها يقع على عاتق المســلمين هــنا لأنهــم الذين يستطيعون أن يختاروا لها من يرون أنهم يعملون لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأن ينحوا من يكونون خلاف ذلك أو من يكونون من الكسالى غير العاملين.



تلميذات في المدرسة الإسلامية بجوار المسجد الأول في مالابو

ويقــع المســجد فــي حــي يسمى (كامبو ياوندي) وكامبو: معسكر بالإسبانية و(ياوندي) عاصمة الكاميرون ذكروا أنه سمي بذلك لأن أول من حل به هم من أهل الكاميرون، وقبل ذلك كان المكان يسمى (يون بي).

ثــم أجمعــوا على أن المسلمين لا يؤلفون سكان هذا الحي، وإنما أســموه الحــي الإسلامي على اعتبار أن الإمام وكبار المسلمين يسكنون فيه، واختلفوا في نسبة المسلمين في الحي اختلافاً شديداً، وقال الإمام إن نسبتهم فيه هي ٤٠٪..

ولاحظــت أمــراً مؤسفاً وهو أنهم يختلفون في أكثر الأشياء حتى المعلومــات الصغيرة لا يتفقون عليها، وكل هذا النشاط في الاختلاف لم يصحبه نشاط في العمل.

وعندما كررت عليهم اللوم في عدم طلب المعونة من رابطة العالم الإسلامي وغيرها قال الإمام: لقد جاءنا أناس من الجامعة الإسلامية في المديـــنة المنورة ورأوا المسجد، وما كتبنا اعتماداً على ذلك، كذلك جاءنا أناس من الكاميرون، والكاميرون هي جارتهم، أما الرابطة فإننا أول وفد يأتي منها إليهم.

مـــن الطـــريف في شارع المسجد الذي يبدو مظهره محزناً لنا أننا وجدنـــاهم نشروا مقداراً من الفلفل الأسود على فراش في الشارع حتى يجـــف، وهـــذه عادة معروفة أن ينشر الفلفل الأسود بعد أخذه من شجره حـــتى ييـــبس ويصلب، ويصبح صالحاً للخزن والنقل، ودجاجات سارية رأيتها على هذا الفلفل كالتي تلتقط منه، وقال الإمام: إنها لا تأكله، وظني أنها تأكل بعض الحب غير الناضج منه.

وهناك أيضاً: بصل منشور في الشارع ويدل نشر الفلفل والبصل في الشـــارع على أن بيوتهم ضيقة، وأنها ليس لها أحواش مكشوفة، وقد رأيت أكثرها يفتح إلى الشارع مباشرة أي أن غرفها على الشارع لضيقها.



المسجد الأول في حي المسلمين في مالابو

ودعـنا الإخـوة المسـلمين آسـفين على كون حيهم يصح أن يكون مضـرب المثل في الرداءة مع علمنا أن هذه أمور شكلية مظهرية، ولكنهم أقلية في هذه البلاد وكنا نود أن نراها مثالاً على غير ذلك لأن معظم الناس لا يـنفذون ببصائرهم إلى حقائق الأمور، وإنما يزنونها بالمظاهر الواضحة فيعتقد بعضهم لهذا السبب أن الدين الإسلامي دين تأخر وعدم نظافة.

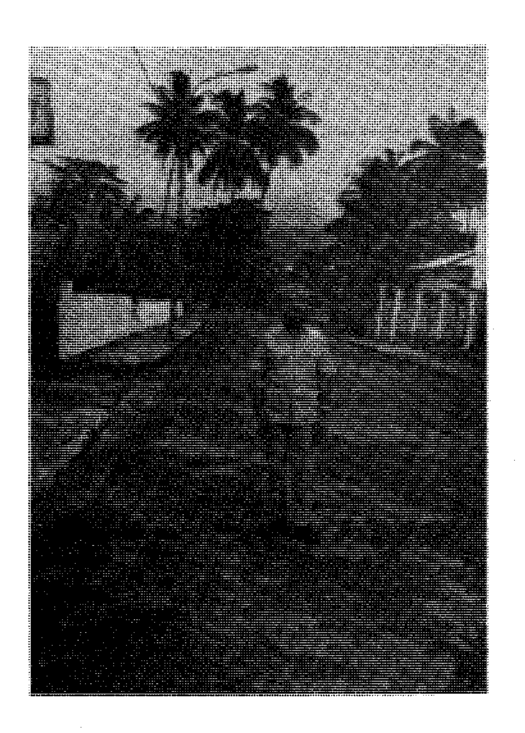
علـى أن ترك المسجد والمدرسة بهذه المثابة أمر لا يمكن تبريره بأي حال من الأحوال.

ولاحظـت أن حوائـط بعـض البيوت من الصفيح لكون الخشب المنشـور يكون غالياً ويحتاج إلى نجار يعمل في تركيبه وإصلاحه، ولو قـال لي قائل: إن أرض هذا الحي كما تركها الإنسان الأول الذي عاش في هذه البلاد لصدقته إلا فيما يتعلق بهذه البيوت الخشبية الرديئة.

وفي هذه المرة عند الانصراف كنت قد اقتنعت من أن الحكومة لا تريد أن يصور الحي فاختلست صورة له لم استأذن أحداً في التقاطها.

والشـيء الوحـيد الأخضر في الحي هو منظر نخلات من نخيل النارجـيل بعـيدة وإلا فإن شوارع الحي وبيوته خالية حتى من الأشجار النافعة التي لا تحتاج إلا سقي مطلقاً كالنارجيل والأنبة (المانجو)، فضلاً عن الموز والباباي.

الحي الجديد:



المؤلف في مالابو

لـــم يركب معنا عند مغادرة الحي إلا الأخ الشاب اللطيف (حمزة ايجـــان) وقـــد ودعـــنا الإمام معتذراً أن بيته يقع في الحي وأنه هو إمام المســـجد فـــيه فـــي الصلوات الخمس وإن كان يصلي بالمسلمين صلاة الجمعة في الجامع.

وقـــال الأخ حمـــزة: سنذهب الآن إلى الحي الجديد كأنما فعل ذلك ليمحو من أذهاننا صورة الحي المتخلف بصورة حي خلاف ذلك.

وجدنا الحي الجديد جيداً حقاً وجودته تتمثل في سعة شوارعه التي ليس فـــيها من الجودة إلا سعتها وخط ضيق من الأسفلت وسطها، وشيء مهم وهو عدم وجود النفايات فيها وإلا فإن أكثرها لا يزال بحاجة إلى تسوية.

السفارة العربية الوحيدة:

وتقـــع الســـفارات الأجنبية في هذا الحي الجيد، ولعله صار كذلك لكونها فيه، ورأينا منها سفارة الصين، وسفارة نيجيريا وسفارة فرنسا.

وأســـرعت أسأله عن السفارات العربية فذكر أنه لا يوجد منها إلا الســـفارة المغربية ولكنه قال: إنها لا تهتم بالأمور الإسلامية ولا تساعد المســـلمين، وذكـــر أن الســـفارة الليبـــية كانت موجودة، وكانت تساعد المسلمين ولكنها أغلقت بأمر من الحكومة، بحجة أنها كانت تؤيد الرئيس الســـابق (ماتياس أنجيما) ضد الرئيس الحالي (أوبيا انجيما) وهو ابن أخ الرئيس الأول.

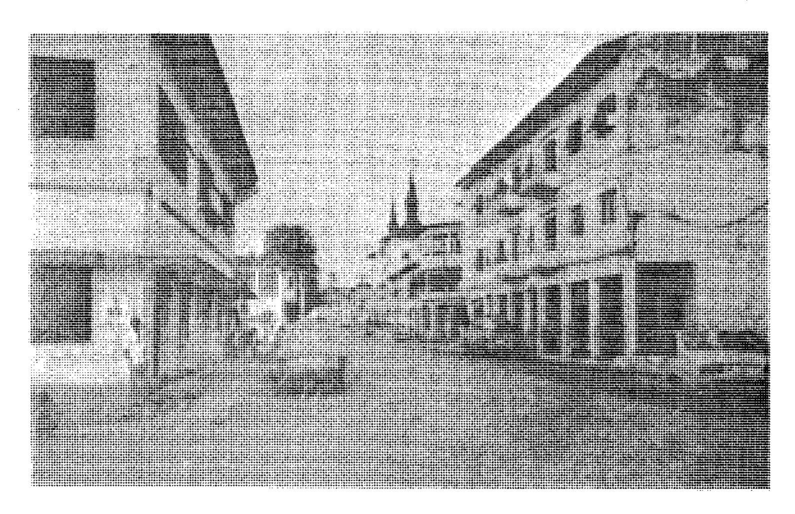
هكـــذا قـــال ولا أدري صحته لأن الرئيس الحالي (أوبيا انجيما) تولى الحكـــم لأول مـــرة عـــام ١٩٧٩م، أي مـــنذ مدة طويلة وربما كان إغلاق الســـفارة الليبـــية جـــاء فـــي خطـــة اتبعتها الحكومة الليبية بإغلاق بعض الســـفارات توفيراً للنفقات، بعد أن كانت توسعت في فتح السفارات حتى في البلدان الصغيرة في العالم، ويسمى هذا الحي الجديد (إسبانيا الصغيرة)!!

وهـــذا عجب من العجب فهو صغير جداً، والسفارات فيه محدودة، ومع ذلك يذكر مع ذكر إسبانيا، ذلك البلد الكبير.

ويقـــع الحـــي بجانـــب مـــنطقة ريفية خضراء، بل كثيفة الخضرة من الأعشـــاب الوحشية التي لم تجد من يكافحها فضلاً عن أن يزيلها منه، أو حتى يزيل بعضها ليبدو الباقي مرتباً منسجماً لأن ذلك يحتاج إلى نفقة وجهد.

ووقفـــنا في جانب منه، والتقطنا صورة في أحد شوارعه التي تبدو كأنمـــا هـــي خالية من الأبنية لأن المنازل فيه ليست كثيرة في الأصل، ولكونها ذات مقدمات فيها الأعشاب، والأشجار تكاد تحجبها عن الأنظار.

جولة في مدينة مالابو:



قلب مدينة مالابو

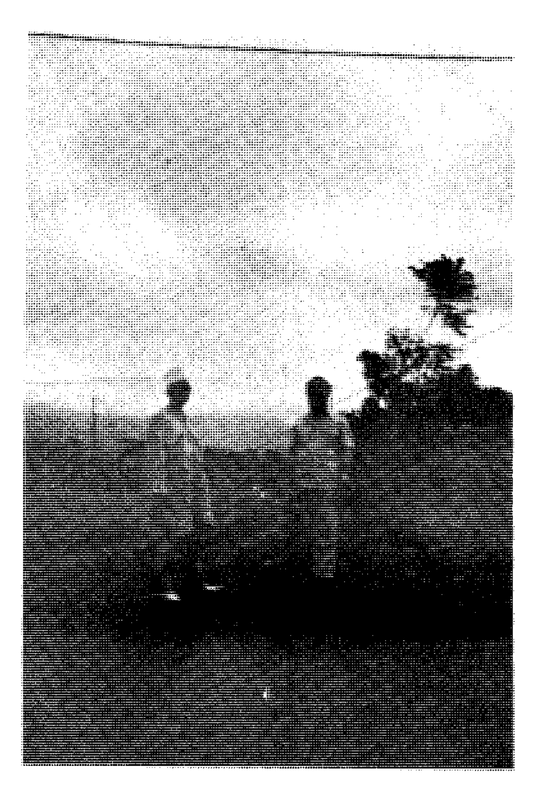
اسم (مالابو) مأخوذ من اسم زعيم القبيلة الذي كان موجوداً عندما جـاء الإسـبان لاستعمار البلاد واستقروا بها فأطلقوا اسم (مالابو) على مكان المدينة الذي كان أصله مكان عدة مساكن وطنية.

وقـد نمـت (مـالابو) حـتى اختيرت عاصمة لجمهورية (غينيا الاستوائية) كلها مع أنه توجد فيها مدينة أخرى أكبر منها هي (باتا) التي سنذهب إليها بعد ذلك بإذن الله.

وقـبل الاسـتقلال عـندما كانت هذه الجزيرة التي فيها (مالابو) شبه منفصلة كانت (مالابو) تعتبر أكبر مدينة في جزيرة (بيوكو) التي تقع فيها، وقـد أسـماها الإسبان (بيوكو) باسم زوجة رئيس القبيلة (مالابو) فالمدينة (مالابو) على اسمه، الجزيرة التي فيها المدينة (بيوكو) على اسم زوجته.

ولا تـزال جزيـرة (بيوكو) قليلة السكان فيما عدا العاصمة وقليلة القرى أيضاً، والقرى التي نمت فيها لا تزال قليلة السكان وسوف نزور اثنتين منها فيما بعد بإذن الله.

وينبغي أن ننبه هنا إلى أن جمهورية غينيا الاستوائية تتألف أراضيها من أرض واسعة نسبياً واقعة في البر الإفريقي بين الجابون جنوباً والكاميرون شمالاً، وأن هذه الجزيرة (بيوكو) واقعة تجاهها في المحيط الأطلسي قريبة جداً من ساحلها، وكان الإسبان يستعمرون الجزئين.



في الحي الجديد مع الرفيق الدكوري في مالابو

وكنا استأجرنا سيارة جالت بنا داخل المدينة كل ساعة بثلاثة آلاف فرنك وإذا خرجنا من المدينة زادت الأجرة (٥٠٠) فرنك لكل ساعة و(٣٠٠٠) فرنك تساوي (٣٠) فرنكاً فرنسياً أو ٢٤ ريالاً سعودياً، وهم مبلغ كبير بالنسبة إلى أجور السيارات عندنا لساعة واحدة، ولكن السيارات قليلة والوقود غالٍ، والسير على طرقهم وفي شوارعهم يهرم السيارة ويضرها.

قلب المدينة القديم:

وقلب المدينة القديم هو مركز إدارتها بل إدارة البلاد في زمن الاستعمار الإسباني وهو جيد الأبنية والشوارع شوارعه ذات أرصفة جيدة، غير أن ما خرب منها لم يصلح وقد أصيبت شوارعه بالإهمال، وجور الزمان تساعد الأمطار الكثيرة وما تخلفه من مستنقعات على ذلك.

وفي هذا الحي مبانٍ من عدة طوابق، وإن كان الغالب عليه الطابق الواحد والطابقان ولكنها أبنية تظهر عليها العناية، منها بناء اسماه مرافقنا ومترجمنا الأخ حمزة ايجان (الشريعة) ويريد بذلك المحكمة وإن لم يكن للشريعة الإسلامية فيها علاقة إلا علاقة قديمة لا يعرفها، جاءتها من دخول بعض الأحكام الشرعية في القوانين الأوروبية.



أمام المركز الثقافي الإسباني مع الشيخ الدكوري

وحمزة إيجان وطفل من أهل مالابو

وفيه المصرف المركزي في مبنى كبير متسع وجيه المنظر، ومبنى جميل المنظر ذو أبراج حمر غريبة الشكل ذكروا أنه المركز

الثقافي الإسباني، وهذا يفسر بقاءه جيداً حتى الآن لأنه يعمل الآن.

ويشــرف القســم الإسباني هذا على البحر حيث يقع موقعاً مرتفعاً بالنسبة إلى البحر.

وقد أسود هذا الحي حتى لم أر فيه أي أثر لبياض، وليس هذا أسفاً على الإسبان الذي هم من المستعمرين المستغلين وإنما هو بيان الواقع.

ومــن أكــثر الأشــياء ظهوراً فيه كنيسة عالية ضخمة البناء، بناها الأســبان - بطبــيعة الحــال- وقــد جزعت لمظهرها المتميز في الجودة، ومــنظر مسجد (كامبوياوندي) الردئ ليس ذلك للتعويل على المظهر، ولكن للإهمــال أو العجز الذي أصاب أهل المسجد، وللقدرة التي لدى أهل الكنيسة مــع العلم بأن الوطنيين الأصلاء من الغينين ليسوا على درجة من الغــنى أو الوجاهــة تفــوق ما لدى المسلمين، وإنما هذه الأبنية خلفها الإسبان ولا يزالون يقومون بأنفسهم على تعهد الكنيسة، وصيانتها على حين أن المسجد لا يصونه ولا يعتني به أحد من المسلمين القادرين حالياً من خارج البلاد.

وقــد حاولــت أن أرى إسبانياً واحداً في الشوارع والميادين التي زرتهــا، ولكننــي لم أصادف منهم أحداً مع أن بعضهم- كما يقول أهل الــبلاد- لا يــزالون موجوديــن منهم مدرسون وعاملون في المستشفى ولكنهم مع ذلك قليل.

وفكرت ملياً في الأمر فرأيت أنه طبيعي جداً، فالأسبان في القرون الماضــية أيــام الاكتشاف التي سبقت الاستعمار كانوا يركبون البحار، ويواصلون التسفار لطلب المال والممتلكات وأننا نحن في ذلك الوقت كنا قد نسينا ما كان عرفه أسلافنا الاماجد من المعارف عن البلدان والشعوب الأخــرى وركنّا إلى الدعة، وأهملنا طلب المعرفة الجديدة، وكيف يطلب

الجديد من المعرفة من ضيع القديم الذي كان يعرفه فكان ما كان.

والآن بعـــد أن تقلب الدهر بالنسبة إلى المستعمرين من الأسبانيين وغيرهم فصارت العلاقات ما بين الشعوب مبنية على المصالح المتبادلة تمهـــد لهـــا الأموال والصدقات التي تتوخى منها المنفعة وصار بإمكاننا بأموالـــنا ورجالنا أن نكسب الصداقات ونوجد العلاقات حتى تساوينا مع الأوروبيين فـــي ذلـــك أو كدنـــا أن نتساوى، بل إننا فقناهم في حيازة الأموال مما أفأه الله به علينا من المعادن وصارت لنا القدرة على إنفاقنا فإنـــنا لم نستغل هذه الفرصة، ولم نحاول أن نكسب بالصداقة والمودة ما لـــم يستطع المستعمرون أن يكسبوه أو هم كسبوه مقروناً بالدماء والآلام، ولذلـــك فقـــدوه، بل فقدوا أثره في كثير من البلدان مثلما هو موجود في هذه البلاد الغينية الاستوائية.

ويقع الحي الإسباني هذا مثل سائر أحياء المدينة بجانب خلاء تغلقه الغابـــات الكثـــيفة حتى لا يعدو المنظر بعد عشرات قليلة من الأمتار أن يكـــون بالنسبة لمن يدخل من أي جهة من الأحياء المجاورة لهذه الغابات إلا كمـــن يكـــون وســـط غابـــة منقطعة عن العالم، لأن الغابات كثيرة والمنشـــآت فيها معدومة، والطرق ما بينها قليلة والموجود فيها قد عمه الخراب حتى صار الفاسد منه أكثر من الصالح.

وكـــل الأشـــجار والأعشاب، بل النبات القريب من أحياء المدينة هو نضر ريـــان لكـــثرة الأمطـــار وغلـــبة الـــرطوبة والندى على الجو، ومن أكثر الأشياء نضـــارة وظهـــوراً نوعان من النخيل هنا هما نخيل الزيت الذي يشبه نخيل التمر عـــندنا تمامـــاً على البعد ولا يفرق بين نخلة الزيت ونخلة التمر، إذا كانتا خاليتين مـــن الـــتمر الأخبـــير، ويســـتعمل نخيل الزيت لاستخراج الزيت الذي يستهلك في الإدام، ويجـــتزي كثـــير مـــن الأفارقـــة بـــه عـــن غيره من الإدام، والثانية نخلة

النارجيل التي تثمر جوز الهند الذي يستعمل زيته أيضاً إداماً للطعام، وقد رأيت بعض المناطق التي تنتج مقادير كبيرة منه مثل سيلان (سيريلانكا) يذكر أهلها أن المرء منهم إذا كان لديه أرز وزيت النارجيل كفاه ذلك مؤنة الطعام.

ونخلة النارجيل تفارق النخلة العربية نخلة التمر في كونها أكثر رشاقة منها في السوق، وأكثر منها في السموق، وأكبر منها فرعاً بالنسبة إلى قوامها النحيل، كما أن خوصها يختلف عن خوص النخلتين: نخلة الزيت ونخلة التمر.

شارع انجيما وميدانه:

اسم الرئيس الحالي انجيما، واسم سلفه أيضاً (انجيما) وهذا هو اسم اسرتهما فالأخير هو عم الاول ولذلك عندما سلكنا شارعاً يفضي من القسم الإسباني إلى حي مجاور له كنا نسير مع شارع اسمه (انجيما) حتى وصلنا إلى ميدان اسمه (ابلاسا انجيما) أي ميدان انجيما وأخبرنا المرافقان أنه سمي على اسم الرئيس الحالي، مع أن القياس أن يكون سمي على اسم الأول.

والحي جيد ولكنه دون القسم الإسباني فمعظم المنازل مبنية من الأسمنت المسلح، أو من لبن الأسمنت، وتطل عليه كنسية متوسطة المظهر، ولا مسجد فيه ذكر الإخوان حمزة والسائق الذي هو مسلم- كما سبق- أنه لا يوجد في هذا الحي مسلمون.

ورغم كون الحي لا بأس به فإن الباس كله مجتمع في شوارعه فهي مكسرة، وقد ذهب الزفت من أقسام عديدة منها مخلفاً حفراً ومطبات وبعضها قد ذهب زفته كله، ولم يصلح مما جعل الغبار يتطاير منه ويدخل إلينا في السيارة، فأحس به في حلقي وداخل أنفي، ولكن ما العمل؟

وأطفال الحي يسيرون فيه بملابس ممزقة رغم الحسن النسبي في البيوت.

لاشك في أن مظهر الكنيسة التي هي أعلى مبنى في الحي وميدانه أحسن من مظهر المسجد الجامع بكثير، ولابد من العناية بالمساجد في هذه البلاد من أجل أن يكون في ذلك دعوة إلى الإسلام وسوف أحرص إن شاء الله على تكليف مدير مكتب الرابطة في الغابون المجاورة بزيارة هذه البلاد ووضع خطة لإصلاح المساجد، وأهمها مسجد (كامبو ياوندي)، وذلك بعد العودة إلى الرابطة بإذن الله.

وعندما رأيت هذه الشوارع التي فسدت طرقها وأرصفة ما كان فيه أرصفة إضافة إلى الحر والرطوبة الثقيلة حمد الله تعالى أن لم يجعلني من سكان مدينة (مالابو) عاصمة جمهورية غينية الاستوائية.

إلى الريف:

كانت بقيت في الوقت بقية فأحببنا أن نلقي نظرة على نهر ذكروا أنهم يأخذون منه مياه الشرب والاستعمال المنزلي في المدينة، وكانوا اختلفوا فأسماه أكثرهم نهراً وذكر اسمه بالإسبانية (ريو تيبورن) وريو بالإسبانية وشقيقاتها اللاتينيات معناها: نهر وسماه الإمام عيناً جارية والعين أصغر من النهر كما هو معروف. وقد بالغوا فذكروا أن الأنهار حولهم كثيرة، وتبين أنها كلها صغيرة لأن الجزيرة صغيرة، ولكنها جارية وصالحة للاستفادة من مياهها قبل أن تصب في البحر.

خرجنا فجأة من ميدان (انجيما) إلى الريف الأخضر، بل الغابات المغلقة العذراء، والغابات العذراء تكون مظلمة في العادة لأن الأشجار العالية الكبيرة التي تكون عارية السوق أو قليلة الأوراق فيها تكون تحتها الأشجار أقصر منها وتحت ذلك أعشاب أو أشجار صغيرة لا يضيرها أن لا تحصل على كفايتها من الشمس.

وكثير من أشجار الريف هنا هي من الأشجار المثمرة كالنارجيل

والأنبة (المانقو). والمؤسف أن الطريق الريفي مثله مثل شوارع المدينة فيه الحفر الكثيرة، والتكسير الشامل.

وقفنا عند نهير لا يكاد المرء يبصر ماءه من الطريق الذي ركبه جسر ضيق عليه وذلك لعمقه وكثرة الأعشاب فيه.

ولما أبديت لهما عجبي من صغره ذكروا أنه يوجد مثله العشرات من الأنهار الصغيرة.

وبينما كنا واقفين عنده مرت نسوة يحملن فوق رؤوسهن أشياء يظهر أنها ثقيلة وعليهن مظاهر الفقر والعوز يبدو ذلك من وجوههن وثيابهن، عجبت من أن يفتقروا مع وجود هذه الثروة العظيمة من الغابات والأعشاب والمراعي وقلة السكان عندهم.

وأقبل رجل فلاح يحمل على رأسه شيئاً ومعه صبي يحمل على رأسه أيضاً فاكهة من الأنبة (المانقو) والأبوكافو، فاوقفناه لنشتري شيئاً من فاكهته، ونصوره، فرفض الفلاح بإباء ونفور وغضب ظاهر، وأخرج من جيبه نبالته كالتي تصطاد بها العصافير وصوبها للمصورة فحلت بينه وبين ذلك مؤكداً له صادقاً فيما أقول: إننا الآن لا نرغب تصويره لأننا لا نريد أن نكرهه على ذلك فهدأ، وكان الأخ حمزة معه المصورة لكي يلتقط لي معه صورة فيما إذا سمح، فأخبرني أنه التقط له صورة دون أن يشعر، فقلت للأخ حمزة، إسأله عن السبب في كونه لا يرغب في أن نلتقط له صورة فقال: أنتم لن تعطوني إياها، وإنما ستنشرونها في الجرائد، لهذا لن أسمح به.

وقد تبادر إلى ذهني ما كنت سمعت به من أن البدائيين الذي يعتقدون في أن السحر يدخل في كل شيء، يخشون أن تستعمل صورة الإنسان في

أغـــراض إصابته بالسحر، وذلك مثلما كنت سمعت في غرب إفريقية حتى عـــند الإخـــوة المسلمين أن المرء منهم لا يحب أن يخبر بعدد أولاده، لئلا يصابوا بالعين، وقال أحدهم: لئلا يستعمل ذلك في السحر أيضاً.

وقد سرنا في الغابة قليلاً فالتقينا بنساء على رؤوسهن الحمل الثقيل المعتاد فطلبنا أن نصورهن فأبين، ولكنني اختلست لهن صورة بعيدة من الخلف لا تظهر فيها وجوههن.

هـــذا وقـــد ركد الهواء، واشتد الحر في هذا الأصيل الذي يطمع فيه المرء في بلادنا بهواء عليل، وقد تراكمت السحب السود الثقيلة كأنها الجبال على الآفاق، وتحتها الرباب الأبيض الذي نعرفه يجيئنا مع السحب الثقيلة.

وعلق الإخوان على مناظر الفلاحين البائسة فذكروا أن العمل قليل في هذه البلاد وأحياناً لا يوجد.

وأكـــثر مـــا رأيتهـــن يحملـــن وهـــي مقبلات على المدينة الموز والفاكهة الأخـــرى، وقـــد تضافر الجو الحار الرطب والحمل الثقيل على وجوههن، بل على أجسامهن كلها فأصبحت تندي بالعرق، فتزيد حالة ملابسهن سوءاً إلى سوء.

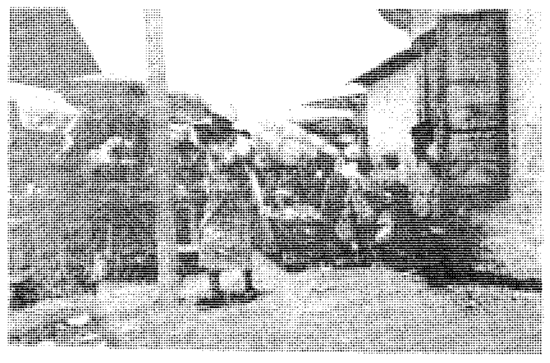
العودة إلى المدينة:

عدنا إلى مدينة مالابو ومازال التعب في الطريق هو السائد، لأن شوارع المدينة في سوءها كطريق الريف ومررنا بمقبرة للمسلمين ليس فـيها أي قـبر مرفوع ولا بناء، وذكروا أن المسلمين هنا لا يبنون على القبور مطلقاً وهذا أمر حميد.

وفي المدينة كثرت رؤية الأطفال نصف العراة، ربما لحرارة الجو، وأكـثر مـا يسترعى الانتباه في مناظر هؤلاء الأطفال أن في أجسامهم شيئين بارزين بهيئة لافتة للنظر أحدهما: السر الذي يبدو منتفخاً، والسر هو مقطع الحبل السري الذي يصل الجنين بأمه، والثاني: الشفتان.

وكـثر وجود الناس في الشوارع وبخاصة من النساء اللاتي تخففن من لباسهن الذي كان خفيفاً في الأصل، وقال الأخ حمزة بهذه المناسبة: إن البنت هنا قد تلد وهي في سن الثانية عشرة ولكن ذلك يكون من غير زواج، لأنـه لا يجوز قانوناً زواج مثلها، قال: وأما الولد فإنه يكون لها ويتكفل أهل البنت بتربيته، فلا يكون لوالده نصيب منه، ولو كان يعرف بذلك، وإن كان هذا ليس الأغلب عليهن.

في سوق شعبي:



جانب من سوق مالابو

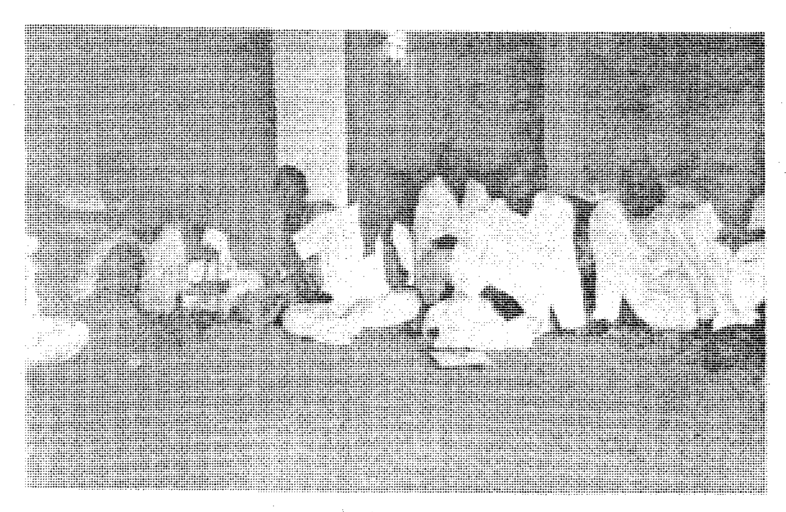
طلبنا أن نشتري موزاً صغيراً من المسمى بالسكري فأخذنا السائق إلـــى ســـوق شعبي في جانب فيه الخضروات، وفي الجانب الآخر سلع وبضـــائع صـــغيرة مستوردة مثل الأواني ونحوها ويعتبر سوقاً رئيسية، لذلك يسمونه السوق الكبير، وقد فرحت لوصولنا إليه من أجل أن نشتري مـــا نريد، ونلتقط له صوراً تعطي القارئ الكريم فكرة عن البائعين فيه والأشياء المباعة.

ومعظـــم الـــبائعات للبضائع الصغيرة المنشورة على الأرض من النساء، إلا أن الإخوة حذرونا قائلين: إن العسكر هنا كثير، وإن التصوير ممـــنوع، وأقـــل ما يفعلونه أن يصادروا المصورة وما فيها من صور، فأعطيت المصورة للأخ حمزة وأفهمته بما أريد تصويره لأن وجوده بين الـــناس لا يســـترعي الانتباه، بخلاف الغريب مثلي ولكنني رأيته يصور البضائع التي يراها جيدة وهي عندنا لا أهمية لها.

وقـــد اشترينا موزاً و(باباي) وبرتقالاً أخضر اشتراه الإخوة مقشراً لكونـــه يـــباع كذلك، وقد منعني تقشيره من الاقتراب منه، وهو ذو قشر يصـــعب الـــتخلص مـــنه إلا بسكين حادة، بخلاف البرتقال الموجود في الـــبلدان المعتدلة كالبلدان العربية، وكونه يباع مقشراً لا ندري متى كان تقشـــيره، ولا من قشره، يجعل احتمال وقوع الذباب والحشرات الأخرى عليه وارداً، إضافة إلى الغبار وأوساخ أخرى.

كمـــا اشـــتروا ثماراً من الانبة (المانجو) أكلناها في الفندق ولم نجدها جيدة، والجيد عندهم الموز الذي هو أنواع متنوعة، والذي طلبناه منه هو الصغير.

الاجتماع بجماعة المسلمين:



يستمعون إلى كلمة المؤلف في جامع مالابو

كانت الشمس قد غربت ونحن في السوق فأسرعنا إلى الجامع، وكنا وعدنا أهله بالاجتماع بهم وبمن يحضر من المسلمين فأدركناهم يصلون المغرب، ولما يفرغوا بعد ويؤمهم الإمام حسين بن عبدالعزيز، وكان اللافت في صلاتهم جهر المأمومين بالتسليم من الصلاة كما يجهر الإمام.

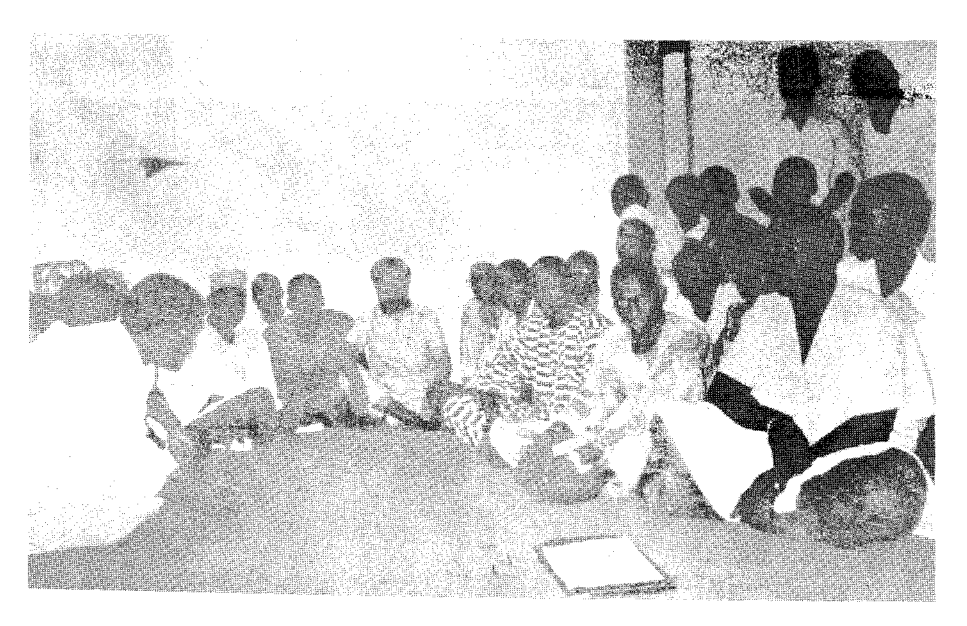
ولما انتهت الصلاة تحلق حولنا منهم جمع أقدر عدده بنحو أربعين.

وأردت أن أخطب فيهم، فذكروا أنهم لا توجد لغة واحدة يفهمونها كلهم، فاقتضى الرأي أن أتكلم بالعربية ويترجم رفيقي الدكوري كلامي إلى الفرنسية، فيترجم شخص آخر إلى الإنكليزية بلهجة (كريولية) أي مختلطة وهي التي يفهمها أهل نيجيريا الذين يوجد منهم طائفة من الحاضرين من أهمهم رئيس الجمعية الإسلامية الذي يسمونه رئيس المسلمين، وهو الحاج (أحمدو آبا) ولاحظت أن بعضهم يترجم بعض الكلام إلى لغة وطنية لا ندري ما هي، لذلك طال الوقت بحديثي معهم،

شرحت لهم أول الأمر الغرض من مجيئنا إلى هذه البلاد وأننا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وبينت لهم أهداف رابطة العالم الإسلامي وعملها وكيفية تعاون المسلمين معها على البر والتقوى.

وأخبرتهم أنه سرنا أن رأينا المسلمين يجتمعون في هذا البيت من بيوت الله وهم من بلاد شتى إضافة إلى المسلمين من أهل البلاد الأصلاء، وقلت لهم: إننا في الوقت نفسه حزنا لما رأينا عليه مسجد (كامبو ياوندي) الذي هو أول مسجد في هذه المدينة من حالة متدنية من حيث المظهر والبناء.

وأخبرتهم أن من أهم عمل رابطة العالم الإسلامي أن تساعد المسلمين على عمارة المساجد، وأن تعاضد القائمين على المدارس الإسلامية، ولكن يجب على المسلمين أنفسهم أن يبدوا العمل ببذل ما يستطيعون بذله من جهد ومال، وأخبرتهم بالكيفية التي ينبغي أن يتصرفوا بها من أجل أن نتمكن من مساعدتهم، وقلت: إننا إلى ذلك نستطيع أن نرسل لهم المصاحف والكتب الإسلامية، وأن نسجل جمعيتهم لدينا في رابطة العالم الإسلامي سواء في الحاسب الآلي، وفي الكتب التي نصدرها مشتملة على أسماء وعناوين الجمعيات الإسلامية في العالم، فيكون في هذا تعريف إخوانكم المسلمين بوجودكم، ويكون تمهيداً لدعوتكم للمؤتمرات والاجتماعات التي تعقدها الرابطة وغيرها من المؤسسات الإسلامية في الوطن العربي، ولكن الأمر متعلق أول الأمر بنشاطكم، ومدى إنتاج جمعيتكم للمسلمين، وقد أحزننا ألا نرى مدرسة في الجامع الكبير رغم وجود عدد من الراغبين في تعلم الإسلام، ولاشك أن الأمر كما قلنا من قبل يجب أن يكون المبادرة فيه منكم، ونحن نساعدكم على ذلك بإرسال مدرس متفرغ متعلم.



الاجتماع بالمسلمين في مسجد الجمعة في مالابو

وأعلنـــت لهم أننا سوف نعطيهم من المال القليل الذي نحمله ألفي دولار أمريكـــي من أجل عمارة مسجد (كامبوياوندي) ورأيناهم أحضروا لبناً من لبن الأســمنت ذكــروا أنهــم ســوف يعمرون به غرب المسجد الذي يحتاج إلى إصـــلاح كما أننا سوف ندفع ألف دولار لما يحتاجه المسجد الجامع من نفقات مــتكررة كالماء والكهرباء، ولا مانع لدينا إذا رأيتم صرف المبلغ كله أو أكثره لمسجد (كامبو ياوندي) فالأمر راجع إليكم في هذا الشأن.

وقلت لهم: إن هذا الذي ندفعه الآن وهو ثلاثة آلاف دولار هو مبلغ ضيئل ولكنه سيكون بمثابة الاختبار لمدى جديتكم في العمل، فإذا تيقنا أنه صرف مصرفه، ووقع في موقعه الذي ذكرناه أمكننا النظر بعد ذلك في إرســال المــزيد مــن المساعدة إليكم، ثم دعوت الله تعالى لهم بالتوفيق والنشاط في الدعوة إليه، ودعوت الله تعالى أن يقدر لنا الاجتماع بهم مرة أخرى هنا في غينيا الاستوائية، وهناك في مكة المكرمة.

وقـــد حملنـــي على تأكيد الأمر وتكراره المتعلق بصرف المبلغ ما

سمعناه من المسلمين من أن الجمعية الإسلامية لا تقوم بالعمل المطلوب، وحتى الإمام قال: إن رئيس الجمعية والذين معه قد يأكلون المال، ولكنني احتطت لذلك وكونت لجنة للإشراف على المبلغ من رئيس الجمعية ونائبه وأمين الصندوق والإمام، ثم أضفت إليهم بعد ذلك أخاً مسلماً من بينهم هو (لوان اللادي) وهو تاجر مهتم بأمر المسلمين وكان حاضراً معنا مثلما كان الجميع وعددهم حوالي ٤٠ شخصاً يسمعون ذلك.

وقد رد رئيس الجمعية الإسلامية الحاج (أحمدو آبا) على كلمتي بالنيابة عنهم فقال: لاشك في أن سفركم هذا من الجهاد في سبيل الله، نسأل الله تعالى أن يكتب لكم ثوابه، وقال:

لقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد منذ ستين سنة، وكثير من المسلمين دخلوا الإسلام في ذلك الوقت، وبعض المسلمين المهاجرين إليها عادوا إلى بلادهم، وقال: إنكم بعد أن وصلتم إلى هذه البلاد تكونون عرفتم كيف تكون المساعدة للمسلمين، ونتمنى أن تساعدوهم في بناء المدارس للأولاد، وقال: أرجو أن تساعدوهم على بناء المساجد في القرى.

وكأنما لم يسمع ما قلته واضحاً بأن الأمر لابد فيه من أن يبدعوا هم العمل لأن بناء المدارس وحده لا يحل المشكلة، إذ لابد من العناية بها وتوفير المدرسين والأثاثات والإدارة له، ونحن لا نستطيع أن نفعل ذلك في العالم كله، وبخصوص بناء المساجد في القرى فقد ذكر الإخوة المسلمون أنه لا توجد مساجد في القرى، بل ذكروا أنه لا يكاد يوجد أحد من المسلمين في القرى في جزيرة (بيوكو) هذه التي فيها مدينة (مالابو).

وقد كررت بثلاث لغات أولها العربية التي يوجد من يعرف اللغة العربية بينهم بكيفية صرف هذا التبرع القليل من الرابطة، وذلك أمام أربعين مسلماً في المسجد كل ذلك من أجل الاحتياط لصرفها في الغرض الذي

تبرعـــنا بها من أجله، وقد بقينا معهم حتى أذنوا لصلاة العشاء، فأخبرناهم أننا جمعـــنا العشـــاء مـــع المغرب لكوننا مسافرين ولذلك سوف نذهب إلى الفندق والتقطنا صورة تذكارية مع بعضهم لهذه الجلسة الطيبة في المسجد.

وقد كررت عليهم قبل الانصراف ما لاحظته عليهم في هذه الجلسة وفي جامع (كامبوياوندي) من كونهم كثيري الاختلاف، حتى في المسائل الصغيرة وإنهم لا يكادون يتفقون على شيء مما يتكلمون فيه، فنصحتهم بالاتفاق وعدم الاختلاف وأن يشعر كل واحد منهم أن أخاه مثل نفسه لأنه مـــثله يريد الخير للمسلمين ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).**

قضـــيت بعد العشاء في الغرفة في الاستماع إلى المذياع وفيه عدد مـــن الإذاعـــات العربـــية مـــنها المملكة على ضعف، وإذاعة دبي من الإمارات العربية جيدة لأنها تذيع على القمر الصناعي كما قال المذيع.

وكـــان العشاء من الخبز والبيض وقليل من الموز السكري والفول الســـوداني الغـــض، ولم يكن لدي شيءٍ يتحرك في غرفتي الواسعة إلا صراصير عديدة تذهب وتجيء في الغرفة كأنما تستعرض عضلاتها- إن كـــان لها عضلات- أو كأنما تتحدى من يعترض طريقها إن كان تعرف التحدي، وكأنها لم تعرف المبيدات الحشرية من قبل.

ولـــم يعد الماء إلى الفندق بعد وإنما يوجد (سطلان) فيهما ماء من الصـــباح وأخبرونا أن الماء لا يعود إلا بعد منتصف الليل لأن الآلة التي تدفـــع الماء للمدينة خربة، وإلا فإن الماء عندهم كثير والأنهار الصغيرة متعددة والأمطار الغزيرة تكاد تكون كل يوم.

ولـــم يكن في الغرفة تلفاز ولا ثلاجة، وإنما فيها مكيف جيد يظل يعمل الليلة كله دون انقطاع، لأن الكهرباء لم تنقطع لحسن الحظ.

يوم الأحد: ١٤١٦/١١/١٢هـ - ١٩٩٦/٣/٣١م:

استيقظت فجراً بعد نوم عميق فلم أجد الماء عاد إلى الحمام، وفي إغفـــاءة ســـريعة بعـــد ذلـــك رأيت فيما يرى النائم أن الماء عاد للفندق فأسرعت أرجو أن يتحقق حلمي وإذا بي أجد ألا شيء في الصنبور، وأن الحلـــم كـــان من وحي الحاجة و(حلوم أهل نجد من إحساس قلوبها) كما يقول مثلنا العامي.

ولـــم يعـــد الماء إلا بعد طلوع الشمس ولكنه لم يستمر إلا أقل من ســـاعة حـــتى نفد وانقطع ولكننا كنا عاجلناه وملأنا الوعاءين اللذين في الحمام بالماء.

وممـــا يجدر ذكره أننا حرصنا على أن نجد مكاناً في فندق أحسن من هذا فلم نستطع مع أننا لن نقيم فيه إلا ظهر اليوم.

عودة إلى الجلوس مع الإخوة المسلمين:



جلسة مع المسلمين في فندق كاندي في مالابو

عاود الإخوة المسلمون زيارتنا في الفندق مبكرين، وبقوا في كلام وحديث مفيد لنا لأننا لم نكن نعرف من أحوالهم شيئاً ذا بال من قبل.

وكان الإمام حسين عبدالعزيز من المبكرين، وأكثر تبكيراً منه الأخ حمزة ايجان الذي كنا طلبنا حضوره لمعرفته العربية فقد تعلمها في شعبة تعليم العربية لغير العرب في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وحضـــر إليـــنا في الصباح محافظ العاصمة (مالابو) ويسمونه هنا (القوفرنر) بمعنى الحاكم واسمه قريقوري بيهوكامو وهو إفريقي عند ما حضر يقود سيارة شحن صغيرة حسنة المظهر قلت: أني لمثل هذا بهذه الســيارة الجيدة، وظننته سائقاً عند ثري من الأجانب، ولكن الرجل حيانا قاصداً دون أن ينظر إلى من في مكتب الفندق وقال بالفرنسية: أنا حاكم المديـــنة ســـمعت بقدومكم فجئت لأرحب بكم باسم المدينة وأهلها، إنني أرحب بكم لأنكم جئتم لمساعدة مواطنينا المسلمين، وقد استبطأنا مجيئكم لأن المســـيحيين يســـاعدون المسيحيين هنا، والمسلمون لا يساعدهم أحد وكنا نتمنى لو كنا عرفنا بقدومكم حتى نصوره بالتلفاز من أجل أن يراه الـــناس فـــيعرفوا ذلـــك، وحتى يعلموا أن المسلمين لهم من يهتم بهم في الخارج مثل المسيحيين.

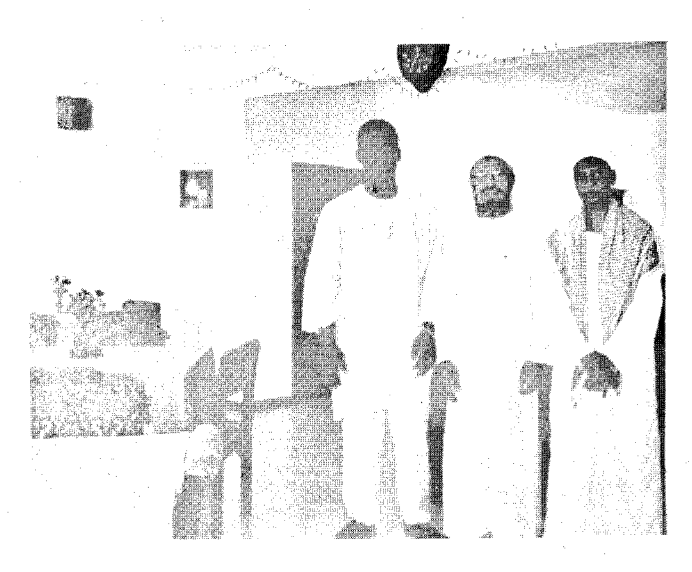
إننا نرجو أن تهتموا برفع مستوى المسلمين ليس من الناحية الدينية فقـــط وإنمـــا أيضـــاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية فتساعدوهم في الآلات الزراعية وفي فتح دور الأيتام وإعانة الفقراء.

وقـــال: أنـــا أحب أن أخدمكم إذا احتجتم لشيء ولن يتكرر لكم ما تكـــرر في المطار أمس، ولاشك في أنه علم بأن الموظفين فتحوا حقائبنا ونحـــن نحمل جوازات سفر دبلوماسية وأن هذا غير لائق ولكن حجتهم هي الخوف من إدخال أسلحة إلى البلاد.

وقال: هذا اسمي وعنواني اكتبوا لي بقدومكم وأنا استقبلكم بالمطار ومعي المصورون والصحفيون.

فشكرت له كلامه وقلت: إن هذا ليس مستغرباً عليكم وأنتم في موضع المسؤولية لهذا الشعب الصديق شعب غينيا الاستوائية، ونحن لم نرد أن نزعجكم بالإخبار قبل الوصول وقد وصل إلينا لطفكم بزيارتنا، وتوجيه هذا الكلام الطيب لنا، ونحن لا هدف لنا كما هو معروف إلا التعاون المثمر مع الإخوة المسلمين ونحن من رابطة العالم الإسلامي التي تهتم بأمور الثقافة الإسلامية وبخصوص ما ذكرتموه عن مساعدة المسلمين في الأمور الاجتماعية والزراعية فذلك من عمل هيئة الإغاثة الإسلامية المتفرعة من الرابطة وسوف نشعر المسئولين فيها برغبتكم هذه.

ثم ودع وانصرف.



مع اثنين من المسلمين في الفندق في مالابو

تسليم المساعدات:

أكثر علينا الإخوة المسلمون الكلام في الجمعية الإسلامية القائمة وأن القائمين عليها ليس لهم نشاط بل إنهم لا يصرفون النقود التي يحصلون عليها من عامة الناس في صلاة الجمعة، لذلك عملنا الاحتياط الذي ذكرناه وأخبرناهم أن المبلغ من المال الذي سنسلمه لهم سيكون تسليمه لأربعة منهم من باب الاحتياط وأن يكون إنفاقه من قبل الجميع وحفظه من قبل أمين الجمعية وهو موريتاني أسود اسمه إبراهيم لي ومن الإمام وقد أثنى الجميع عليهما فوافقوا وقد حضر رئيس الجمعية (أحمدو آبا) وقد يقولون فيه (أمادو آبا) ونائبه الأخ حمزة ايجان وأخ من بنين تاجر يعرف العربية جيداً وهو متحمس لدينه وعارف لأهمية المحافظة على صرف المال واسمه (لوان إبراهيم اللادي).

وأعطيناهم النقود، ثم حضر محافظ المدينة ليعرف هل سافرنا فأريناه المبلغ وأخبرناه أننا أعطيناهم إياه للمسجد، وذلك من باب التوثيق وحتى لا يجرؤ أحد على انتقاصه، وقد حملنا على ذلك ما سمعناه من كثير منهم عن فقدانهم الثقة بالمذكورين، فقال المحافظ مخاطباً المسلمين إن هذا مبلغ كبير ينبغي لكم أن تشكروهم عليه، وأن تنفقوه في الغرض الذي أعطيتم من أجله.

وقال مخاطباً لنا: أنا تشرفت بمجيئكم لأن الأوروبيين يأتون هنا لمساعدة المسيحيين- كأنه ليؤكد أننا لسنا كالأوروبيين، وإنما نحن إخوانهم.

هذا وقد أهدينا إليه كيساً صغيراً من تمر (البرحية) الجيد وكنت حملت معي عدة أكياس لا هدائها لزعماء المسلمين في هذه البلاد.

وقد فوجئنا بما ذكره الفندق من مبلغ مقابل ما قدمناه للإخوة قهوة

وشـــاي، إذْ حســـب فـــنجان القهوة والشاي بستمائة سيفاً ويساوي سبعة فـــرنكات فرنســـية أو ســـتة ريالات سعودية إلا ثلثاً تقريباً مع أنه فندق صغير ومستواه ليس عالياً.

وقد أعطينا الإخوة إمام المسلمين والشريف عبدالعال والأخ حمزة ايجـــان مساعدات شخصية لهم هي قليل من الدولارات تقديراً لعملهم في الدعوة وتشجيعاً لهم على مواصلته.

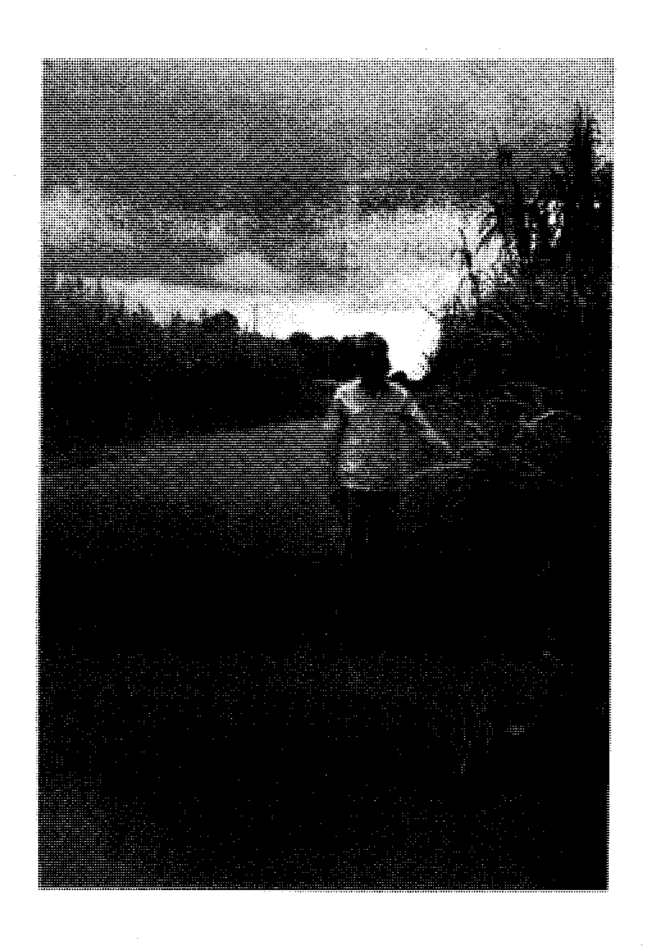
الريف الإستوائي:

منعـــنا غروب الشمس وحلول الظلام وانتشار البعوض والحشرات اللاسعة مثله من أن نشفي النفس من رؤية الريف الاستوائي- نسبة إلى غينـــيا الاستوائية وأصله النسبة إلى خط الاستواء- لذلك أردنا أن نغتنم فرصـــة وجـــود فسحة من الوقت هذا اليوم قبل الخروج للمطار لزيارة ناحية أخرى من ريف هذه الجزيرة جزيرة (بيوكو) الاستوائية.

فخرجـــنا من الفندق قبيل الثانية عشرة ظهراً بعد أن ودعنا إخوتنا المسلمين الذين حضروا إلينا كما قلت واجتمع منهم عدد لا بأس به غير الذيـــن دعوناهم ومنهم من مالي المقيمين في هذه البلاد وكنا مسرورين بذلك ليشهدوا تسليم المساعدة المالية.

مررنا بالحي الجيد الذي أسموه (إسبانيا الصغيرة) فشاهدنا الجامعة الوطنـــية وهـــي صـــغيرة المبنى إلا أن مبناها حديث حسن المظهر من الشـــارع ولـــم ندخلها، ولم نعرف عدد كلياتها لأن المرافقين لا يعرفون معنى الكلية ولا يفرقون بين المعهد الثانوي والكلية الجامعية، ولا شك في أنها صغيرة لأن البلاد صغيرة لا يكاد عدد سكانها يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة كما تقدم.

وفجـــأة وقعـــنا في الريف لصغر المدينة حتى من هذه الجهة وهو ريف أخضر بالغ الخضرة قد تركت الأعشاب والنبات الوحشي فيه على حاله حتى طاول بعضه قامة الرجل من غير أن يكون يسقى إلا من ماء السماء كما في بقية المزروعات.



المؤلف واقف بجانب الأعشاب البرية الكثيفة في ضواحي مالابو

وقـــد التقط أحدهم لي صورة تذكارية مع هذا النبات الوحشي الذي يـــزيد علـــى قامتـــي ويشبه قصب السكر والذرة وما هو بواحد منهما، ومررنا بمهجع لطلاب الجامعة الغرباء، وملعب رياضي لهم.

هـــذا وقـــد غام الجو إلا أن ذلك لم يخفف من الحر والرطوبة بل شعرنا بأنه زادهما وربما كان ذلك بسبب حلول الظهيرة، وركبت الآفاق سحب ثقيلة بدت عليها كأنها الجبال المتراكمة.

ومـــن الأشـــجار النافعة في هذه الجهة أشجار الكاكاو وهي كثيرة فيها، ومعروف أن غينيا الاستوائية تصدر الكاكاو بوفرة وأن إنتاجها منه يتمـــيز بجودتـــه ونفاســـته عند المستهلكين، إلا أنهم لا يذوقونه هنا لعدم وجود مصنع لإعداده في البلاد وإنما يصدرونه إلى الخارج حيث يصنع ويســـتهلك هناك لأنه لا يستعمل إلا مصنعاً معالجاً كما هو معروف، وقد ذكرنـــي هـــذا بما وجدته في غينيا بيساو التي تشبه هذه البلاد في كونها مستعمرة برتغالية سابقة وفي كونها ذات مستوى منخفض من الحياة فقد عرفنا أنها تنتج مقادير كبيرة من الإربيان (الروبيان) الذي هو الجمبري باللهجـــة المصرية، ولذلك أسرعنا إلى طلبه من مطعم أكبر فندق عندهم عـــندما زرناها فاعتذروا بأنه لا يوجد وأنهم كانوا قد اتفقوا مع شركة أو شركات لصيده وتصديره دون أن يستهلك منه شيء في الداخل.

وهناك البن والموز والباباي.

كان المنظر الطبيعي جميلاً غير أن هناك شيئين ليس فيهما جمال، بـــل همـــا مما كدر الجمال الطبيعي وهما هذا الطريق الأسفلتي الفاسد، وكومة من القمامة ملقاة على الطريق قد احترق بعضها وبعضها لم تصله النار، ثم كومة ضخمة أخرى متروكة من دون حرق.

ومـــررنا بأشـــجار كبـــيرة من أشجار الموز ذات مظهر مميز فأخبرونا أنها أشجار الموز الذي يطبخ طبخاً ولا يؤكل طازجاً فهو غذاء وليس فاكهة.

وهم يطبخونه كما يقلونه ويشوونه شياً.



الخضرة الكثيفة في ريف مالابو

نهير تن بابي:

تتميز أنهار هذه المنطقة بكثرة عددها وصغرها وضحالة مياهها لهذا السبب منها نهير مررنا به من فوق جسر صغير على الطريق لا يكاد يحس به المار ويسمونه نهر (تن بابي).

وقرب هذا النهر تنتصب نخيل الزيت التي تشبه نخيل التمر على البعد ولكنها تنتج زيتاً يستعملونه للطبخ والأدم، ومررنا بمدرسة للنصارى مكتوب عليها اسمها مدرسة فاطمة، ذكروا أن هناك كنيسة في مكان لا نمر به اسمها كنيسة فاطمة.

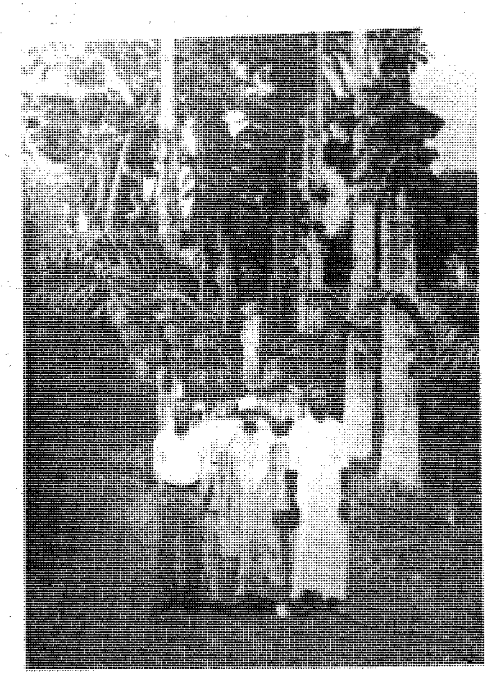
ومعلوم أن كفار الأندلس من البرتغال خاصة ومن بعض الإسبان عندهم امرأة يتخذونها قديسة اسمها (فاطمة)، ولذلك يكثر اسم فاطمة في أسماء بناتهم تيمناً باسمها مما يجعل التسمية بفاطمة عندهم تشتبه بأسماء المسلمات وقد رأيت ذلك واضحاً في البرازيل، وذكرته في (المقامة البرازيلية) من كتاب (المقامات البلدانية، وبخاصة في المعلقة البرازيلية في آخر تلك المقامة ومنها قولي:

فمنهن ريتا ثم شـيلا وديـــرة   و(فاطمة) الكـبرى فـلا تتنصـل
أفاطم، مهّلا بعض هذا التغـزل   وإن كنت قد ازمعت وصـلي فأجملي
(أفاطـم) ما ديني بدينك فاطلبي   لحبك غيـري، وأتركيني بمعـزل

قرية سمباكة:

وقفــنا عند قرية اسمها (سمباكة) يعتبرونها كبيرة لأن عدد سكانها يصل إلى ٧٠٠ نسمة، وهذا عكس ما هو موجود في الهند حيث كنا نمر بــبعض القرى فيذكرون أن سكانها سبعون ألفاً أو نحو ذلك وقد ذكرت ذلك في كتبي في الرحلات الهندية ومنها كتاب (في شمال الهند الشرقي).

وشـــارعها العام هو الطريق العام الذي هو رديء بطبعه وفرعه، وصادف أن مر بنا رجل من أهلها يحمل عنقوداً من الموز الكبير المعد للطبخ فالتقطت معه ومع آخر من القرية صورة في شارعها العام.



شجر كوكو تيري في ريف مالابو

وبعدها بقليل وصلنا إلى طريق ممهد وإن لم يكن مزفتاً ولكنه خير من الزفت الفاسد الذي هو الطريق العام فوجدت عجباً حيث تحف أشجار باسقة جداً مستقيمة السوق- جمع ساق- وهي أشبه بشجر الزينة الذي يقال له النخيل الهندي وليس به، ويسمى بالإسبانية (كوكو تيرو) وكوكو: نارجيل باللغات اللاتنية أما تيرو فلا أعرفها ويسمى المكان (فنكاسمباكة) بمعنى مزارع سمباكة وهذا الشارع ظاهر العناية مستقيم ينتهي النظر فيه إلى تلة خضراء مثل سائر المنطقة، قالوا: عمله المزارعون الإسبان، حيث كانت فيه مزارع للإسبانيين، وعجبت من حسنه بالنسبة إلى سوء مباني المنطقة، وبدا لي منه مثلما بدا لي من سائر المدينة والريف أن الإسبانيين لم يعملوا الكثير لأهل البلاد، وبدا كما لو كانوا يعلمون أنهم سوف يغادرونها، ولذلك كان عملهم، وبخاصة في الأزمنة القريبة قبل سقوط الاستعمار كأنما هو عمل مؤقت.

وإذا كان الإسبان ملومين على عدم تعمير البلاد، وإعداد أهلها للاستقلال وإدارة البلاد بأنفسهم فإن أهل البلاد يكونون ملومين أكثر على عدم محافظتهم على ما خلفه لهم الإسبان فيها من خطوط إسفلتية ومن أبنية ومنشآت محدودة.

وقد أبدا لنا كثير من أفراد الشعب الذين اجتمعنا إليهم من غير المسلمين تذمرهم من تقصير الحكومة في إصلاح الطرق، وترميم ما فسد منها، وذكروا أن الحكومة إذا حصلت على شيء من المال لم تنفقه في الصالح العام.

ولاشك في أن هذا وأمثاله لا ينبغي أن يؤخذ مأخذ المسلمات إلا

بعـــد تحقـــق وتدقيق، وذلك لكون البلاد فقيرة في الموارد التي تصدرها للخـــارج والشـــعب نفسه ليس عنده المهارة، ولا ينتج الإنتاج الذي يوفر للحكومة الدخل المناسب عن طريق جباية الضرائب الكافية منه، مع أن الـــبلاد غنية بالموارد الزراعية التي لو طورت لجعلت بلادهم من أغنى الـــبلدان، وبخاصة في الثروة الحيوانية، وقد عهدنا بلاداً مثل الدانيمرك ليست فيها صناعة ثقيلة، ولكن مستوى المعيشة فيهامن أعلى المستويات فـــي العالم عن طريق الاستفادة القصوى من الموارد الزراعية الحيوانية المعتمدة على الزراعة والأعشاب التي تنتجها أرضهم.

ولاشـــك فـــي أنـــه لا يمكن المقارنة بين الدانيمرك وأمثال هذه البلاد التـــي استقلت قريباً، وحتى لو كانت استقلت قديماً أو لم تستعمر أصلاً، فإن شـــعبها غـــير مـــتعلم ولا يملـــك المهارة اللازمة للإنتاج الراقي في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور والله أعلم بما يخبئه القدر وإليه تصير الأمور.

ومما يجدر ذكره أنه لا يبدو على عامة الشعب من صغار أو كبار أنهم يعانون نقصاً في التغذية، بل إن مظاهرهم من هذه الناحية حسنة، بل يبدو أن غذاءهم متوازن، لأن البدانة المفرطة والنحافة الشديدة لا يوجدان فيهم وإنما كلهم أو جلهم يتمتعون بأجسام حسنة متوسطة، وحتى أمراض العـــيون، وأمراض الأطفال لا تبدو عليهم فما رأيت فيهم شخصاً أعور، وإن لـــم أر كـــل المواطنيـــن، وإنما العادة في البلدان المتخلفة أن تكون للأمراض ظواهر في الأبدان والعيون وهي غير موجودة هنا.

ويأتـــي الخيال هنا ليقول: إن (غينيا الاستوائية) وهي بلاد صغيرة تـــبلغ مســـاحتها ضـــعف مساحة لبنان بنحو مرتين إلا ربعاً تعتبر بلاداً صغيرة بالنسبة إلى جارتيها الغابون والكاميرون، فلم لا تنضم إليها، ولا

ينبغي أن يقول قائل: إنها مثل لبنان الذي ينبغي أن نقول: لِمَ لَمْ تنضم إلى غيره؟ فشعب لبنان في مهارة أفراده وتعلمهم يفوق- على وجه العموم- أفراد الشعوب العربية المجاورة له بخلاف هذه البلاد.



مع تلاميذ مدرسة إحدى قرى مالابو

وقــد تساءلت لمناسبة وجودنا في هذا الطريق الذي يشق غابة كثيفة بحيــث لو أراد شخص الاختفاء فيها لما استطاع الأجنبي أن يلحق به، ولما اســتطاع أن يجــده إن حــاول ذلــك عن حالة الأمن سواء في المدينة أو الــريف، وفي الليل أو النهار فأخبروني أن الأمن مستتب للغريب والقريب، وأن الانــتهاب والاغتصــاب لا يوجدان، وإنما يوجد الاختلاس والنشل في أحيان قليلة من صبية أو من أناس مجرمين بطبعهم أو بعادتهم.

السائق الذي ينوي أن يسلم:

عرفــت من سائق السيارة التي معنا الآن وهو الذي أحضرنا من المطــار وظني أن له علاقة بالسلطة لأننا وجدناه داخل مكتب الجوازات فــي المطــار وأنه نشأ كاثوليكياً ولكنه بدأ يفكر في الدخول في الإسلام

وتــرك النصرانية قال: إنني بعد وقت قريب سأصبح مسلماً واسمه (الفن أوكــندي)، وقــال: بدأت بالفعل في تعلم بعض الأمور الإسلامية المهمة وقــال: ولــي أخ أســلم حديــثاً، وهو الآن يدرس في المملكة العربية الســعودية، فشجعناه على ذلك وقلت له: أرجو أن تخبرني بإسلامك إذا أســلمت بــالفعل، وســوف أرســل لك بالبريد ملابس عربية، وهم هنا يعتبرونها ملابس المسلمين، كما سوف أرسل إليك كتباً إسلامية تساعدك على فهم الإسلام بإذن الله.

لقــد انطلــق لسان السائق عندما ناديته وقلت له سوف نلتقط معك صورة تذكارية في هذا المكان الجميل (فنكا سمباكة) وكان ذلك بالفعل.

وقــد ذكرنــي هذا بما صادفته عند مروري بالولايات المتحدة قبل نحــو شــهرين حيــث وجدت عدداً من الأمريكيين الإفريقيين يعتزمون الدخول في الإسلام، ويتكلمون كلاماً جيداً عن المسلمين.

وهــذا السائق يعرف الفرنسية جيداً، وكذلك الإسبانية التي هي لغة الدراســة عــندهم وشــيئاً مــن الإنكليزية، وقد عجبت منهم كيف يجيد الشــخص البســيط ذو المظهــر غير المعجب عدة لغات عالمية، فمثلاً المحــافظ تكلم مع رفيقي الدكوري باللغة الفرنسية بطلاقة ظناً منا أنه لا يحســن غــيرها ثم كلمته بالإنكليزية فكان يعرفها بفصاحة، وهو يعرف الإسبانية لأنها تعتبر لغته، إضافة إلى اللغة المحلية (الكريول).

ومــثل ذلــك الأخ المســلم حمــزة ايجــان يعرف عدة لغات منها العربية والفرنسية والإسبانية والإنكليزية والبرتغالية، وكان يحدثنا ويترجم لنا بالعربية.

وهذا- بلا شك- يدل على ذكاء الإفريقيين، ويدل على أنه لا توجد لهم لغة واحدة شاملة يستغنون بها عن التماس التفاهم باللغات الأخرى، وقد

نتج عن اختلاف المستعمرين في إفريقية تعدد اللغات، إذ هنا كان إسبان وفي ساو تومي برتغال، وفي الكاميرون كان فرنسيون وإنكليز الخ.

وعدنا إلى الطريق العام فعادت أشجار الكاكاو الكثيرة على جانبيه، وذلك وسط غابات ندية كثيفة تكثر فيها الأشجار المثمرة.

ومرت من عندنا سيارة (جيب) فيها عدد من الركاب البيض فقال الأخ حمزة: هؤلاء لبنانيون، فقلت: أهم مسلمون؟ وذلك أن اللبنانيين في المهاجر يكون فيهم عادة المسيحيون والمسلمون، فقال: يقولون إنهم مسلمون، ولكنهم لا يصلون فما رأيناهم يصلون معنا الجمعة قط، وليس في البلدة إلا جامع واحد.

وقد عرفنا بعد ذلك أن اللبنانيين في (مالابو) هم من أهل الجنوب اللبناني من الشيعة، وأن عددهم هنا حوالي ٤٥ شخصاً ويعملون بالتجارة.

قرية بوتاو:

وقفنا في قرية اسمها (بوتاو) لم نكد نستطيع حتى التقاط صورة فيها وذلك لكثرة الحشرات الصغيرة التي تملأ جوها وتوجد حتى في الشمس تدخل الأنوف والحلوق وتقع في كل موضع في الجسم.

والقرية خصبة ندية مليئة بالأشجار المثمرة، ومع ذلك كان فيها (دكان) أشبه بعشة، بل أقل من ذلك فهو كبقالة، وكان من الخشب قد استهلك أكثر خشبه، وبضاعته الوحيدة هي الموز وأكثره الكبير للطبخ وأقله الصغير للأكل.

أردنا شراء قليل من الموز الصغير اللذيذ فأعطانا أحدهم منه مقداراً وقال: هذا هدية لكم، لا آخذ له ثمناً، وذكرت هنا سخاء بني قومنا

مـــن الفلاحيـــن الذيـــن يسخون بالرطب والبسر لمن يمر بهم ويريد أن يحصل على ما يأكله.

وعندهم هنا أشجار ضخمة جداً من الأنبة (المانجو).

كنـــت أريـــد أن نـــبقى قليلاً في القرية ولكننا لم نستطع البقاء في شـــارعها المشمس بسبب هذه الحشرات الطائرة الدقيقة فقلت في نفسي: ماذا تفعل بهم داخل البيوت؟

وسكان القرية لا يزيد عددهم على ١٢٠ نسمة.

ومع هذا الخصب الظاهر ووجود الأشجار المثمرة التي منها الموز الـــذي يـــتفكهونه ويتغذون بما يطبخ منه ووجود الكسافا الغذاء الرئيسي لكثـــير من أهل خط الاستواء، فإنني رأيت نساء من أهلها على غاية من ســـوء المظهـــر مـــن حيـــث اللـــباس والهيئة وهن يمشين على أقدامهن التي ضـــغطت علـــيها الأحمـــال الكثـــيرة علـــى رؤوسهن وذلك لقلة وسائل النقل والـــركوب عـــندهم فحتى الحمير هي قليلة وقد عرفنا بالتجربة أن الحمار لم يكـــن يعيش في المناطق الاستوائية، وإنما يفضل العيش في المناطق المعتدلة، إذا كانـــت صـــحراوية مـــع أن المناطق الاستوائية أكثر أعشاباً وأوفر مرعى وجوها مستوٍ دائماً فلا حر ولا قر، ولكن هكذا عقل الحمار أو طبيعته.

وقد انطبع في أذهاننا أن هؤلاء القوم الغينيين هم على درجة كبيرة من الطيبة وحسن المعاملة للغريب وليسو بذوي طبيعة شريرة.

وعـــندما رأيت ألبسة الفلاحات الرثة وبعضها لا يستر إلا العورة المغلظة وأسفل الصدر سألت المرافقين عن المرأة المتزوجة التي تكون هكـــذا فـــي طرق غابات مظلمة تخفي من يريد الاختفاء بها، فذكروا أن الـــزوج يكـــاد يعرف أنه لا يستطيع مراقبة زوجته ولكنه يغض الطرف عنها لكونه يخالف إلى غيرها.

العودة إلى المدينة:

لا تبعد قرية (بوتاو) عن قرية (سمباكة) إلا بسبعة كيلومترات كما ذكـــر لــنا السائق وكنا ظننا أنها تبعد أكثر من ذلك بكثير ولكن الطريق الإسفلتية فاسدة والسيارة مثلها فكانت إذا سارت على هذا الطريق المليء بالحفـــر والنقر تقرقع مع أنها ليست بحاجة إلى المزيد من القرقعة، حتى لو سارت على طريق أملس.

لــم نذهب مباشرة إلى المطار، وإنما مررنا بالسوق لنشتري شيئاً فيه، وقال الأخ حمزة: لا تصور فالشرطة يراقبونك، ولم أرهم إلا بعد أن أرونـــي إياهم، بل أراني مركزاً للشرطة جاء إليَّ منه شرطي وقال: لا تصور المركز، قلت أريد أن أصور باعة الموز قال: لا بأس، والتقطت لهم صورة أخفيت المصورة بعدها حذراً من سؤفهم.

ثم خرجنا للمطار مع الطريق الجيد الذي لا جيد غيره هنا.

وفـــي المطـــار تغير الحال حيث قيل إن المحافظ أبلغهم بالاحتفاء بنا ولا نـــدري إلاَّ أن السائق كلم ضابطاً في بوابة رمزية وأراه جوازينا فسمح لنا بالدخول ولاحظنا كثرة الجنود الآن في المطار ولا ندري السبب.

وعـــند بـــاب القاعة كانت تقف سيارات (دبلوماسية) فاخرة كانت سيارتنا بينها نشازاً ولكنها نفعتنا وانتفعتنا بخبرة سائقها وجهوده.

والقاعـــة مكـــيفة، وفـــيها مقـــاعد مـــريحة جيدة إلاَّ أن الحمام فيها ليس له مـــزلاج، والمـــاء يتســـرب مـــن صنابيره، ووجدنا فيها عدداً من علية القوم من الإفريقيين وذوي المظهر الاوروبي تبين أن أحدهم مصري ولكنه لم يتكلم معنا.

عـــاد إليـــنا الســـائق بالتذاكر مقطوعة مع بطاقة دخول الطائرة وهي

تذاكــر اشـــتريناها شراء كل تذكرة بـــ٢٨ ألف فرنك إفريقي غربي (سيفا) ويســـاوي ذلك ٢٨٠ فرنكاً فرنسياً أو حوالي ٢٢٠ ريالاً سعودياً على وجه التقريب.

وقـــد عرفـــنا في أخر لحظة وقبيل ركوب الطائرة أنه توجد رحلة تسافر غداً في الثامنة صباحاً إلى (ساو تومي) وكانوا ذكروا لنا قبل ذلك أنه لا يوجد إليها طيران من (مالابو) إلا يوم الجمعة وهذا مثل من عدم معرفـــتهم بهذه الأمور لقلة ركوبهم الطائرات، وقد قالوا لنا أمس إنه لا توجد رحلات إلى باتا اليوم من مالابو فتبين أنه توجد رحلتان.

حاولنا أن نستعيد تذاكرنا ونبقى هنا إلى صباح الغد لنسافر فيه إلى (ساو تومي) ولكن الوقت ضيق فعزمنا على الاستمرار في الرحلة، وكان هـــذا خـــيراً ولله الحمـــد، إذْ رأيـــنا إخواننا في (باتا) ودفعنا لهم بعض المساعدات المالية كما سيأتي.

وكانت المفاجأة أن حضرت إلينا امرأة بيضاء لا يظن من رآها إلاّ أنها من الأوروبيات للونها وللباسها البعيد عن الاحتشام، فتكلمت بعربية واضحة وقالت: أنا مغربية رأيت جوازاتكم وتذاكركم، وسوف أكون في خدمتكم في الطائرة.

شكرناها وظننا أنها المضيفة ولكن تبين أن للطيارة مضيفة غيرها ســـوداء، ولكنها ذات منصب كبير في الشركة التي تتبعها الطائرة وهي شركة (افياج ايرلاين)، وهي شركة خطوط غينيا الاستوائية المحلية.

من مالابو إلى باتا:

باتا: مدينة غينية استوائية وهي أكبر من العاصمة (مالابو) في عدد

السكان وإن لم تكن العاصمة وهي واقعة في البر الإفريقي الذي يقع فيه معظم أراضي جمهورية غينيا الاستوائية هذه.

وجدنـــا الأخـــت المغربـــية حجزت لنا مقدمة الطائرة التي تتألف مقاعدهـــا مـــن صفوف في كل صف مقعدان من جهة ومقعد واحد من الجهـــة الأخرى بينهما الممر وهي من الطراز نفسه الذي قدمنا عليه من دوالا إلى مالابو وهو طراز ياك ٤٠ الروسي الصنع.

فـــي الثالثة ظهراً كنا نصعد إلى الطائرة ويصعد بعدنا الطيارون الروس الذين يظهر من سحنتهم أنهم من المناطق الروسية المسلمة، أي أنهم ليسو من الصـــهب وإنما هم من البيض الذين تبدو عليهم تقاسيم السمر، وتميل تقاسيمهم إلى المظهر التركي القديم، ولم نتمكن من الحديث مع أحد منهم.

ثـــم جـــاءت الفـــتاة المغربـــية وربطت أحزمة المقاعد لنا بنفسها إمعاناً في المجاملة، ويبلغ عدد المقاعد في هذه الطائرة النفاثة الروسية الصغيرة ٢٨ مقعداً.

والركاب أكثرهم من السود.

أقلعت من مطار مالابو قاصدة (باتا) في الثالثة وسبع دقائق متأخرة ٧ دقـــائق فقط عن موعد قيامها المحدد في الأصل وهو الثالثة، وهذا لا يعـــد تأخيراً، وفي الطائرة مضيفة واحدة سوداء أعلنت بالإسبانية فقط ما لم نعرفه ففوجئنا بإعلان بعربية فصيحة محكمة النطق جلجل في أرجاء الطائـــرة مـــن صوت نسائي غريب على هذه المنطقة، لأن من يعرفون العربية فيها يكون في منطقهم شيء من اللكنة أو اللحن.

وتبيـــن أنها الفتاة المغربية فعلت ذلك مجاملة لنا في الطائرة نحن العرب، فقلنا لها: أهذا كله من أجلنا ونحن اثنان؟ فقالت: بل لدينا راكب عربي ثالث مصري!

سارت الطائرة في المدرج الطويل الذي هو مدرج وحيد في المطار ثم نهضت مسرعة على البحر مباشرة فتجلت طبيعة البلاد الخضراء البالغة الخضرة، وبدا القسم الإسباني في المدينة جميل السقوف لأن سقوفه حمر.

وكانوا أعلنوا أن المسافة ٤٠ دقيقة على هذه الطائرة التي هي نفسها التي قدمنا عليها من دوالا وعجبت لهذا الأمر فنحن دفعنا لهم ٤٥ ألفاً أجرة القدوم من دوالا إلى مالابو لمدة ٢٠ دقيقة وهنا دفعنا ٢٨ ألفاً فقط على الطائرة نفسها بمعنى الطراز نفسه، وهذا يدل على أنهم أخذوا منا ضعف الأجرة من دوالا إلى مالابو، لأنه لا يصح أن يقال: إنهم سامحونا فأخذوا منا نصف الأجرة من مالابو إلى (باتا).

أسرعت الطائرة وهي ترتفع ارتفاعاً حاداً إلى سحاب أبيض كثيف كأنما تريد أن تناطحه، وقد نطحته بالفعل فمزقت أشلاءه ومرقت من بينها، إلا أنها ارتعشت وهي تفعل ذلك، وقد زاد اشتعال السحاب بالبياض عندما علت الطائرة فوقه إذْ انعكست عليه أشعة الشمس فصار يكاد يعشى العيون.

وبحثت عن أي أوراق تتضمن معلومات عن الرحلة أو خريطة نعرف منها موقع باتاً وخط الطيران إليها فلم أجد، وإنما كانت جيوب الطائرة خالية من كل شيء كأنما هي في بلادها الأصيلة، بلاد الروس البعيدة.

والضيافة قليل بسكويت وشراب بارد قدمته المغربية إكراماً لنا نحن العرب.

وقبل النزول قالت بالعربية: سيداتي سادتي سننزل قريباً في مطار باتا الدولي، فنرجو ربط أحزمتكم وشكراً! وبعدها تكلمت المضيفة الإفريقية بالإسبانية، ولا لغة أخرى غيرها.

اقتربت الطائرة من المدينة فوق خلجان بحرية ضيقة محاطة بالأشجار الكثيفة.

ونزلت في مدرج تحف به أشجار مقطوعة.

في مطار باتا:

هبطت الطائرة في مطار (باتا) الذي يسمونه دولياً وهو أحق بأن يسمى بالمطار القروي تحقيراً لشأنه لكون أهله لم يعتنوا بما يلزم له مثل عدم اعتنائهم بأمور مدينتهم.

وكان هبوطها في الرابعة والدقيقة الثالثة والأربعين بعد طيران استغرق ٣٨ دقيقة وليس ٤٠ دقيقة كما قالوا.

بدت مدارج المطار أقل نضارة وخضرة من مدرج مطار (مالابو) وفي موضع منها كومة قمامة مما يلي المدينة.

وكانت الأخت المغربية قد قالت لنا أن نذهب إلى (الصالون) لأننا (دبلوماسيون) وودعتنا وانصرفت.

وجدنا عند (الصالون) رجلاً أشبه بالفراش طلب الإطلاع على جوازينا، و(الصالون) غرفة مفتوحة من جهة على الشارع أو على الأرجح الطريق الذاهب إلى المدينة والثانية على ساحة وقوف الطائرات، وكان باباه مفتوحين مما سمح للهواء أن يمر بحرية فكان على رطوبته وثقله مقبولاً بسبب تحركه.

وجاء رجل فاحم السواد فسلم علينا بالعربية فظنناه مسلماً، وأحضر حقائبنا وقال أنا (تاكسي) وكانت معه سيارة جديدة جيدة، وكان يكلمنا بعربية صعبة إلا أنني لاحظت أن فيها شيئاً من لهجة اللبنانيين، فقال: أنا

كنت أعمل مع اللبنانيين (هَوْن) أي هنا، ثم تبين أنه غير مسلم بل أن اسمه يدل على ذلك فهو حسبما ذكره لنا (كرستيان ليا)، وذكر أنه من الغينيين أهل البلاد الأصلاء وما هو بحاجة إلى أن يذكر ذلك، لأن شكله ولونه يشهدان له به، فهو إفريقي أصيل، من هذه المجموعات من الناس التي تسكن في الغابون وزائير، أو تشبهها، وهو ذو شفتين فضولتين تتقدمان وجهه باستمرار إلا إذا سها عن شدهما فإن السفلى تتهدل مما يخفف من تقدمها.

وسار مع طريق ضيق سيء واحد للسيارات المتقابلة لا يكاد يتسع لأكثر من سيارتين متقابلتين، ومع ذلك فيه البلاء الموجود في طرق (مالابو) حاشا طريق مطارها إلى المدينة فهو جيد ذو اتجاهين.

صار الرجل يثرثر بالفرنسية والإنكليزية إذْ تبين أنه يعرفهما إلى جانب قدر من العربية، ومعرفة جيدة بالإسبانية، وكان من ثرثرته أن قال بالعربية: اللبنانيين مصاري كثير.

والسيارات في الطريق قليلة حتى صارت الطريق تبدو موحشة، كذلك لا يكاد المرء يرى أناساً في الطريق، وذلك لكون الحركة فيها أقل منها في مالابو العاصمة مع أنها- أي باتا- أكثر سكاناً من (مالابو) ولكن مالابو هي العاصمة.

وتقع (باتا) في البر الإفريقي- كما قدمت- بخلاف (مالابو) التي هي في جزيرة في مياه المحيط الأطلسي.

هذا والطريق يباري البحر الذي هو ساحل القارة الإفريقية من هذه الناحية.

مدينة باتا:

وقف بنا السائق عند فندق سئ المظهر مؤلف من طابقين ولكنه ذو

أبهاء واسعة غير وجيهة وغرفه الخارجية من الخشب، واسترعى انتباهنا مطعـم واسـع فيه عليه لافتته التي تذكر أنه مطعم، وهذا أمر له أهميته عـندنا لأن آخر عهدنا بالطعام المطبوخ كان خلال رحلتنا مع الخطوط الإفريقـية مـن داكـار إلى دوالا قبل ٣ أيام لذلك فرحنا بوجود مطعم نظيف، ومع ذلك اعتذر هذا الفندق بعدم وجود غرف خالية فيه.

فذهب السائق وهو يتأفف إلى فندق آخر مظهره نظيف إلا أنه غير فسـيح، وهـو مـن طـابق واحد واسمه فندق (أبار تمنتو) وهو لأحد الإفريقيين يملكـه ويديـره بنفسه، وأطلعنا على غرفة خالية فيه مكيفة فوجدناها لا بأس بها، إلا أنه ليس فيه مطعم ولا هاتف فعفناه، وذهبنا إلى فندق آخر أخبرنا صاحبه أنه ليس فيه كهرباء، وكان السائق قد قال: إن الفنادق هنا كلها ليس فيها كهرباء أو ماء إلا اثنان ولكننا ذهبنا إلى رابع فأخـبر أنه ليس فيه ماء ولا كهرباء، ومجرد شعور المرء بأنه لن يجد المـاء والكهرباء في فندق يكون صاداً عنه لأن الجو حار رطب يصعب تحملـه من دون الماء والكهرباء، كما أن البلاد استوائية وفيها حشرات لاسعة ولا يمكن المكث في غرفة مغلقة النوافذ فيها من دون كهرباء.

وقـال السائق بقي فندق واحد وهو فندق المطار وهو فندق حسن وفيه الماء والكهرباء، ولم نكن نرغب في أن نسكن بعيداً عن المدينة لأننا رأينا المطار ليس حوله شيء من المساكن.

فخرجـنا معـه إلى الفندق قرب المطار كما قال وإذا بالفندق كبير جـداً، بل فخم المظهر لاشك في أنه قد انفقت نفقات كبيرة عليه، إلا أننا وجدنا موظفاً وحيداً فيه جالساً عند بابه الخارجي الذي يصعد للدخول إليه علـى درج فخـم كما يكون في الأبنية المهمة وقد خرج إلى هذا المكان

ابتغاء الهواء وهربا من الحر فذكر أن الماء مقطوع ولا ينتظر أن يعود وأن الكهــرباء قد تعود في الليل، ولاحظنا أنه خالٍ من الناس إذ لم نجد أي شـــخص فيه رغم سعة أبهائه المهملة، وبعض زجاج نوافذه المهشم، والمـــاء الذي ينقط من خزان علوي قد اخضر مكانه، فسألناه عن الطعام فقال: لا يوجد عندنا مطعم، وهنا قال السائق أنا لي مطعم غير بعيد من هـــنا وأرانـــا إيـــاه فإذا به أشبه بالمقهى الصغير الذي يقدم المشروبات والأشـــياء الخفيفة، وإذا به حرص على أن ننزل في هذا الفندق من أجل أن نأخذ من مطعمه بعض ما نحتاج إليه.

وكـــنا مررنا بالمدينة ونحن نبحث عن فندق مع شوارعها فرأيناها أقل زحاماً، وأوسع شوارع من مالابو، وهي منثورة في رقعة واسعة، إلا أن الجو فيها حار رطب مثل مالابو وليس في شوارعها أرصفة، وأكثر الزفت فيها مكسور حتى صار مكانه في بعض المواضع حفراً منكرة.

وهذا مما جعلنا نشعر بشيء من الانقباض إلا أن عدم كثافة الأشجار وعدم إطباق الغابات عليها جعل المرء يحس بأنها فسيحة واسعة.

ولما أبديت أسفي لحالة هذا الفندق الفخم المبني قال لي السائق: إنه حكومي ما فسد فيه لا يصلح.

عدنـــا إلى المدينة قاصدين الفندق الصغير نوعاً (أبارتمنتو) لأنه لا يوجد غيره ولكنني جلست في مطعم الفندق الإسباني والشيخ الدكوري مع الســـائق ذهـــبا إلـــيه لوضع الأمتعة، والتسجيل فيه ثم عاد الدكوري إليَّ فتناولنا وجبة لا ندري أنسميها غداء لأننا لم نتناول طعاماً اليوم أم عشاء لأن الوقت وقت العشاء، فكان الطعام نظيفاً عماده السمك الجيد الوفير مع الـــبطاطس المسلوقة والخضرات المطبوخة والمشروب كان ماء معدنياً

مستورداً، وكان ثمن هذه الوجبة عشرة آلاف فرنك إفريقي وهي ١٠٠ فرنك فرنسي، وتساوي ٧٤ ريالاً سعودية للاثنين، وقد نقصت ٣٠٠ فرنك فأعطيناها الخادمة.

ونزلت في فندق (أبارتمنتو) في غرفة جيدة مكيفة داخلها حمام وقبلها جلسة صغيرة فيها مكتب يتدلى فوقه مصباح كهربائي جيد، ويفصل بينهما باب يغلق وقبلها رواق يغلق بباب من القضبان الحديدية القوية من قفل قوي وترفرف فوقه أغصان أشجار من أشجار الزينة، وفيه مقعدان ومائدة لجلسة خاصة.

والمشكلة أن الكهرباء ضعيفة لذا كان التكييف ضعيفاً وإذا أضيئت جميع مصابيح الغرفة ضعفت إضاءتها وفي نوافذها سلك ومع ذلك ألحَّ عليَّ البعوض أو الحشرات اللاسعة، فكدر صفو الراحة حتى إنه منعني من النوم، وتبين بعد ذلك أنه كان باقياً في الغرفة لأنهم رشوا الغرفة بالمبيد نهاراً فخف وجوده ولكنه لم يذهب كله، وقد حسن التكييف آخر الليل.

يوم الاثنين: ١٤١٦/١١/١٣هـ- ١٩٩٦/٤/١م:

صباح باتا:

كان صباح (باتا) جيداً، إذ فتحت النافذة فأسفرت عن جو مشرق لا يكــدره غيم، وكان الهواء منعشاً أيضاً وإن لم يكن بارداً، وكانت التحية الأولــى هي أولى الكلمات التي سمعتها هذا اليوم من صبي لأهل الفندق يقول وقد رأي عليَّ قميصاً عربياً نمت فيه البارحة: السلام عليكم، وذلك لاعتــياده علــى أن يكون القميص الأبيض لباساً للمسلمين الذي تحيتهم السلام، وإلا فإن أهل هذا الصبي ليسوا من المسلمين.

وكانت التحية الثانية عجماء من طيور صغيرة كأنها العصافير إلا أنهــا صُــقْرُ الــبطون، غُبْر الظهور، تشبه الصعو الذي يرد إلى بلادنا مهاجــراً فــي فصــل الزبيع من جنوب الأرض إلى شمالها وفي فصل الخــريف من شمالها إلى جنوبها، وقد رأيت هذه الطيور في استعراض جمــيل، وما من شيء يكدر صفوها هنا، فالطيور الجارحة ليست كثيرة، والأهالي لم يعتادوا على صيدها وأكلها.

كاثوليكي له أربع نساء:

أفطــرت علــى شاي صنعته في الغرفة وتمرات من بستاني في بريدة وأقــراص مــن (الكلــيجا) مــن صنع بريدة أيضاً، وجلست أكتب في رواق الغــرفة، الــذي يصح أن يسمى شرفة لولا أنه في مستوى الأرض، وجاء إليَّ الشيخ الدكوري، فوقفت امرأة في حدود الثلاثين من عمرها خلاسية وإن كانــت إلــى السواد أقرب، والخلاسي هو الذي لونه بين السواد والبياض، والخلاسيون في باتا أكثر منهم في (مالابو) ولا أدري السبب إلا إذا كان ما لاحظناه من أن أهل باتا أجمل من أهل مالابو على وجهه العموم.

وكل الخلاسيين سبب ألوانهم هو مقاربة الإسبانيين لنساء أهل البلاد، وقد كلمها الشيخ الدكوري بالفرنسية عن شيء يتعلق بالفندق وهي لا تعرف الإنكليزية فحدثته فيما حدثته أنها الزوجة الرابعة لصاحب الفندق وأن له منها ولدين، وذكرت أنها آخر نسائه، وأن كبراهن له منها ستة أولاد، وعندما سمعت هذا لم أصدق به، وكررت عليها القول والسؤال عن صحته فأكدته، فقلت: إن الذي نعرفه أن الكاثوليكي لا يتزوج أكثر من واحدة، وأنه إذا أراد أن يقارب غير تلك الواحدة كان ذلك ما يسمونه خارج الزواج، فذكرت أن الكاثوليك هنا يتزوجون حتى إلى عشر زوجات ويجمعون بينهن، وهنا غلبني فضولي فطلبت من الشيخ الدكوري أن يسألها عما إذا كانت الزوجات هؤلاء يظلن وفيات لزوجهن لا يقربهن غيره.

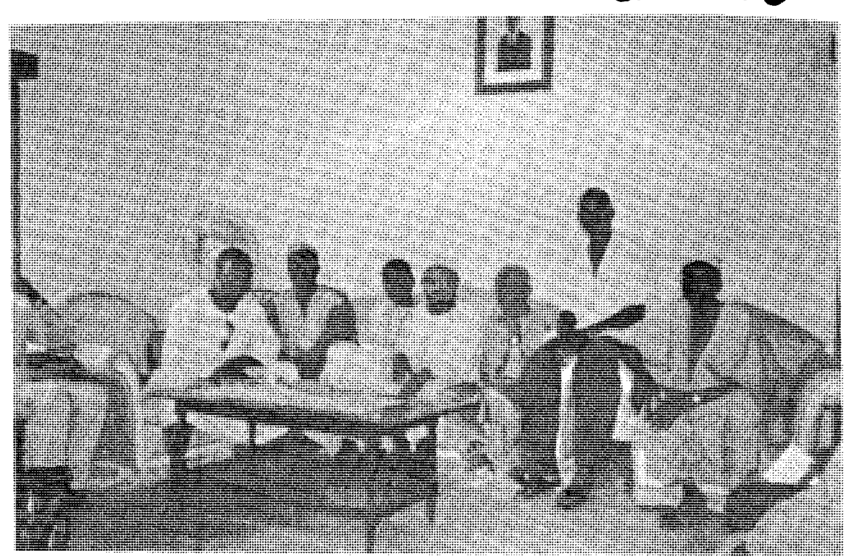
فقالت بكل برود: إذا كانت الواحدة تتيقن أن زوجها لا يعلم بذلك فعلته، والذي يمنعها من ذلك هو الخوف من أن يعرفه الزوج.

إن هذا يدل على أن الديانة المسيحية لم تتغلغل في نفوس هؤلاء الإفريقيين وأن القائمين على الكنيسة لا يشددون النكير عليهم.

وقالت المرأة التي ربما كان قد جرأها على الكلام معنا هذه المسحة الباهتة من بياض ضئيل: إن لي أختاً أحسن مني وإنه لا مانع عند الجميع أن تأتي فتنام مع أي شخص لأنها غير متزوجة.

وربما كانوا تعودوا على الأوروبيين الذين كانوا لا يبالون بالإقدام على مثل هذه الأمور في السابق، أما الآن فإن خوفهم هو من الأمراض الموجودة في المنطقة، وعلى رأسها ذلك المرض الذي لا دواء له، ولا شفاء منه وهو (الإيدز) إضافة إلى عدم توفر الماء وبالتالي عدم النظافة.

الاجتماع بالمسلمين:

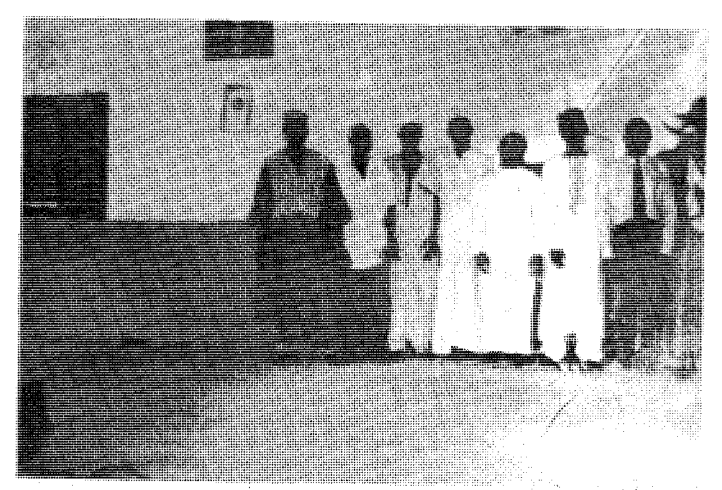


صورة تذكارية مع المسلمين في باتا أثناء الاجتماع بهم في الفندق

كان الشيخ عبدالوهاب الدكوري قد ذهب مع سائق السيارة إلى شخص من أهل مالي قومه يعرف عنوانه، وطلب منه أن يحضر جماعة المسلمين إلينا في الفندق، وأن يحشد أكبر عدد ممكن منهم، وذلك لقلتهم في هذه البلاد، ولأننا نود أن نسمع الجميع منا ما نريد أن نبلغهم، وقد حضر إلينا في الفندق في الثامنة من هذا الصباح ٢٢ منهم أغلبهم من كبارهم وفيهم نسبة من المسلمين حديثاً من أهل البلاد الأصلاء وأناس من المسلمين المقيمين في هذه البلاد للتجارة من أهل السودان الغربي: مالي والسنغال وما جاورهما، وكان اجتماعهم في قاعة اجتماع في الفندق.

ألقيت فيهم كلمة بدأتها بالحمد والشكر لله تعالى الذي قدر هذا الاجتماع الذي كنا في رابطة العالم الإسلامي نتمناه منذ زمن، إننا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي قامت من أجل تشجيع الدعوة إلى الإسلام واستمرت على التعاون في البر والتقوى ما بين

المسلمين، وكنا في زيارة بعض الأقطار في إفريقية الغربية فوضعنا زيارتكم في برنامج رحلتنا، وبخاصة أنه لم تجر مكاتبات سابقة بينكم وبين الرابطة.



مع المسلمين في باتا

إننا نستطيع أن نتعاون معكم في أمور عديدة سوف نوضحها لكم أثناء المباحثات، ولكن من أهم ذلك تسجيل جمعيتكم الإسلامية في رابطة العالم الإسلامي وفي الكتب التي نصدرها عن الجمعيات الإسلامية في العالم، موضحاً فيها عناوينها وأسماء الرؤساء عليها، كما سوف نسجلها في الحاسب الآلي في الرابطة الذي ترجع إليه مؤسسات عالمية عديدة للتعرف على أحوال المسلمين ومعرفة جمعياتهم، وفي ذلك كله فائدة كبيرة من التعارف ما بينكم وبين إخوانكم المسلمين في العالم، ودعوة جمعيتكم إلى الاشتراك في المؤتمرات الإسلامية التي تعقدها الرابطة وغيرها من المؤسسات الإسلامية العالمية.

وقد رد على كلامي الأخ إبراهيم سيسي أصله من مالي ومقيم في هذه البلاد بالشكر على مجيئنا إلى هذه البلاد وقال: نحن مشتاقون

لرؤيتكم والإخوة المسلمون في هذه البلاد محتاجون لنصائحكم وبخاصة في نصحهم بالتعاون والتعاضد على العمل الإسلامي.

وقال: نحن جئنا من (مالي) للتجارة، وقد تعاملنا مع أهل هذه البلاد تعاملاً طيباً وفقاً لما يأمرنا به ديننا الإسلامي الحنيف من الصدق في القول والأمانة في العمل، فلما رأوا ذلك منا اشتاقوا للإسلام ودخل شباب منهم فيه ولله الحمد، ولابد أن تساعدوهم ليتقدموا في الإسلام.

وقال: لقد علمناهم قراءة القرآن وكيفية أداء شعائر الإسلام الرئيسية، وقد ذهب اثنان منهم للتعلم في المملكة العربية السعودية، وهم يقدمان منها الآن إلينا.

وذكر أن زعماء المسلمين من أهل البلاد الأصلاء هم موجودون معنا الآن، ويمكنكم أن تتكلموا بما يحبون أن يتكلموا به معكم.

وهنا تقدم أحد الإخوة المسلمين من أهل البلاد الأصلاء واسمه (حسن ايسونو انوزوغو) فتكلم باللغة العربية التي تعلمها في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث ذكر أنه أمضى سنة واحدة لتعلم العربية نجح بعدها من شعبة تعلم اللغة العربية، ودخل إلى كلية الشريعة حيث درس فيها لمدة سنة واحدة إلا أنه اضطر إلى قطع دراسته بسبب وجود مشكلات في بلاده، تتعلق بأسرته، أوجبت عودته، أهمها أن والده توفي، وأنه صار كبير الأسرة ولابد من حضوره من خصوص التصرف في أرض زراعية صارت إرثاً للأسرة.

ثم اندفع الأخ (حسن ايسونو) في الكلام بعربية واضحة فشكرنا على زيارتهم في بلادهم، وقال: إن مثل هذه الزيارة مهمة، لأن أهل بلادنا قليل الاتصال بأهل البلدان العربية والاتصال يقوي العلاقات بيننا وبين إخواننا المسلمين.

رئيس الجمهورية ينوي الدخول في الإسلام:

اندفـــع الأخ حسن في كلامه، فذكر أن أهل هذه البلاد قريبون من الإسلام وأنه إذا ما تيسر وجود دعاة صالحين فإن النتيجة ستكون نصراً باهــراً للإسلام، وانتشاراً له في هذه البلاد، وقال: حتى كبار المسؤولين فـــي الدولة والمثقفين فيها يحبون الدخول في الإسلام، وذكر قصة لقائه وزمـــيله المسلم الجديد من أهل البلاد (إبراهيم مسيبا) رئيس الجمهورية (أوبيا انجيما) فقال:

لقـــد دعتـــنا رابطة العالم الإسلامي مشكورة إلى حضور المؤتمر الإســـلامي الذي عقدته في مدينة ياوندي عاصمة الكاميرون قبل حوالي ســـنتين، وقـــد طلبـــت منا الرابطة أن يبلغ كل وفد المسؤولين في بلاده قـــرارات المؤتمر وما جرى فيه، لأن الرابطة لا تريد أن يكون عملها سرياً أو مـــن وراء حكومات الأقليات المسلمة التي من حقها أن تطلع على نتائج المؤتمر الذي اشترك فيه المسلمون من بلادها وأن تعرف بمقرراته.

قـــال: فطلبت أن نقابل رئيس الجمهورية أنا وزميلي الأخ إبراهيم مسيبا فقابلـــناه وأبلغناه بما جرى في المؤتمر وبمقرراته ففرح بذلك، وبخاصة عندما علـــم أنـــنا مســـلمان من أهل البلاد الأصلاء، وقال: كنا نعتقد لزمن طويل أن الإســـلام هـــو دين (الهوسا)، وذلك لكون الهوساويين من أول المسلمين إقامة فـــي هـــذه البلاد، وبعد وجود المسلمين هنا من غيرهم، عرفنا أن الإسلام دين لكل الأجناس، وبخاصة عندما أسلمتم أنتم وإخوان لكم من أهلنا.

وقـــال الرئـــيس: المســـتقبل للإسلام في هذه البلاد، وفي المستقبل سأكون أنا مسلماً وقد كرر ذلك.

وقـــال: ســـوف نتعاون مع الدول الإسلامية، ونحرص على ذلك،

وأرى أن نرسل وفداً إلى المملكة العربية السعودية تكونان فيه، وكان علم أننا درسنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لفترة من الوقت.

وقـــال: إنني أتمنى أن أذهب بنفسي إلى المملكة العربية السعودية، ولكن زيارة رئيس البلاد إلى بلاد أخرى تحتاج إلى تمهيد، لذلك أرى أن أرســـلكما مع أحد الوزراء تكونون وفداً من بلادنا تقابلون المسئولين في المملكـــة العربـــية الســـعودية، وتخبرونهم أننا نود إقامة علاقات معهم، والأهـــم مـــن ذلك أن هذا الوفد يمهد الطريق إلى الله، كذا قال، وأوضح الأخ حسن أن مراده من ذلك أن الوفد يمهد الطريق لدخول من يريد من المســـئولين في هذه البلاد إلى الإسلام، ويجب أن يخبروا السعوديين أن الباب مفتوح للإسلام في بلادنا.



مسجد باتا

وقـــال: لقـــد ســـررتموني بشيء ربما لا تعرفونه، وهو أنكم بنيتم بجهودكـــم الذاتية مسجداً مناسباً في بلادنا وذلك أنه عندما زارنا الرئيس إبراهـــيم بابانجيدا رئيس نيجيريا لم نستطع أن ننظم له صلاة في مسجد في بلادنا، لأن المسجد الموجود في مدينة باتا كان صغيراً وغير مناسب

البناء، والآن يمكننا إذا جاء هو أو غيره من زعماء المسلمين أن نقدم لهم هذا المسجد الذي بنيتموه بجهودكم الذاتية.

وهـــنا قال الإخوة الأصلاء: إن هذه فرصة سانحة لتعزيز مكانتنا نحـــن المســـلمين الجدد من أهل البلاد الأصلاء في البلاد، وعند الدولة نـــرجو أن تساعدونا على تحقيق زيارة الوفد الذي سيكون برئاسة وزير وعضوية اثنين منا نحن المسلمين الغينيين- أي أهل غينيا الاستوائية-.

فقلت لهم: إن هذه فكرة ممتازة نحن نرحب بها، ولكن تعلمون أن زيـــارة المســـئولين مـــن بلـــد إلى بلد آخر زيارة رسمية تتطلب إجراء الاتصال بين البلدين قبل ذلك لاسيما إذا كانت زيارة رسمية مثل هذه التي ذكـــرتم، وكـــانوا ذكروا أن الوزير الذي سيكون معهم ربما يكون وزير الخارجية، وربما كان ذلك متروكاً لرئيس الجمهورية، لذا أرى أن تجري حكومتكم اتصالاً بالسفارة السعودية في الكاميرون وهي أقرب السفارات السعودية إلى بلادكم وتطلب منها أن توافق على زيارة الوفد، وتذكر أنه ســـوف يتألف من أشخاص مسلمين يهمهم تقوية العلاقات الإسلامية بين هذه البلاد وبين المملكة العربية السعودية.

وقلـــت: إننا من جانبنا نستطيع أن نتوسط لدى حكومتنا بأن يستقبل الوفـــد مـــن الجهـــات الرسمية المسئولة مثل وزارة الخارجية ووزارة الـــتجارة، كمـــا نستطيع أن ننظم له برنامجاً لزيارة المؤسسات العالمية والدوائـــر الاقتصـــادية فـــي بلادنا، مثل البنك الإسلامي للتنمية والغرفة الـــتجارية السعودية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ونستطيع أن نعدكم الآن بأن الرابطة سوف تستضيف الوفد عند وصوله إلى بلادنا إذا لم تستضفه جهـــة رســـمية أخرى، ولكن كما أخبرتكم لابد من أن تجري حكومتكم

اتصـــالات تمهيدية لهذا الغرض مع السفارة السعودية في الكاميرون، أو غيرها من السفارات السعودية.

ولتسهيل هذا الأمر يمكنكم أن تكتبوا إلينا كتاباً رسمياً باسم الجمعية الإسلامية آخذه معي يتضمن طلب تحقيق ذلك، وسوف نبذل ما نستطيع بذله في هذا الصدد.

وســوف يســتغرق ذلك وقتاً ليس بالقصير، لذا نرجو أن لا تستبطئوا النتـيجة، وبخاصـــة أن هــذا الوقت وقت حج، وجميع المؤسسات الرسمية الموجودة في المنطقة الغربية من بلادنا مشغولة بما يتعلق بشئون الحجاج.

لقــد اســتغربت ما نقلوه عن رئيس الجمهورية من مشاعر عميقة ونظــرة ودية إلى المسلمين ولكنني عندما عرفت الأمر هنا وربطته في ذهنـــي بمـــا كنت عرفته من قبل عرفت السبب، وهو أن الرئيس صديق حميم للرئيس عمر بنقو رئيس جارتهم (الغابون) والرئيس عمر بنقو أسلم علـــى كـــبر أي بعد أن صار رئيساً للجمهورية، وكان لي شرف رئاسة الوفد الذي مثل المملكة العربية السعودية في الاحتفال بإعلان دخوله في الإســـلام عـــام ١٣٩٣هـــ، والرئيس (عمر بنقو) يعتمد فيما قيل لنا في حرســـه الجمهوري على الإخوة المغاربة، فلديه بعثة من الحرس الملكي المغربـــي تدرب الحرس الجمهوري الغابوني وتشرف عليه، وقد مضت سنوات كثيرة ربما أكثر من عشر سنوات، على ذلك ولم تحدث مشكلات معهم لما تتسم به السياسة المغربية من عقل ورزانة، وثبات على المبدأ.

قـــالوا: وقد حمل ذلك رئيس هذه البلاد الغينية الاستوائية على أن يحذو حذو صديقه وجاره الرئيس عمر بنقو في الاعتماد في الحرس على المغاربة أيضاً.

وهذا يفسر كون السفارة المغربية هي السفارة العربية الوحيدة في البلاد بعد رحيل السفارة الليبية.

ولكن فيما يتعلق بإسلامه، فإن هذا الأمر أي قوة العلاقات مع المغاربة ليس سبباً له ولكن نتيجته، لأن حسن المعاملة والصدق فيها والالتزام بالعهود والمواثيق هو الذي جعل للرئيس هذه المنزلة للمسلمين في نفسه، وإلا فإنه يستطيع فيما يتعلق بالعلاقات الدولية المجاورة أن يوثق علاقاته بالبلدان الإسلامية، وإن لم يسلم، لاسيما أننا نعرف أنه لم يبلغ الالتزام بالإسلام لدى بعض رؤساء الدول العربية مبلغاً يجعلهم يوثقون العلاقات مع الدولة التي يكون رئيسها مسلماً أكثر من غيرها حاشا بلادنا وبلدين أو ثلاثة مثلها.

ثم تكلم الأخ المسلم الجديد (إبراهيم مسيبا) بنحو ما تكلم به الأخ حسن، وقال: إنه يجب أن تتوثق العلاقات بين بلادنا وبين المملكة العربية السعودية فالذين يرغبون دخول الدين الإسلامي من أهل بلادنا كثير، وبخاصة في السنوات الأخيرة، ودعوني أوضح لكم السبب.

لقد كان أول المسلمين الواصلين إلى بلادنا هم الهوسا وقد جاءوا إليها للتجارة والعمل، وقد بنوا أول مسجد فيها وهي مسجد صغير في حي خاص بهم سوف ترونه، ولكن أكثر الناس كانوا يعتقدون أن الإسلام هو دين الهوسا كما قال الرئيس، لأنهم لم يروا في ذلك الوقت أناساً مسلمين غيرهم.

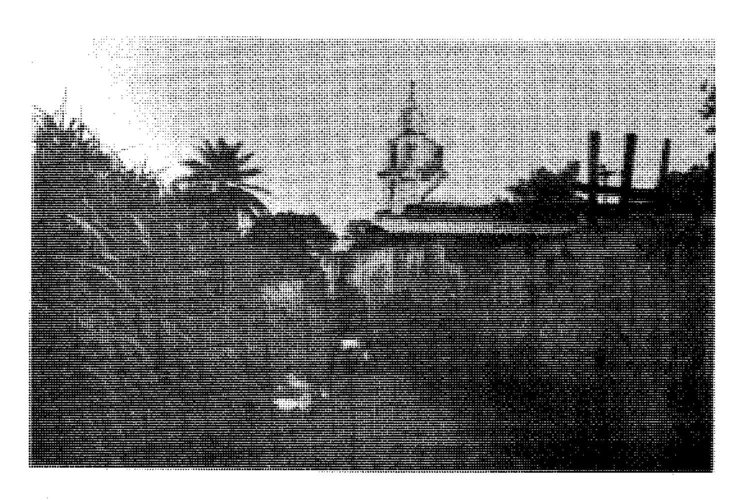
قال: وعندما وصل إلى بلادنا مسلمون من إفريقية الغربية من مالي والسنغال وغينيا كونكري ورأينا حسن معاملتهم، وتوددهم للناس، وأمانتهم وصدقهم، ظننا أن معبودهم غير معبود (الهوسا) وهنا قاطعته

قائلاً: هل تؤكد في كلامك على هذه النقطة، فقال: نعم، كنا ظننا ذلك أول الأمـــر، ولذلك لما دعانا الإخوة الماليون والسنغاليون إلى الإسلام دخلنا إليه طائعين، وقد عملنا معهم على إنشاء أول مسجد لا ينتمي لطائفة من الناس في (باتا) وسوف ترونه ودخل الناس في الإسلام بأعداد قليلة، ولم يكـــن يحـــد مـــن كثرة الداخلين في الإسلام إلا قلة الدعاة وعدم رعاية المســـلمين الجـــدد مـــن أجل تثبيت إسلامهم، ومعاونتهم على أن يبدءوا حياتهم الجديدة.

كـــان القـــوم يـــتكلمون وقد ضاقت الغرفة بهم، وكان الجو حاراً والرطوبة عالية، مما جعل الغرفة تزدحم بهم وجعلنا نتراص في الجلوس معهـــم، والعرق يتصبب من الأبدان، ومع ذلك لم أحس بأية رائحة غير محبـــبة تنبعث من الأجساد أو الثياب، لأن الجميع نظيف الثوب والبدن، ولا يوجد ما يوجد في مثل هذا الزحام من العرق وانبعاث رائحة الوسخ من الأجسام.

هـــذا وقـــد استمر هذا المجلس لفترة انقضت كلها في الحديث عن شـــئون الإســـلام والمسلمين في هذه البلاد مما هو أو بعضه مذكور في فصل الشئون الإسلامية في غينيا الاستوائية.

هـــذا وقد أخبرني الإخوة المتحدثون عن تواريخ إسلامهم فإذا بها كلهـــا قريبة فمنهم (إبراهيم مسيبا) الذي ذكر أنه أسلم قبل ست سنين أي فـــي ١٩٨٩م، وحســـن مـــثله، وأسلم رجل كان إسلامه مهماً في تاريخ المســـلمين في هذه البلاد واسمه (عمر الفاروق) وذلك أنه أسلم في عام ١٩٩٠م فتبرع بأرض كان يملكها ولا يملك غيرها للمسلمين بأن يجعلوها مسجداً، وسوف يأتي الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله.



الزقاق الموصل إلى مسجد باتا

وقد يسمونه المسجد فقط، وذلك أن مدينة باتا ليس فيها إلا مسجدان أولهمـــا مسجد الهوسا الذي بني قديماً ، ولكنه كان صغيراً، وفهم الناس أنه خـــاص بالهوسا، لأنهم الذين بنوه، وعمروه بالصلاة، وهو أول مسجد بني فـــي المدينة، والثاني هذا المسجد الذي يصح أن يسمى بالمسجد الوطني لأن المســـلمين جمـــيعاً اشـــتركوا أو أكثرهم في بنائه على اختلاف عناصرهم وقبائلهم، وكان للمسلمين الغينيين أهل البلاد نصيب كبير في ذلك، حتى إن أرضه كلها وهبها أحد المسلمين الغينيين الجدد للمسلمين تبرعاً واحتساباً.

انتقلنا إلى المسجد مشياً على الأقدام لكونه مجاوراً لفندق (أبارتامنتو) الـــذي نسكن فيه، وجدنا أرضه فسيحة نسبياً تنهض فيها أشجار مثمرة ترى قبل الدخول إلى المسجد منها الباباي والأنبه (المانجو) والموز.

ويقـــع فـــي منطقة غير مكتظة بالسكان، وإنما تتفرق فيها البيوت المـــنفردة لذلك ليس له جيران ملاصقون قد يضايقونه أو يتضايقون منه إذا كـــانوا غير مسلمين، ولذلك تحيط به أعشاب برية أو إن شئت قلت: وحشية بمعنى أنها نبتت من دون زراعة، وإنما نمت على المطر الكثير

وبسبب الخصب الزائد في الأرض حتى إن بعضها يزيد طوله على قامه الــرجل، وفي زقاق يصل المسجد بالشارع القريب منه كان الزقاق خالياً مــن الزفــت مفروشاً بالنبات حتى لا أرى أرضه، وفيه خضرة عجبت لمعالجتهم وجودها إذ أخذوا من هذا النبات الوحشي ودفنوها به فصارت كأنما هي بقية أرض الزقاق مفروشة بالأعشاب الخضر الكثيفة.

دخلــنا إلــى فــناء المســجد المكشوف مع باب رث المنظر فرأينا فيه مدرســة خشــبية غــير متقنة البناء أو لنقل: إنها غير متقنة الصنع إذا كانت إقامــة البــيوت من الخشب لا تعد بناء وهي تعد بناء بلا شك وإن لم تكن من الطيــن أو الأســمنت والحجارة، ونحوها من المواد غير النامية، لأن العرب القدمــاء كــانوا قد عبروا عن نصب بيوت الشعر بأنه بناء حتى إنهم استعملوا مجــازاً يــدل علــى زواج الرجل بالمرأة من ذلك كقولهم (بنى الرجل بأهله) بمعنى تزوج، وأصله من كون العربي القديم ينصب بيتاً من الشعر لزوجته.

وفي الفناء أيضاً مجموعة من بيوت الخلاء لا بأس بها بالنسبة إلى الوضــع العــام فــي البلاد وخلفها ركن مكشوف ذكروا أنهم خصصوه لتجهيز أموات المسلمين، لم يستطيعوا أن يبنوا فيه غرفة لهذا الغرض.

المدرسة الإسلامية:

أما المدرسة الخشبية التي تشغل هذا المبنى الخشبي فإنها على هيئة غــرفة واســعة مســقفة بسقف من الصفيح غير الجيد، فيها ستة مقاعد خشبية، وبقية أرضها تراب خالٍ حتى من الفراش.

والأغــرب مــن ذلــك أن المدرسين فيها وهما اثنان أحدهما: هو إبراهيم سيسي من مالي يعلِم القرآن، وحسن ايسونو من غينيا الاستوائية، وكلاهما ليس له راتب ولا أي دخل.

ومــع ذلك ذكروا أن عدد التلاميذ يصل إلى مائة مع أنها لا تتسع لذلك العدد، إلا إذا كانوا يجلسون فيها على الأرض متلاصقين، مع أنهم ذكــروا أنهم من الجنسين: الذكور والإناث، ولكن الحديث عن الاختلاط فــي هذه البلاد أمر ليس بذي بال عندهم، لأنه موجود في كل مكان منذ الصغر حتى المشيب.

وذكروا أن أحد المسلمين يأتي للتدريس في المدرسة في بعض أيام الأسبوع محتسباً أيضاً.

قصة مؤثرة:

دخلــنا إلــى المســجد الذي رفعوه عن الأرض احتراماً له، ومنعاً لدخــول الحشــرات، لذلــك لابد للدخول إليه من الصعود عدة درجات، وحسناً فعلوا فوجدناه واسعاً مرتباً مفروشاً ببساط موحد (موكيت) ومضاء إضــاءة جــيدة بالكهــرباء، وفيه مراوح فهو أفضل من ناحية المظهر والعناية من مسجد (مالابو) القديم الذي سبق ذكره.

وهو ذو محراب واسع غير مألوف عندنا وذلك أن المنبر في ركن من المحراب لسعته.

عقدنــا مــع هؤلاء الإخوة المسلمين الذين هم من قوميات مختلفة يجمــع بينها، بل وحد ما بينها الإسلام جلسة في المسجد حدثونا من أمر بــناء المسجد عجباً فكانت له قصة مؤثرة ذكروا أنهم كانوا متحيرين في كيفية الحصول على أرض للمسجد، وقرروا أن يتبرعوا فيما بينهم لشراء الأرض وأن يتركوها دون بناء حتى يجمعوا ما يكفي لذلك فجمعوا شيئاً مــن المــال، إلا أنهم فوجئوا بأحد الإخوة المسلمين الجدد واسمه (عمر فــاروق أوروكو) وعمر فاروق اسمه الإسلامي الجديد ولم تمض على

إسلامه إلا أشهر يأتي إليهم ويعلن لهم أن لديه أرضاً لا يملك غيرها وأنه يريد أن يقدمها هدية للمسلمين ليقيموا عليها المسجد، قالوا: وكانوا جمعوا قليلاً من المال لشراء الأرض فعرضوا عليه أن يعطوه إياه مقابل الأرض، فرفض ذلك، وقال: إنني أرجو ثواب ذلك عند الله.

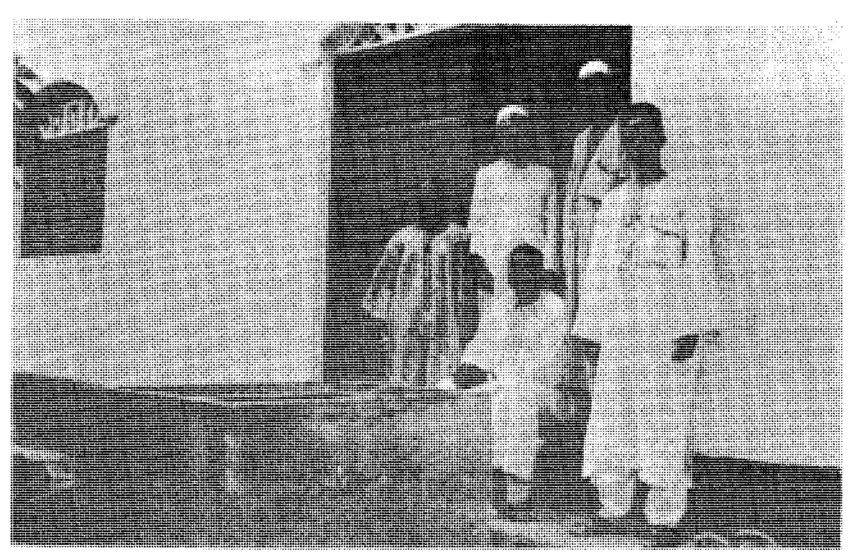
فلما رأوا صدقه أضافوا ما استطاعوا جمعه من المال واشتروا به المواد اللازمة للبناء من الحديد والأسمنت والرمل، والزنك اللازم لسقف المسجد، وقرروا أن لا يصرفوا أي شيء على العمال منه، و إنما يقوم المسلمون بالعمل بأنفسهم، فكانوا يجتمعون على العمل في أيام العطلة الأسبوعية وهما السبت والأحد ويأتون كلهم رجالاً ونساء يعملون بأيديهم في المسجد إلا ما لا يستطيع عمله إلا الفنيون، ولم يكونوا يملكون من المال عندما بدءوا العمل في المسجد إلا ثمانين ألف فرنك غربي إفريقي (سيفا) وذلك يساوي ثمانمائة فرنك فرنسي أي حوالي (٦٤٠) ريالاً سعودياً، ولكن الله سهل أمرهم، إذْ حصلوا على تبرعات من بعض المحسنين ومن أهم ذلك (٢٠٠) ألف فرنك (سيفا) من أحد الإخوة المحسنين من (ليبرفيل) عاصمة الغابون وفيما عدا ذلك لم يتسلموا أي مبلغ ولو من خارج البلاد، مع أنه كلفهم (٣٧) مليون فرنك حتى تمت إقامة هذا المسجد الذي يعد مفخرة لهم.

فسألتهم عن المصاريف المتكررة للمسجد من ماء وكهرباء وغير ذلك فقالوا: أما الماء فإننا لا ننفق عليه شيئاً لأننا عند البناء حفرنا هذا البئر الذي سوف ترونه ووضعنا عليه دلواً نخرج منه الماء للوضوء ويأتي في العادة أحد الأقوياء من الشبان والرجال فيملأ هذه الأباريق والعلب بالماء ليجعلها جاهزة للوضوء.

وأمـــا الكهـــرباء فإن المصلين يوم الجمعة يسهمون بما يستطيعون للمسجد فنجمعه فننفق منه.

قالوا: والذي يهمنا هو أمر هذه المدرسة فأولادنا من دون تعليم لن يفقهوا دينهم، وبخاصة أولاد المسلمين الجدد الذين هم محتاجون إلى من يعلمهم أمور دينهم فضلاً عن أولادهم.

وعاد الحديث عن الأخ المسلم الجديد (عمر فاروق أوروكو) الذي تـــبرع بـــالأرض للمسجد وذلك عندما أشاروا إلى بيته المجاور للمسجد فذكـــروا أنه اسلم هو وزوجته التي تسمت بعد إسلامها باسم (مريم) وله مـــنها ٨ أولاد كلهم أصبحوا من المسلمين، وإنه ليس له أي دخل إلاّ من وظيفة صغيرة يأخذ منها راتباً ضئيلاً من الشرطة.



عند أحد بابي مسجد باتا بجانب البئر المبارك

وقطعنا الجلسة معهم لنشاهد هذا البئر المبارك الذي ذكروا أن ماءه نفعهـــم أثـــناء البـــناء لأنهم استعملوا الماء منه، كما نفعهم في استعماله

للوضوء منذ أن حفروه حتى الآن، وقال أحدهم: إنه ينبغي أن يسمى (بئر زمـــزم) لأنهـــم لا يعرفون بئراً قريباً منه انتفع به أهله مثل هذا إذْ ماؤه صـــافٍ عذب صالح للشرب، وقد رأيت أحدهم شرب منه، ورأيت الماء صـــافياً رقراقاً، ولكنني لم أذقه مع اعتقادي بأنه انظف وأصح من الماء الذي ترسله الحكومة للبيوت، لأن ماء الحكومة في ظني لا يلقى العناية الكاملـــة فـــي تنظـــيفه وصيانته عن التلوث بالجراثيم، وبالمواد الأخرى الضـــارة، أمـــا هذا فإنه مصون عن هذه الأمور إلا إذا ألقيت فيه تعمداً، وهذا غير محتمل، ولم يقع ولا مرة واحدة.

ومـــاء البـــئر قريب لا يزيد عمقه على ثلاثة أمتار، ولكنهم رفعوا حلقته رفعاً من أجل إبعاد الخطر عن الأطفال فزادوها لأكثر من متر تقريباً.

والـــذي أخذته فيه هو أن موقعه عند مدخل للمسجد فرعي، بحيث يضـــايق الداخلين، ولا يكون لائقاً لمن يدخل المسجد أن يشاهده، ويشاهد المتوضـــئين، مع العلم بأن محلات قضاء الحاجة والاستنجاء لها أماكن بعيدة منفصلة كما قدمت.

والأمر الثاني الذي ذهبنا لرؤيته هو بيت الأخ المحسن على حاجته (عمر فاروق اوروكو) وذلك لرؤيته والسلام على زوجته الأخت مريم، وإلا فإنـــه يعمل الآن في (مالابو) العاصمة وليس موجوداً في (باتا) في الوقت الحاضر.

ســـلمت الأخـــت (مريم) من بعيد بخفر وحياء الأخت العريقة في الإســـلام مـــع أنـــه لم يمضِ على إسلامها إلا أقل من ست سنين، فشكرتها وزوجها على التبرع بالأرض للمسجد، وقلت لها: إنني أرجو إبلاغ سلامنا وتقديـــرنا لزوجها الأخ (عمر فاروق) وأننا نسأل الله تعالى أن يخلف عليه

ما انفق في سبيله بركة في المال والولد.

وبيتها ملاصق للمسجد.

هـذا وقـد عدنا إلى المسجد فرأيت أنهم حجزوا الزاوية الشمالية الغربـية بحاجز من قماش لصلاة الأخوات المسلمات، مثلما يكون عندنا في ليالي شهر رمضان.

ورأيـتهم علقـوا لوحـة عـند محراب المسجد كتبوا فيها أوقات الصلوات بالحروف العربية واللاتينية ومعانيها كلها بالعربية.

وأخـبرونا أن عدد الذين يحضرون لصلاة الجمعة في العادة يكون في حدود (٣٠٠) مصلٍ، وفي الصلوات الخمس اليومية ما بين ١٠٠ إلى ٧٠ وقـد صـلينا معهم بعد ذلك فبلغ عدد المصلين أربعة صفوف مما يساوي العدد المذكور على وجه التقريب.

ثـم خرجـت من المسجد التمس زاوية ألتقط منها صورة عامة للمسجد فرأيـت مـنارته غريـبة الشكل فهي واسعة ولكنها لا تمت إلى ما نعرفه من أشـكال المـنارات فـي بلادنـا بصـلة، وإنما ذكروا أنهم رسموها بأنفسهم ووضعوا فوقها هلالاً تتوسطه نجمة، وهذا شعار المسلمين كما هو معروف.

ويقع المسجد في حي اسمه (أودو بوا انبجولو).

والتقطـت صـورة للشارع الذي عليه المسجد وتطل عليه فروع الأشجار المثمرة من الموز والأمبة (المانجو) الضخمة.

هذا وقد انتهى اجتماع المسلمين وما تبعه في الثانية عشرة والربع ظهراً، حيث عدنا إلى الفندق.

جولة في مدينة باتا:

اسمها على اسم نهير صغير مأخوذ من اسم جبل بعيد نوعاً ما اسمه (باتا) كان يقع عليه طير يسمى بهذا الاسم فجاء أناس من الذين كانوا يسكنون قرب ذلك الجبل وسمو النهير (باتا) على اسم الجبل ومن ثم صارت المدينة اسمها (باتا).

ولم أجد منهم من يعرف عدد سكان المدينة، فالقوم ليس لديهم من الوعي بالأمور العامة أو الاهتمام بها ما يجعلهم يعرفون ذلك.

والقصد من هذه الجولة هو الإطلاع على معالم المدينة ورؤية المسجد الأول فيها المسمى (مسجد الهوسا) إضافة إلى جماعة (الهوسا) الذين هم من سكان شمال نيجيريا في الأصل، وتوجد منهم جماعات في عدد من الدول الإفريقية غيرها مثل بنين والكاميرون.

وكان المؤرخون من بلادهم الذين كتبوا اسمهم بالعربية يسمونهم (الحَوْس) ويكتبون هذا الاسم بالعربية بالحاء يضبطونه بفتح الحاء وإسكان الواو ثم سين غير ممدودة، وممن فعل ذلك الشيخ محمد بللو ابن الإمام الكبير مؤسس الدولة الإسلامية الإصلاحية في شمال نيجيريا في العصور المتاخرة (عثمان دان فودي) وذلك في كتابه (إنفاق الميسور من تاريخ بلاد التكرور) وقد ذكرت ذلك في كتابي (قصة سفر في نيجيريا) الذي طبع في مجلدين.

نسب هذا المسجد إلى (الهوسا) لأنهم الذين أقاموه ثم عمروه، ولا يزال أكثر المصلين فيه منهم، مع أنه يخالطهم فيه غيرهم لأنهم لا يمنعون أي مسلم أراد الصلاة في المسجد من أن يصلي فيه بطبيعة الحال.

هـــذا وكـــان خروجـــنا من الفندق لهذه الجولة في الساعة الرابعة عصـــراً، وهـــو أمـــر سار لأن الكهرباء كانت مقطوعة عن الفندق منذ الصـــباح، بخــلاف الماء فإنه كان جارياً في الغرفة منذ أن حللنا فيها لم ينقطع وهكذا استمر حتى رحلنا عنها، وهذا أمر جيد يستحق التنويه.

وعلى ذكر الماء أقول: إنني لاحظت في هذا الصباح أن نسوة من الخادمات وغيرهن جئن إلى خزان أرضي للماء وجعلن يأخذن من سطل فيه ويغسلن ملابس وغيرها وتأملت الخزان فإذا به يتصل بسقف غرف مـــن الفندق وهو سقف مسنم إلا أنهم جعلوا له حاشية فيها ارتفاع قليل، بحيـــث أن ماء المطر الذي يقع على السطح يسيل منه إلى أنبوب ينزل إلى الأرض متصل بهذا الخزان، وأخبرونا أنهم يستعملون هذا الماء الذي هـــو مـــن ماء المطر في غسل الثياب والتنظيف ونحو ذلك، وأن الماء الجـــاري فـــي حمامات الغرف يأتي إليهم بالأنابيب من بعيد ترسله لهم الحكومة كالمعتاد، وكنت طلبت في الساعة الثانية من خادمة خلاسية في الفـــندق ضـــعيفة البدن إلى درجة أنها تبدو مريضة أو كالمريضة قهوة فأحضرتها وهي لا تكاد تقوى على السير في علبة من (النسكافة) ومعها حليـــب مجفـــف، لـــم أقـــربه وكذلـــك سكر أحضرته معها وخبزة وزبدة، وأحضرت ماء حاراً في زمزمية لاستعماله في القهوة، حيث يضع الشارب مـــنه ما شاء لتكون القهوة خفيفة، أو ثخينة حسب طلبه، وحسبت ذلك بألف فـــرنك من فرنكات إفريقية الغربية، وعلمت بعد ذلك أن ثمن القهوة المعتاد عـــندهم هو خمسمائة فرنك ويساوي ذلك حوالي أربعة ريالات سعودية إلا ربعاً أي دولاراً أمريكياً واحداً، وهذا مقارب للاعتدال.

وعلى ذكر هذه الخادمة الخلاسية والخلاسي- كما قدمت- هو الذي يكون لونه بين السواد والبياض مثل كثير غيرها من الخلاسيين في البلاد قد وجدوا من اختلاط الإسبان أو غيرهم من البيض بالسوداوات من أهل

البلاد، وهذا أمر مألوف في كثير من البلدان التي سيطر عليها اللاتينيون فـــي إفريقية وأمريكا الجنوبية، ولكنني لاحظت هنا أن الخلاسيات كلهن تبدو عليهن علامات الوهن والضعف وقلة الصحة وقد اتفق معي رفيقي الشيخ الدكوري على ملاحظة ذلك فيهن، فأجمع رأيانا على أن مرد ذلك إلى أن الجو هنا ليس مناسباً لعيش غير السود الخالصين للسواد.

ومـــن الطـــرائف أنني لاحظـــت بالقـــرب من غرفتي أن دجاجة من دجاجـــات عـــندهم كانت تأتي فتربض على المقعد الموضوع في رواق الغرفة كأنمـــا تريد أن تبيض فيه فانهرها، وأطردها عنه وأنا اكتب فتنفر إلا أنها تظل تكاكـــي أي تصـــوت فتضايقني وقد طردتها خادمة سوداء فعادت، والثاني أن حـــرباءات -جمـــع حـــرباء- وهـــي هذه الزواحف كانت تتبختر قرب الغرفة تذهب وتجئ وأنا أراقبها خائفاً من أن تدخل فيها فتكون في فراشي.



الشاطئ الرملي في باتا

وكانــت الجولــة بصــحبة الأخ الكريم محمد موربا نائب رئيس الجمعية الإسلامية، وعلى سيارته مع الأخ حسن ايسيسونو المسلم الغيني الجديد الذي سبق ذكره.

وكان الجو غائماً عندما خرجنا من الفندق إلا أنه كان حاراً رطباً، ولم ينزل مطر يلطف الهواء.

ومــررنا بالفندق الإسباني نلتمس عنده غرفة قد تكون خلت لأن وجود المطعم فيه أمر مغر بالنسبة لفندقنا الذي ليس فيه ولا فيما حوله مطعم.

ولــم نجد فيه غرفة خلت، وإنما تأملناه وبخاصة جزء خشبي منه مــرتفع فوق شاطئ البحر حيث يقع الفندق، وقد أخلقَّ خشبه وأثر عليه الماء والرطوبة ففسد مما يدل على أن هذا الفندق كان مزدهراً قبل ذلك، وحــتى الآن يعز الحصول على غرفة فيه لقلة الفنادق في المدينة، وكان ســائق سيارة الأجرة الذي نقلنا من المطار إلى المدينة قال: إنه لا يوجد فيها من الفنادق التي فيها الماء والكهرباء إلا اثنان هذا أحدهما.



القرد الشمبانزي في الفندق الإسباني

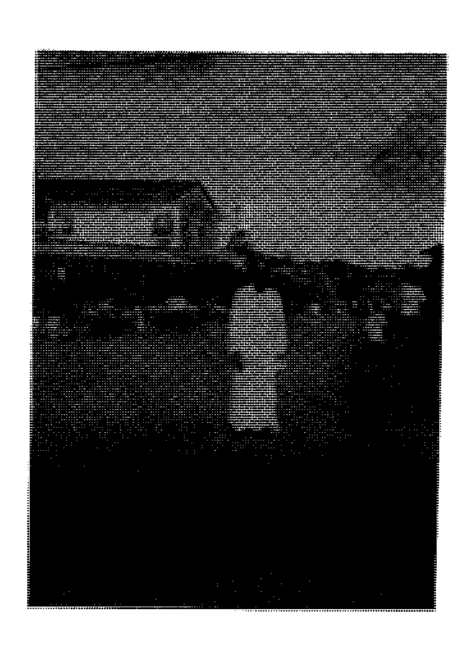
ولـــم تضـــع زيارتـــنا له سدى، إذ رأينا فيه قرداً صغيراً من نوع الشـــمبانزي المشهور بذكائه ولكن القرد صغير ومربوط بسلسلة حديدية، قالت خادمة في الفندق: إنه لم يستأنس بعد فقد اشتروه ممن حصلوا عليه من الغابة، ويريدون أن يألف الحياة المستقرة هنا، وقد التقطت له صورة واطلعنا على كيفية تصرفاته.

ثم كانت لنا وقفة على شاطئ البحر الطويل بالنسبة إلى هذه المدينة وهـــو شاطئ جيد فيه قسم رملي جميل صالح للسباحة والسير والركض علـــيه، وفيه قسم آخر صالح للتنزه حوله، وقد بنى الإسبان حول البحر حائطـــاً قصيراً جيداً، قوياً من الحجارة يمنع طغيان أمواج البحر المعتادة علـــى المدينة، ولكن ما من مستمتع بهذا الشاطئ من سابح أو سائح، بل إنه متروك لا يبالي به أحد.

السوق المركزية:

انتقلـــنا بعد ذلك إلى السوق المركزي ويسمونه (ماركاتو بو بليكو) بمعـــنى الســـوق العامة، ويقع فوق ظهر تلة لم تخفف الحكومة عند بدء البناء بها من ارتفاعها أو تعمل على تسويتها، فصار الطريق إليها يصعد إلى هذه السوق فيجده مرتفعاً ثم ينزل منه.

وكانـــت الوقفـــة عند حانوت لأحد المسلمين من غرب إفريقية عليه القميص العربـــي الـــذي هـــو رمز للباس المسلمين في هذه البلاد، وهو تاجر من مالي ما لبـــث أصـــحاب بعـــض الحوانيـــت أن الـــتفوا علينا تجذبهم ملابسنا الوطنية، فأنا بالقميص العربي ورفيقي الدكوري يرتدي الملابس المالية الفضفاضة.



المؤلف في سوق باتا

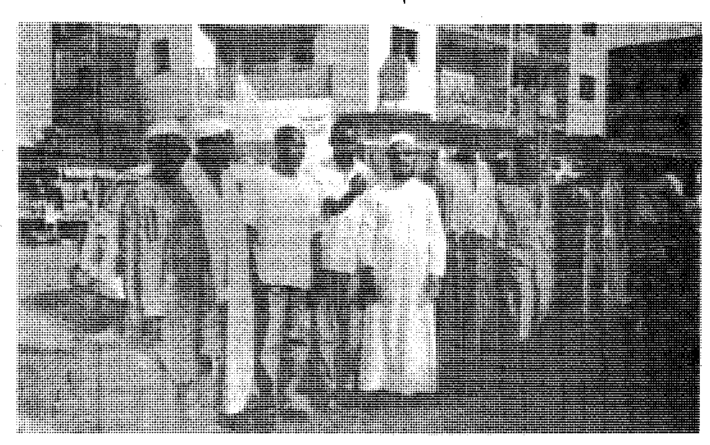
وقد عرفنا من هؤلاء الإخوة المسلمين بأن معظم تجار السوق من المسلمين ومن أهل غرب إفريقية من أقطاره المتعددة: مالي والسنغال والكاميرون ونيجيريا.

وتجارتهم تشمل أكثر الأشياء من الصغيرة إلى المتوسطة فصاحب الحانوت الذي وقفنا عنده رأيت عنده ملابس وأواني في داخل الحانوت وفي خارجه أشياء أخرى منها بصل مستورد من الكاميرون، وأعجب لبلد يشكو أهله من كثرة الخضرة والماء ويستوردون البصل من الخارج، ولا يصح القول بأن البصل لا ينمو في بلادهم فالمعروف أن بعض أنواع البصل وبخاصة الأخضر منه ينمو في المناطق الاستوائية.

والأغرب من ذلك أن اللحم يستورد مع أن تربية الحيوان وبخاصة الصغير مثل الماعز والأغنام لا تكلف كثيراً، ولكن الأمر يتعلق بالخبرة والعناية، بل والوعي بالاهتمام بهذه الأمور.

ذكروا أن التجار من غير المسلمين هم الإسبان، وعددهم قليل ولكن

الشركات والتجارة الكبيرة بأيديهم وإن كان ينافسهم بعض التجار العرب اللبنانيين الذي سيأتي الكلام عليهم، والسوق نفسه وسطه مزفت تزفيتاً رديئاً، وليس له أرصفة وإنما عملوا عملاً غريباً، و هو أنهم أقاموا حاجزاً ضيقاً بمثابة أصل الجدار الذي يبنى بآجر مستطيل واكتفوا بذلك في تحديد المنطقة التي تسير فيها السيارات فصار ما وراء هذا الحاجز الذي لا يرتفع أكثر من شبر بمثابة الرصيف المخصص للمشاة ولأصحاب الحوانيت ليعرضوا فيه بضائعهم وأرضه غير مزفتة بل ولا مبلطة.



صورة تذكارية مع المسلمين في سوق باتا

هذا وقد التقطنا صورة مع بعض الإخوة المسلمين التجار في السوق، ولم أجد فيه ما يغري بالجولة وبخاصة أن الناس التفوا علينا ونخشى أن يفسر وجودنا وتصويرنا السوق وسط الجمهور على غير وجهه في هذه البلاد التي يخشى أهلها من مثل هذه الأمور.

حي المسلمين:

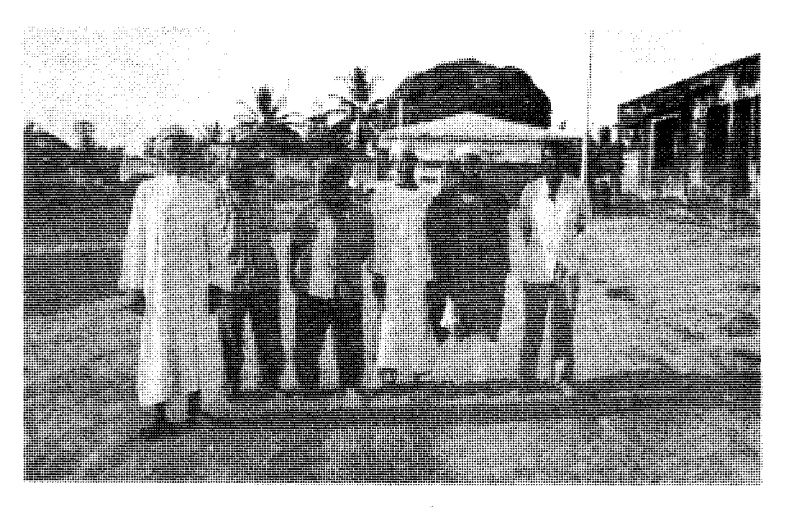
تركنا السوق العامة أو (ماركادو بوبليكو) قاصدين حي المسلمين العريق في (باتا) فسرنا مع شوارع البلدة التي هي أوسع من شوارع (مالابو) وأقل أزدحاماً، ولكنها تنافسها في السوء، وكثرة الحفر في

الطـــرق، والزفت المكسر في كل مكان مما صعب عملياً حتى كتابة اسم أحـــد الأشـــخاص في مذكراتي التي اعتدت على حملها وكتابة الأسماء ونحوها مما هو معرض للنسيان عليها.

ومـــع ســـوءها فإن الرفاق يقولون: إنها أقل سوءاً من شوارع (مالايو) واعـــتقد أنها معاً في سوء حالة الشوارع سيان وإذا كان لابد من الترجيح بقلة السوء فإن (باتا) هذه أرجح بمعنى أنها أقل سوءاً على ردأتها.

وصـــلنا حـــي المســـلمين وهذا وصف له وليس اسماً وإنما اسمه (نيونتن) ولا أدري معنى هذا الاسم الذي يبدو كما لو كان اسماً أوروبياً، ولم أجد من أهل الحي من يعرف أصل تسميته.

وأكثر البيوت فيه للإخوة المسلمين من الهوسا وكانوا هم مؤسسيه وأكثر ساكنيه، ولا يزالون، إلا أنه نزله معهم جماعات كلهم مسلمون مثل أناس من قبيلة (بامونيا) الكاميرونية المسلمة، وأناس من جماعات الفلاتي المعروفين في بلادنا وبعض بلاد الصحراء بالفلاتة أو الفلاتيين.



التقط المؤلف هذه الصورة لعدد من الإخوة المسلمين

في أحد شوارع حي المسلمين في باتا

والحــي الكبــير أجمل ما فيه سعة الشوارع وإن لم يكن فيها من صفات الشوارع الجيدة إلا السعة، لأن الزفت لم يعرف طريقه إليها، إلا أن الــذي يخفف من البلوى بذلك هو قلة السيارات، وكثرة الأمطار التي تلبد الأرض، وتكافح الغبار.

ويــتألف مــن بيوت متفرقة أي غير متلاصقة، بل تفصل بينها مساحات مــن الفــراغ، وإن يكــن هــذا الفراغ غير مشغول إلاّ بأعشاب نامية عفوية، وبأشجار من أشجار الظل غالباً ما تكون فيها شجرة مثمرة.

مسجد الهوسا:

وقفــنا عــند مسجد الهوسا الذي هو أقدم المسجدين الموجودين في مدينة (باتا) وهو قديم حقاً لأن تأسيسه كان قبل ٤٥ سنة، كما قالوا ولكننا لم نر فيه ما يميزه بأي شيء من ناحية المظهر عن البيوت الأخرى، فهو مبــنى مــن لبن الأسمنت ومسقف بالصفيح مثل أكثر البيوت في الحي، وأقلهــا هــو المقــام من الخشب المسقف بالصفيح فسقوف الصفيح أمر مشترك في كل البيوت، وهي سقوف كلها مسنم، من أجل أن تنزلق عنها مياه الأمطار الكثيرة فلا تتجمع فيها فيما لو كانت مسطحة.

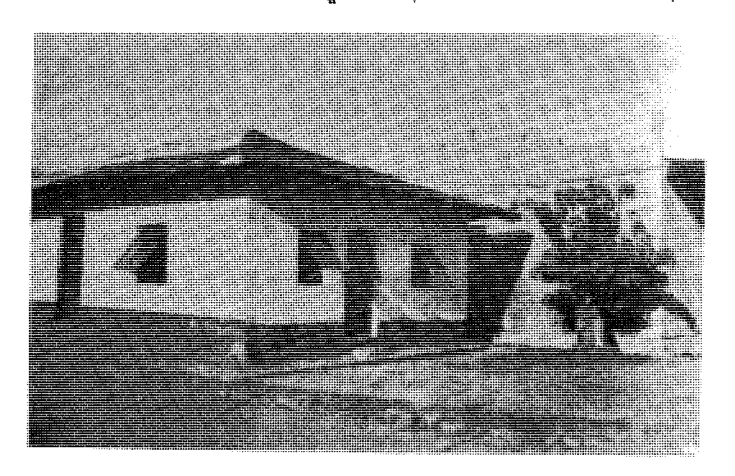
وجدنــا أحد الإخوة عند المسجد إلا أنَّ المسجد كان مغلقاً وذكر أن مفاتيحه عند الإمام فذهب الأخ (محمد موربا) بسيارته إلى بيت الإمام فأحضره.

ســلم علينــا الأخ الإمــام واســمه (علــي مالم توكو) من هوسا الكاميرون، وقد حضر إلينا وهو يرتدي الملابس العربية.

ذكر الإمام كما ذكر غيره أن أول من أسس هذا الحي هم المسلمون (الهوسا) غير أنه يضم الآن غيرهم من المسلمين من الفلاتة، و(البامون) وهــم مسلمون من الكاميرون، ولكن لا تزال الأكثرية للهوسا في الحي، وقــال أحدهم: إن الكثرة هي للتحدث باللغة الهوساوية لأنها مستعملة في

الحي أكثر من أية لغة أخرى..

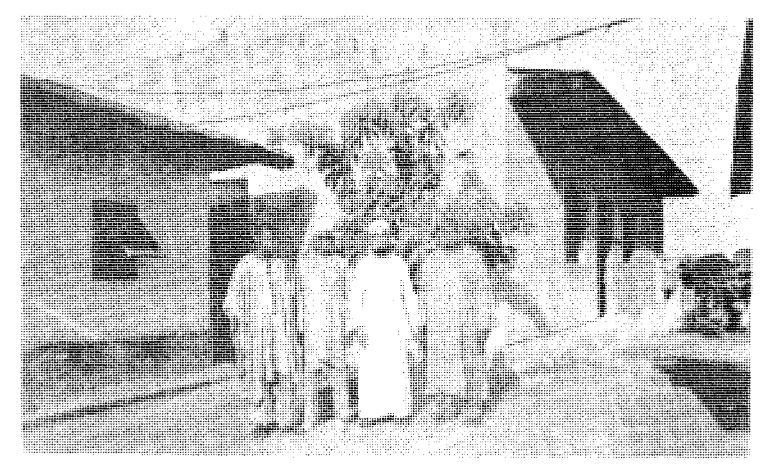
ومعـــروف أن الهوســـاوية لغـــة واسعة تتكلم بها جماعات متعددة الأعـــراق متقاربة المظاهر والطباع تسمى كلها الهوسا وإن لم تكن من قبـــيلة واحـــدة، ولذلك يتبادر إذا ذكر الهوسا إلى أذهان الناس في غرب إفريقـــية، أنهـــم المســـلمون المتكلمون باللغة الهوساوية، ونظراً لسيادة الـــنزعات القبلـــية فـــي المنطقة فقد صارت (الهوساوية) أشبه بالقومية، و(الهوســـاويون) مشـــهورون بأنهم تجار وحرفيون وجادون، ويشعرون بـــأنهم أرقـــى من القبائل الأخرى، لذلك يترفعون عنهم، ويترفع بعضهم عنهم حتى في الأمور الدينية فلا يصلون مثلاً في مساجد القبائل الأخرى التـــي يعـــتقدون أنها أقل منهم في المستوى، وأقل معرفة بشئون الدين، ولذلك يتهمهم الناس بالتعالي والانعزالية، بل وبالعنصرية، ولم يسلموا من مـــثل هذه التهم في هذه البلاد الغينية الاستوائية، فقال إخواننا المسلمون الأصلاء: إنهم دخلوا في الإسلام على أيدي المسلمين أهل غرب إفريقية الذيـــن جـــاءوا إليها بعد مجئ الهوساويين بزمن، لأن الهوساويين كانوا يترفعون عنهم، ولا يتعاملون معهم إلاّ في الأمور المالية.



مسجد الهوسا القديم في باتا

ولكـــن الهوسا كانت لهم مواقف محمودة بل مشهورة مشهودة في تـــاريخ الإســـلام فـــي بلاد نيجيريا ومن ذلك وقفتهم ضد انفصال شرق نيجـــيريا غـــير المســـلم الذي تقطنه قبائل الإيبو، وأعلنت انفصالها عن نيجيريا تحت اسم (بيافرا) وأيدتها في ذلك سلطات المسيحية في الفاتيكان لكونهـــم بإغلبيتهم من المسيحيين ويريدون أن يؤسسوا في شرق نيجيريا دولـــة تكـــون مسيحية كما أيدهم بعض قادة أوروبا الكبار مثل الجنرال ديقول رئيس فرنسا في ذلك الوقت، ومعنى تأييد الأوروبيين مدهم بالمال والســـلاح، ولكـــن الإخـــوة الهوساويين سكان شمال نيجيريا المشهورين بشـــجاعتهم وصلابتهم في دينهم قاوموا ذلك حتى أسقطوا تلك المحاولة وصـــدوها صداً، وألحقوا خسائر كبيرة بالعدو لابد أن يحسب لها كل من يحاول تحدي المسلمين في نيجيريا بعد ذلك حساباً، وطبيعي أنهم قاتلوا مـــع غيرهم من سكان نيجيريا، تحت راية جيش نيجيريا الموحدة وبقيادة قـــائد مســـيحي وإن كان مسلم الأصل هو الجنرال يعقوب قاوون، ولكن الواقع أن عماد الجيش النيجيري الذي كسب النصر هم الهوسا.

وعـــود إلى الحديث عن مسجد الهوسا فقد وجدنا المسجد مسجدين، ولم يخبرنا أحد بذلك من المسلمين من قبل، ولا أدري أذلك منهم من باب الجهل أو من باب عدم الاهتمام، إذْ رأينا المسجد القديم صغيراً متواضع المبـــنى فتحه لنا الإمام، وعقدنا فيه جلسة مع عدد قليل من المسلمين من أهل الحي، لأن زيارتنا لم تكن معلنة ولا مقررة الموعد من قبل.



تذكارية بين المسجدين الهوساويين
القديم والجديد في باتا على يساري الأخ محمد موربا

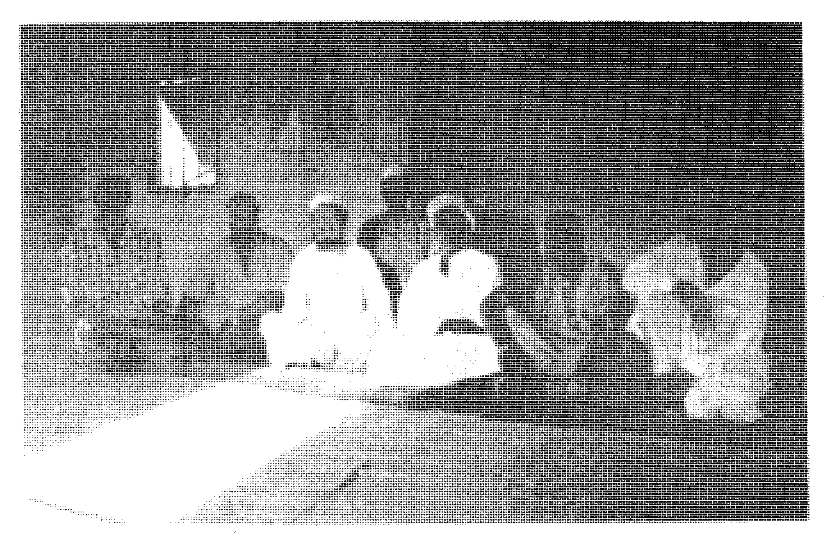
ووجدناهم يبنون مسجداً آخر جديداً واسعاً قد بنوه بأعمدة من الأسمنت القوي ووضعوا فوقها عوارض حديدية قوية ضخمة حتى تحمل سقف المسجد الواسع، ويدل بناؤه على السخاء العظيم في النفقة حتى إن مثل هذا المبنى لا تبنيه في الغالب إلا الشركات التجارية القوية، ولا يوجد مثيل له من بيوت المسلمين في الحي ولا في غيره فيما أعتقد.

وجدنا العمل متوقفاً فيه دون إتمامه مع أنه كاد يتم، وأخبرنا الإمام أن ذلك بسبب قصور النفقة وأنهم لم يكتبوا إلى أحد في البلدان العربية من أجل مساعدتهم على بناء المسجد.

والحقيقة أن مبنى المسجد متميز بقوته وعظيم ما أنفق عليه غير أنه ليس متميزاً بشكله فهيئته على هيئة المباني الأخرى، حيث أن حيطانه أعمدة من الأسمنت، وسقفه من الزنك القوي المقاوم للصدأ على شكل سنام البعير وهذا هو طابع البيوت في هذه البلاد وكان الأولى لهم أن يقيموه على هيئة المساجد المتميزة في شمال نيجيريا وأن تكون له قبة ومنارة، وما يزال بالإمكان إقامة منارة بجانبه، فلديهم أرض مجاورة للمسجدين رفعوها عن الشارع قليلاً ويصلى فيها إذا ضاق المسجد بالمصلين، كما يستعملونها أحياناً

مدرسة لتدريس الأطفال مع أنها خالية من البناء.

ويقــع المســجد الجديد بجانب المسجد القديم من جهة الشرق لا يفصل بيــنهما إلا نحــو المترين، ذكروا أنهم قصدوا ذلك من أجل أن يجعلوا المسجد القديــم مدرســة، لأن المدرســة عندهم كانت تحت ظلال شجرة ضخمة من المــانجو، ولقد عجبت عندما سألت الإمام عن مقر المدرسة، فأشار إلى ظلال الأشــجار، وقــال: تحــتها يجلس التلاميذ وتكون المدرسة، ولكن كيف تكون الحــال إذا كــان الجو ممطراً أو بارداً؟ والجواب أنه لا يكون بارداً أبداً، وأما المطــر فإنهم ألفوه يتقونه بأي شيء ما دام نازلاً، فإذا كف عن النزول انتهت المشكلة لأن مكان المسجد مرتفع وحتى المحلات الأخرى غير المسجد تذهب سيولها إلى البحر القريب المنخفض بالنسبة إلى موقع المدينة.



صورة مع الإخوة المسلمين في مسجد الهوسا القديم
في باتا على يساري إمام المسجد علي بن مالم توكو

كــنا نــتحدث مــع الإمام داخل المسجد وفيما حوله وعدد الإخوة المســلمين يزداد إذ يسترعي انتباههم وجود سيارة عند المسجد وهؤلاء

القــوم الذين جاءوا إلى المسجد في غير وقت صلاة- وقد سررت بذلك لأنه يوثق المعلومات، ويشعر المسلمين بوصولنا وأننا سوف نقدم مساعدة رمزية عاجلة لإكمال بناء المسجد الجديد.

قــال الإمام والقوم يسمعون: يبلغ عدد المصلين يوم الجمعة ما بين ١٢٠ و١٥٠ وفـــي الصلوات اليومية ما بين ٣٠ إلى ٤٠، وذكر أن عدد المســلمين في هذه البلاد يزداد، وقال: لا تكاد تمر جمعة إلا ويدخل إلى الإســلام فــيها أنــاس ومرة يكون عدد الداخلين في الإسلام اثنين ومرة ثلاثة، وآخر جمعة صليناها دخل في الإسلام أربعة أشخاص.

إن هــذا أمر مفرح وفيه رد على من قالوا: إن الهوساويين لا يدعون إلى الإسلام إلا إذا كانوا لا يعتبرون هذا دعوة، ويعتبرون أنهم دعاهم غير الهوســاويين إلى الإسلام فأعلنوا إسلامهم في الجامع لأنه يضم الهوساويين وغــيرهم، وعلـــى أية حال فقد حاولت أن أسأل الإمام عن هذا الموضوع غــير أننـــي خشيت أن يعتقد أن أحداً من المسلمين غير الهوساويين ذكرهم عندي بسوء، فينشأ عن ذلك ضرر على العلاقات بينهم.

قلـــت للإمام (علي مالم توكو): هل تعطون من يدخل في الإسلام شهادة بذلك أو حتى ورقة تثبت أنه صار مسلماً؟ فقال: لا، قلت له: كيف يعــرف الآخــرون بإســلامه إذا أراد أن يتعامل مع المسلمين على أنه أحدهم؟ فقال: الناس يعرفون ذلك.

وهـــنا سألت أيضاً الأخ (محمد موربا) نائب رئيس الجمعية الإسلامية وهــو من مالي عما إذا كانوا هم يعطون المسلم الجديد شهادة بإسلامه حتى يســتطيع أن يــتزوج بمســلمة، وأن يعــرف الناس ذلك معرفة تحريرية قانونـــية، فذكر أنهم يسجلون اسم من يسلم مع أسماء المسلمين الذين يوجد

لديهـم سـجل لهم جميعاً، ويكتفون بذلك عن إصدار شهادة أو ورقة تثبت إسلامه، لأن المدينة صغيرة والمسلمون يعرف بعضهم بعضاً فيها.

هـذا وقـد لاحظت أن نائب رئيس الجمعية الإسلامية المختلطة وهو مالـي لـم يعلق بأي شيء على الكلام فكان موقفه وتصرفه يتسم بالحصافة والعقل، وذلك ما عرفته عنه إضافة إلى نشاطه الجم، وفهمه لأمور الحياة.

وتلك صفة عرفتها عن الإخوة الماليين- أهل مالي- وليست غريبة عليهم لأنهم شعب ذو أمجاد عريقة، وقد ذكرت ذلك في الكتاب الذي ألفته عن مالي بعنوان: (سطور، من المنظور والمأثور، عن بلاد التكرور).

عـدت إلـى سؤال الإمام والإخوة الذين معه عن المدرسة فأكدوا جمـيعاً أنهـا موجودة وأن مدرس المدرسة موجود، وأنه ليس لها مقر خـاص مبني، وإنما تدرس في الخلاء حيث يجلس الطلاب على العشب الذي يكون لهم بمثابة الفراش وقد أراني إياه بجانب المسجد، أما مدرس المدرسـة فإنـه سـائق يعمل في القنصلية النيجيرية في المدينة، يدرس الطلاب في أوقات فراغه وفي العطلة الأسبوعية.

كمـا أن الإمـام نفسه يدرس في المدرسة أيضاً وهنا سألت الإمام الذي يؤم المسلمين في الصلاة ويدرس صغارهم مشاركاً للمدرس السائق عمـا إذا كان يتقاضى راتباً من جهة معينة فنفى ذلك، وذكر أنه ليس له أي راتب من أية جهة، فقلت له: ألك أسرة وأولاد؟

فأجاب: نعم، عندي أربعة من الولد، فقلت له: من أين تعيش؟ قال: يعطيني بعض تجار المسلمين بضاعة صغيرة أبيعها وأعيش من ربحها.

ولاشك أن هذا لا يكفي أسرة ولكن ربما كان يأتيه من الإخوة المسلمين القادرين أشياء مع أنه فيما توسمته فيه صادق اللهجة، متزن الكلمة.

وقــد كرر ما قالوه لي من قبل من كونهم سيتخذون المسجد القديم مدرسة عندما ينتهي العمل في المسجد الجديد، ويبدعون الصلاة فيه.

وقــد قلت للإمام وجماعة المسلمين من أهل الحي: نحن إخوانكم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة جئنا إلى هنا لرؤية المسجد فســرنا ما رأيناه من العمل العظيم في هذا المسجد الجديد ولذلك نستطيع أن نقدم مساعدة مالية رمزية لإكمال المسجد فأرجو أن تحضروا إلينا في الفندق في الساعة التاسعة من صباح غد ويكون عددكم لا يقل عن أربعة أو خمسة فيهم الإمام ورئيس الجمعية الإسلامية أو رئيس جماعة المسجد ونائبه وأمين الصندوق.

قلــت ذلك ليعلم الجميع أمر المساعدة حتى يكون ذلك أدعى للتوثق من صرفها، مع أن هؤلاء الإخوة الذين سخت نفوسهم ببناء هذا المسجد العظيم لا يخشى منهم على المبلغ الضئيل نسبياً الذي سنقدمه لهم.

حي نفي فيسلا:

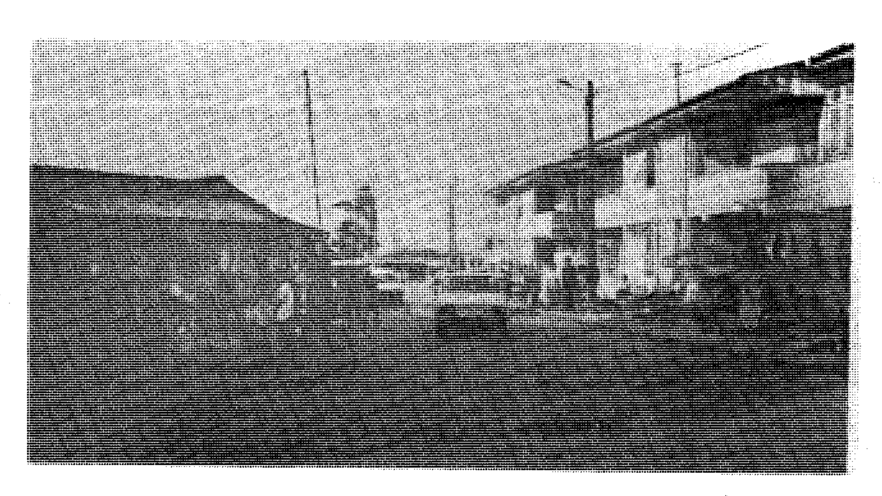


مع المسلمين من تجار الأحذية في حي نفي فيسلا في باتا

ودعنا الإمام وصحبه الكرام من أهل الإسلام في حي المسلمين هذا حي (نيونتن) وسرنا بالسيارة مع شوارع الحي الذي لم نر فيها أية نقطة فضلاً عن أية رقعة من الزفت، وحتى أرضها تركت على طبيعتها غير المستوية تماماً تهبط فيها الشوارع والأزقة وترتفع ومعها البيوت حتى وصلنا إلى حي مجاور اسمه (نفي فيسلا) ولا يعتبر حياً إسلامياً، بل إن المسلمين فيه قليل، وقد رأيت اثنين من المسلمين لهما حانوت أخرجا بعض بضائعه إلى ما يصح أن يسمى رصيف الشارع بمعنى جانبه وإن لم يكن فيه رصيف فوقفنا عليهما، وسلمنا عليهما والتقطنا صورة معهما.

ومعنى اسم الحي (نفي فيسلا): الحي الجديد بلغة (فنك) وهي إحدى اللغات المحلية في باتا ومنطقتها منسوبة إلى قبيلة (فن) كبرى القبائل في غينيا الاستوائية أو من أكبرها وقد ذكرني لفظ (فنك) الذي هو اسم لغة قبيلة (فن) بما رأيته في الغابون من هذه القبيلة وما سمعته عنها.

ثم واصلنا الجولة في المدينة التي كانت حالة الشوارع فيها مؤلمة مزعجة أما ألمها فمن الحركة والتمايل يميناً ويساراً بسبب الحفر (المطبات) فيها ومن القفز و النزول في تلك الحفر بالسيارة، وأما إزعاجها فمن السيارات الكبيرة الناقلة التي تسير بعجلاتها وما يخرج منها من هواء فاسد يثير الغبار ويلوث الهواء، فأرونا مبنى كبيراً اسموه (قصر المؤتمرات) ولم ندخله ولم أرغب في دخوله لأنه مجرد مبنى من تلك المباني الموجودة في أكثر البلدان، وليس له طابع محلي مميز.



أحد شوارع باتا الجيدة

غـير أن اللافـت للـنظر أن الذين بنوه لهم هم الكوريون، وأن العربي مثلـي يتطلع إلى مبنى أو أثر مما بناه العرب وأهدوه إلى هذه البلاد المحتاجة إلـى مـثله في هذه المرحلة المبكرة من تاريخها الاستقلالي الذي ليست لديها فيه المقومات المالية والفنية لكي تبني ما تحتاجه بجهودها الذاتية.

ولـم أر شيئاً من ذلك للعرب، ولم أشأ أن أسأل المرافقين حتى لا أثير فيهم روح التذمر من العرب.

سوق مندواسي:

مررنا بسوق اسمه (مندواسي) ذكر المرافقون أنه السوق الثاني في مديـنة (باتـا) شـوارعه غاية في السوء بحيث تجاوزت مرحلة تكسير الزفـت ونشـوء الحفر إلى مرحلة أن يكون الطين الذي تحت الزفت قد أصبح حفراً وأجزاء ممزقة متفرقة تثير السيارات فيها الغبار رغم وجود المياه في الأماكن المنخفضة منه التي تخلفت من مياه الأمطار.

ورأيـت فـي هذا السوق بسطات وهي البضائع المعروضة على الأرض أو فـوق أشياء ترفعها عن الأرض مثل (الكراتين)، والأخشاب

ونحو ذلك، وفيها عدة أماكن يباع فيها خبز قليل، كل بائع لديه مقدار منه يبـــيعه، وخـــبزهم كالإفرنجي الطويل الموجود بكثرة في جنوب أوروبا وفرنســـا، وهناك من الفاكهة برتقال استوائي أخضر صلب القشر، ولكن ذلك كله بمقادير قليلة.

وأكثر المعروضات في السوق نزرة قليلة.

ولـــم يطب للإخوة الوقوف في هذا السوق فتركناه وأرونا فجأة حَيًّا فيه أبنية من الأسمنت أشاروا إليه وقالوا: هذا حي المدارس.

كانت السيارة تتماوج في الشارع لسوء حالته ولما أبديت انزعاجي من ذلك قائلاً: ألا يمكن لحكومتكم أن تعمل شيئاً لإصلاحها؟ قال حسن: لقد بدأنا (البترول) في مالابو.

يشـــير بذلك إلى ما عرفناه من أن إحدى الشركات الأجنبية وأظنها أمريكـــية بدأت حفر بئر تجريبية للبترول في منطقة (مالابو) وقد انتهوا من حفر البئر الأولى وبدءوا الثانية وذكروا أن النتائج تبشر بالخير.

يـــريد الأخ حسن من ذلك أن بلادهم سيكون فيها (بترول) تصدره وتصلح الشوارع من ريعه.

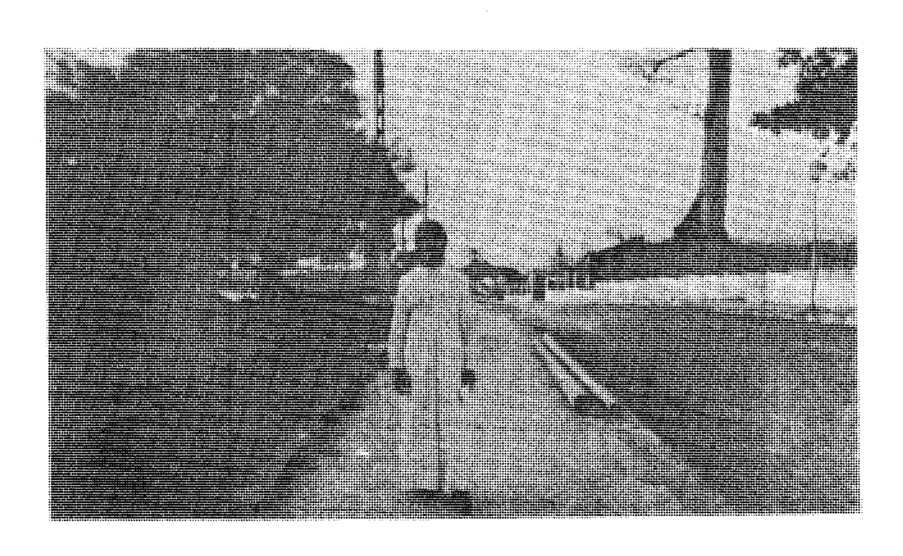
الحجز على الهواء:

أذكـــر أننـــي كنـــت مرة في مدينة (تانا ناريف) عاصمة جزيرة مدغشقر فحجزت للسفر منها إلى مروني عاصمة جزر القمر من مكتب للسياحة في جزيرة رينيون المجاورة عندما كنت فيها قبل الوصول إلى مدغشـــقر، فلمـــا أردت تأكيد الحجز من مكتب الشركة تلك في مدغشقر كـــان فيه فتاة خلاسية ضحكت عندما رأت حجزي قائلة: لقد حجزوا لك

على الهواء دون طيارة، إذْ لا توجد رحلة إلى جزر القمر في هذا اليوم، ولا توجد أية طائرة تسافر إليها من مدغشقر.

وقـد اسـتعدت هـذه الواقعـة بعـد أن تكشف الأمر المتعلق بالحجز والـرحلات فـي هـذه الـبلاد، فعندما كنا في (مالابو) أردنا السفر منها إلى (سـاوتومي) فأخبرونـي فيما نقله عنهم الشيخ الدكوري مترجماً من الفرنسية أنـه لا توجد لها رحلات من مالابو إلا يوم الاثنين القادم، فطلبنا أن نسافر إلى (باتـا) فذكـروا أنهـا لا توجد لها رحلات يوم الأحد، إلا أننا علمنا من سائق السيارة الذي كان معنا أنه توجد رحلة يوم الأحد وهي التي قدمنا معها.

وفـي المطـار عرفنا بوجود رحلة يوم الاثنين بعده، ولكننا لم نتمكن مـن السفر عليها. وقد اجمعنا بناء على مشورة القوم في (مالابو) أن نسافر مـن باتـا إلى ليبرافيل عاصمة القابون ومن هناك نذهب إلى (ساو تومي) فطلبـنا من السائق الذي نقلنا من المطار إلى المدينة أمس أن يمر بنا على مكتـب الخطـوط لـنحجز إلى (ليبرافيل) لكوننا لم نجد طريقة للسفر إلى (سـاو تومـي) من هنا، فقال السائق: توجد رحلة إليها تقوم من مالابو يوم الأربعـاء ويمكـنكم السفر يوم الثلاثاء من هنا إلى (مالابو) ويوم الأربعاء مـنها إلـى (سـاو تومي)، فأعطيناه جوازينا وطلبنا منه أن يحجز لنا على الرحلتين فذكر أنه حجز مقعدين لنا غداً- الثلاثاء- من باتا إلى مالابو وأن الحجـز مـن (مـالابو) إلى (ساو تومي) يكون من هناك لأن الشركة ليس لديها إمكان الحجز من مالابو إلى ساو تومي.

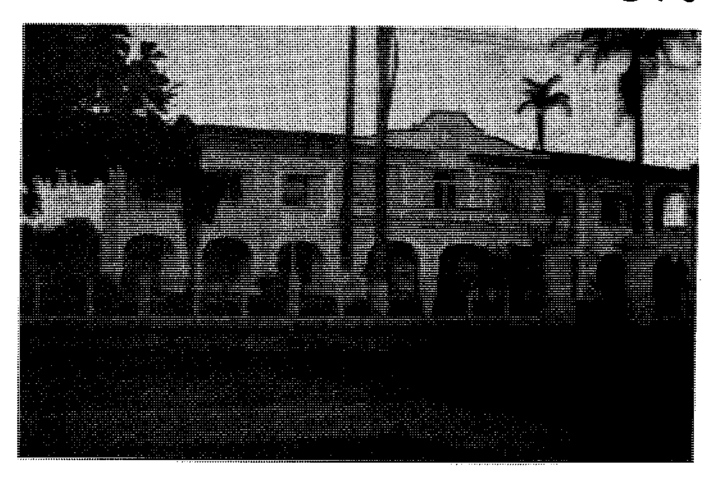


صورة تذكارية للمؤلف في منطقة الرئاسة في باتا

لذلـــك أردنا أن نؤكد على هذا الأمر وأن نكلم أهل (مالابو) ليحجزوا لـــنا يوم الأربعاء إلى (ساو تومي)، فذهبنا إلى مكتب البريد المركزي، وفيه هـــاتف آلي فكلم الأخ (محمد موريا) نائب رئيس الجمعية أحد الإخوة هناك أن يحجـــز لـــنا فذكر أنه سيفعل، و كلمه في أن يرسل إلينا في مالابو الأخ (عمـــر فـــاروق) الذي تبرع بأرض المسجد وموجود الآن في (مالابو) من أجـــل أن نســـلم عليه، ونشكره على تبرعه، ونخبره باستعداد رابطة العالم الإسلامي لاستضافته إذا ما حضر إلى مكة المكرمة للحج أو العمرة.

هكـــذا اطمأننا على أننا سنكون في (ساو تومي) يوم الأربعاء من أجل أن نعود إلى دوالا يوم السبت صباحاً ولكن تبين أن ذلك الحجز كان في الهواء دون طيارة كما سيأتي.

قصر الرئيس:



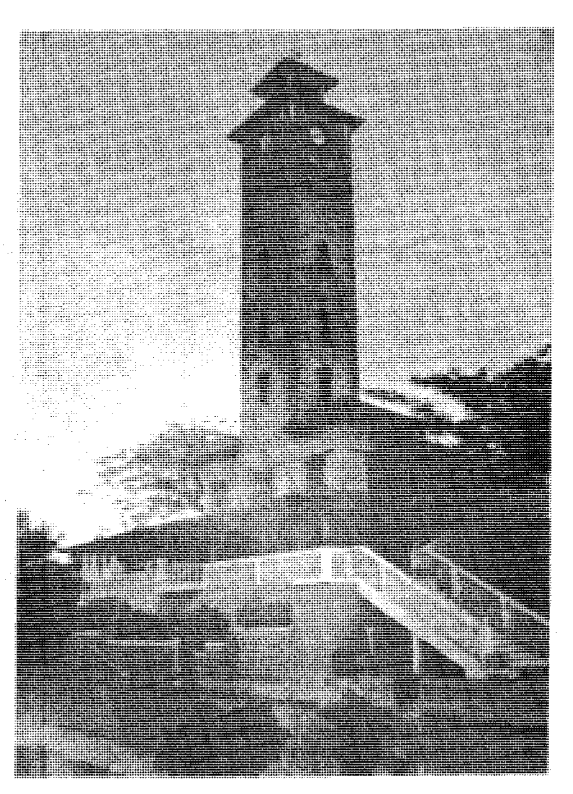
قصر رئيس الجمهورية في باتا

يقع مبنى البريد أمام الرئاسة في حي جيد الشوارع بحيث أن الشارع الذي فيه قصر الرئيس ليس فيه حفرة واحدة، أو مقطع فضلاً عن أن يكون فيه (مطب) على حين أن شوارع المدينة فاسدة طرقها.

وقصر الرئيس جيد المظهر، وإن لم يكن في فخامة القصور في البلدان العربية أو حتى الإفريقية المتطورة مثل السنغال، إلا أنه جيد يقع فوق تلة متطامنة أي غير مرتفعة تطل على البحر بحيث أن الذي يكون في الشارع يرى البحر وإن كان البحر بعيداً بعض البعد، وقد حذرني الأخ حسن من التصوير في هذه المنطقة التي فيها قصر الرئاسة، وامتنع أن يلتقط صورة لي مع القصر ولكنه أخذ لي صورة مع شارع القصر فذهبت إلى شجرة والتقطت الصورة للقصر، ولم يرني أحد، ولا أشعر بالذنب من هذا وأمثاله، لأنه ليس فيه إلا خدمة لهذه البلاد عن طريق نشر ذكرها وبيان أمرها للقراء من العرب الذين يجهلون عنها كل شيء على وجه التقريب.

برج الساعة:

انحدرنـــا مـــن التلة الجيدة إلى مستوى البحر، حيث وجدنا بائعات للفاكهـــة وقف عندهن الرفقة وذلك أمام برج أندلسي الطراز تعلوه ساعة يسمونه (توري بيركوك) بمعنى برج الساعة بالإسبانية، ويقع في حاشية ميدان متوسط السعة، كان جيداً في الماضي، ولكن أرصفته تكسرت ولم تجـد من يصلحها، وعليه يقع مبنى البنك الوطني وهو كبير واضح، وقد التقطت صورة لهذا البرج الذي عليه المسحة العربية الأندلسية، كما التقط الأخ (حسن) لي صورة تذكارية مع هذا البرج ومعي فيها طفلان من أهل المدينة كانا موجودين هناك.



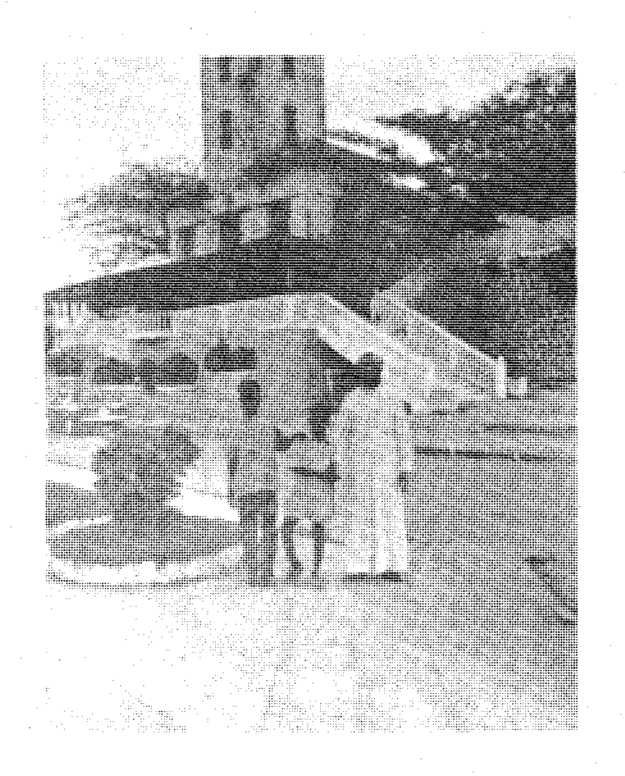
برج الساعة في باتا على الطراز الإندلسي

كـــان المرافقون مشغولين في البحث عن الفاكهة التي يريدونها لنا لأننا لن نتعشى الليلة إلا من الفاكهة وبعض النواشف لعدم وجود المطعم الـــذي نطمئن إلى نظافة الطعام فيه، وكنت أتأمل الموجودين في المكان وهم مختلطون من الرجال والنساء كما هي العادة في إفريقية من دون أي اعتـــبار للباس سابغ أو غير سابغ، بل لباس النساء هنا لباس الإفريقيات المعـــتاد تحـــت خط الاستواء الذي يظهر أكثر ما يبطن، غير أن النساء في هـــذه البلاد ليس لهن لباس وطني خاص بهن كالذي رأيته في ساحل العاج أو فـــي زائـــير، وإنمـــا هـــو اللباس الإفرنجي المؤلف من صدري ليس له كمان، وليس شاملاً لأعلى الصدر وتحته فوطة تلف على العجز أو سروال يرتفع إلى الركبة.

وهـــنا تـــبادر إلى ذهني السؤال عن العلاقة ما بين الجنسين، فقال الأخ حسن وهو من أهل البلاد الأصلاء الذين يعرفون الأمر حق المعرفة بالنســـبة للمواطنين: الناس هنا لا يعتبرون مقاربة الرجل للمرأة زناً ولا يهتمون بالأمر، فالبنت قد يكون لها ولد وولدان وهي صغيرة لم تتزوج، وإذا جاء الولد نتيجة لهذا الأمر دون زواج كان الولد للمرأة دون الرجل، بمعـــنى أن الرجل لا يكون له حق المطالبة بالولد في هذه الحالة، ويقوم أهل البنت بتربيته وينسبونه إلى أسرتهم.

وهـــذا مطـــابق لما ذكره أهل (مالابو) أيضاً، وهو أمر عجيب، إذْ كـــيف يدعي الإسبان التعلم والتهذيب والتمسك بديانة المسيح، ومع ذلك يـــتركون هـــؤلاء الـــناس البدائيين الذين كانوا على غير دين يفعلون ما يشـــاؤون، مع ملاحظة أن الناس في (باتا) وربما في البر الإفريقي لهذه الدولة كذلك هم أجمل مظهراً من أهل (مالابو) وأحسن منظراً، وإذا كان الأمـــر كذلـــك وعرفـــنا أن أهالي (باتا) ومنطقة البر الإفريقي في غينيا

الاستوائية ينتمون إلى الجنس نفسه الموجود في الغابون وزائير وهم من هـم مـن قلـة الوجاهة وقلة حظ نسائهم من الجمال يتبين لنا أمر أهل (مالابو) في هذا الشأن و(يا ويح من كفّره الجاحظ)كما كان يقال.



المؤلف في ميدان برج الساعة في باتا بجانبه طفلان من أهل البلاد

مع أحد اللبنانيين:

جاء الأخ (حسن...) ومعه شاب من اللبنانيين قائلاً: هذا مسلم من لبنان أخبرته بوجودكم فطلب أن يراكم.

اسـم اللبناني عباس مصطفى وهو من جبل عامل في لبنان يلبس سـروالاً قصـيراً وقـد لوحته الشمس الإفريقية فغدا أسمر سمرة غير معهودة في اللبنانيين.

حدثنا عن نفسه وعن اللبنانيين في هذه المدينة (باتا) فذكر أن عددهم فيها يصل إلى ٧٠ شخصاً فقلت له: أكلكم من الجنوب اللبناني؟ فقال: نعم، مسلمون من الجنوب، فقلت له: أفيكم سنيون، لأنني فهمت كما هو معروف أن أكثر أهل الجنوب من الشيعة، فقال: ما الفرق بين السني والشيعي؟ قلت: ليس المراد هنا الفرق وإنما مجرد المعرفة، فقال: نعم، كلنا شيعة.

قلت: والمسيحيون اللبنانيون، كم عددهم هنا؟ قال: المسيحيون قليل عددهم هنا وفي مالابو خمسة أشخاص.

قال: وأما نحن فإن عددنا في (مالابو) خمسون، وهنا تذكرت ما ذكره الأخ حمزة ايجان عندما كنا في (مالابو) ومر بنا لبنانيون في سيارة.

قلت: أتساعدون هؤلاء الإخوة المسلمين، قال: نعم، نحن نساعدهم، قلت: وفيما يتعلق بالاجتماع بهم، والصلاة معهم، قال: نحن لا نجتمع معهم، ولا نصلي معهم.

قلت له: وصلاة الجمعة؟ قال: لا نصلي معهم، قلت: أمعنى ذلك أنكم لا تصلون الجمعة أم لكم مسجد خاص بكم؟ قال: لا يوجد مسجد خاص بنا، ونحن مشغولون نبدأ العمل في السابعة ولا ننتهي إلا بعد الظهر في كل يوم حتى يوم الجمعة.

وذكر أن اللبنانيين يشتغلون بالتجارة وأنه هو وأهله يعملون في تجارة الأغذية فلديهم على سبيل المثال مزرعة دواجن ويستوردون اللحم والأغذية الأخرى ويوزعونها هنا.

وعلمت بعد ذلك أن اللبنانيين هنا لهم محلات تجارية كبيرة.

فقلت له وهو شاب: أرجو أن تبلغ الإخوة المسلمين اللبنانيين هنا أن

علـيهم واجـبا تجاه إخوانهم المسلمين الإفريقيين وبخاصة المسلمين الجدد، وأنهـم ينبغـي أن يسـاعدوهم على بناء المساجد، وتشغيل المدارس بقدر اسـتطاعتهم، والأهم من ذلك هو الاجتماع بهم وإشعارهم بأنكم تشاركونهم في العواطف الدينية، وتشتركون معهم في الثقافة الإسلامية، ولا يتأتى ذلك إلا بـأداء الصلوات معهم، وعلى الأقل صلاة الجمعة التي لا يجوز للمسلم أن يتأخر عنها لا سيما مع وجود مسجدين في المدينة تؤدى فيهما الجمعة.

هذا وقد علم أناس من أهل مالي جماعة رفيقي الشيخ الدكوري أننا لا نذهـب إلى أي مطعم هذه الليلة، فأحضروا لنا لحماً من خروف كانوا ذبحـوه أمـس، واقتسموا لحمه، فكان لذيذ الطعم قد طبخوه بالصلصة وشيء من البهار دون خضروات فأكثرنا منه ولكنني شعرت في الصباح باضـطراب في البطن وإسهال لا أدري أمنه أم من غيره، فأخذت دواء مطهراً للبطن.

يوم الاثنين: ١٤/١١/١٤١٦هـ - ٢/٤/١٩٩٦م:

توزيع المساعدات:

كنا طلبنا من الإخوة المسلمين الهوساويين الحضور إلى الفندق لتسلم بعض المساعدة المالية للمسجد في التاسعة اليوم، وحددنا موعداً للإخوة المسلمين أصحاب المسجد الثاني بالحضور في المسجد في العاشرة.

وقد حضر أهل مسجد الهوسا وتبين أنهم ليسوا كلهم من الهوساويين، إذْ حضر أربعة منهم:

فدفعنا إليهم ألفي دولار أمريكية مساعدة للمسجد وأعطيتهم عنواني ليكتبوا إليّ في الرابطة في حالة ما إذا لم تكف هذان الألفان من الدولارات لإكمال البناء في المسجد، ولم يستطيعوا أن يجمعوا بأنفسهم ما يكفي وذلك من أجل النظر في أمر إرسال مساعدة إليهم، فشكروا ذلك، ودعوا لنا تقبل الله دعاءهم، وقد شجعتهم على العمل في المسجد موضحاً لهم فضل من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة، وهو المكان الذي تبيت فيه القطاة أو تضع بيضها وأن هذا العمل هو الذي ينفعهم في الدنيا والآخرة لأنه الباقي المستمر ثوابه، بخلاف متاع الحياة الدنيا الذي يفنى كما يفنى غيره، وإذا لم يكن للمرء عمل صالح، فإنه يكون كالحيوان الذي يأكل ويشرب ويموت، إلا أن عليه حساباً عسيراً لقاء تفريطه، وعدم تقديم عمل صالح ينفعه يوم القيامة.

ثم انصرفنا في العاشرة إلى المسجد فوجدنا أهله مجتمعين فيه بناء على موعد سابق معهم ومنهم نائب رئيس الجمعية الإسلامية (محمد موربا) لأن رئيس الجمعية غائب عن البلاد منذ أيام وإمام المسجد الأخ (جاقري يابتري) وهو من مالي، ونائبه الأخ محمد نيانغ من السنغال، وعدد من

الإخوة العاملين في الحقل الإسلامي، فدفعنا لهم ١٥٠٠ دولار مساعدة للإمام ونائبه ومدرسي المدرسة الاثنين و ٥٠٠ دولار للمدرسة الإسلامية الحالية، وكنت أشرت عليهم بأن يبنوا في فناء المسجد مبنى للمدرسة حديثاً وأن يبدءوا جمع المال الذي يستطيعونه لهذا الغرض حتى إذا فعلوا ذلك وبدءوا ساعدناهم من رابطة العالم الإسلامي عليه مساعدة مجزية، لأن مكانها الحالي غير مناسب وهو يشغل حيزاً كبيراً من فناء المسجد.

كما أعطيناهم ألف دولار أمريكية مساعدة رمزية عاجلة للمسجد، لكونه مستكملاً ولله الحمد ولكن هذه للكهرباء، ونحوها وإذا أراد واضمها إلى المبلغ المخصص للمدرسة، وصرف ذلك كله للمدرسة فإنه لامانع لدينا من ذلك.

كما استدعينا الأخت مريم زوجة الأخ (عمر فاروق) الذي تبرع بالأرض التي بنوا عليها المسجد فأعطيناها ألف دولار أمريكية مساعدة رمزية من رابطة العالم الإسلامي لزوجها لينفقها على بيته، وقد أخبرنا الإخوة أن زوجته امرأة صالحة وأنها لا يمكن أن نصرف منها شيئاً حتى يأتي زوجها من (مالابو) وقد اشهدنا أعضاء الجمعية الإسلامية والدعاة على ذلك، وتبين لنا بعد ذلك صدق ما قالوه عن هذه الأخت المسلمة، إذْ قابلنا زوجها الأخ عمر فاروق في (مالابو) وذكر أن زوجته أخبرته بأمر النقود ومقدارها، وأنها ستحفظها عندها حتى يحضر.

وقد أحضروا إلينا قائمة كنا طلبناها منهم بعدد الإخوة المسلمين في مدينة (باتا) وكنا طلبنا منهم أن يخبرونا بعدد المسلمين، فذكروا أن لديهم هذه القائمة.

وبذلك يتبين واضحاً أنهم انشط من أهل (مالابو)، بل إن جمعية

(مــالابو) لــم تعمل شيئاً ذا أهمية للمسلمين، حتى إنها لا تعرف أعداد الإخوة المســلمين، وعندما ألححنا عليهم بإحضار ختم الجمعية من أجل دفع المساعدة التــي قــررناها للمسجدين، وأنه لابد من وجود ختم الجمعية كانوا كمن تذكر شيئاً كان قد نسيه وأحضروا ختمين أحدهما لا علاقة له بالجمعية.

ويكفــي دلالة على ذلك حالة هذا المسجد الجيدة، وتكاتف أهله المسلمين فــي إصــلاحه وتعميره واستمرار النظافة والعمل فيه، بخلاف أهل (مالابو) الذي كان مسجد (كامبو ياوندي) يدل على الاهمال والتقصير.

ومــن المفرح أن الجمعية هنا عندما أحضرت هذه القائمة بأسماء المســلمين الجدد نوهوا بأنهم من أهل باتا فقط، بمعنى أنه ليس فيهم أحد مــن أهل (مالابو) أو القرى الأخرى ونوهوا أيضاً بما هو مهم وهو أنهم كلهم من الشبان الذين يرجى أن تنتفع الدعوة بهم.

وقــد دعــوا لنا بالخير ودعونا لهم بالاستقامة، والمزيد من العمل الإسلامي في هذه البلاد التي أجمع المسلمين من أهلها ومن الغرباء على حســن معاملتهم للمسلمين، وعدم اعتراضهم على أي شخص يدخل في الإسلام بل ذكروا أن كون المرء مسلماً مما يزيده قدراً عندهم.

ولذلــك عجبــنا من حالة المسلمين في (مالابو) مع هذه الظروف الجيدة، وعرفنا أن السبب هو تقصير المسلمين أنفسهم.

مغادرة باتا:

عاد الأخ محمد موربا وأحياناً يسمونه (موربا محمد) على الطريقة الفرنسية بتقديم اسم الأسرة على الاسم الشخصي وقد اشترى تذكرتين لنا مــن هــناك بمثل المبلغ الذي جئنا به من (مالابو) وهو ٢٨ ألف فرنك إفريقــي غربي (سيفا) فحملنا امتعتنا في سيارة وذهبنا معه إلى المطار،

والغريب أن التذاكر لا يمكن شراؤها إلا من هناك فليس في المدينة مكتب يبيعها ذكروا أن المسافرين يحرصون على شرائها من المطار بعد أن يتأكدوا من وجود الطائرة لأنهم إذا اشتروها من المدينة لم يضمنوا أن الطائرة ستأتي وصارت التذكرة معرضة للضياع، هكذا قالوا لنا.

عدنا إلى السير في الشوارع المهملة التي تجعل السيارة الجيدة تقرقع فكيف بسياراتهم التي بعضها يقرقع ويكاد (يفرقع).

ودخلنا إلى قاعة كبار الزوار في المطار وهي الغرفة التي كنا استرحنا فيها عند وصولنا، والإخوة الكرام يسعون في إنهاء إجراءات الرحلة، ولم يكن مكيف الهواء في الغرفة يعمل ولكن الهواء كان يدخل إليها ويخرج من بابين متقابلين.

ومن الطريف في أمر السفر اليوم شيئان أحدهما أنهم كتبوا اسمي على التذكرة (محمد) فقط كأنهم ظنوا أنه اسم الأسرة أو أنهم اكتفوا به، والثاني أنهم لم يضعوا بطاقات على الحقائب مثلما فعلوا عندما وصلنا من (مالابو) إلى باتا، فلو فرض أن الحقيبة فقدت فإن الراكب لن يكون معه ما يثبت أنها شحنت على الطائرة أو حتى أنها سلمت لمكتب الترحيل.

طلبنا من الإخوة المودعين الكرام أن يعودوا إلى المدينة لأن كل شيء قد أعد للسفر، و الطائرة موجودة ورأيناهم حملوا أمتعتنا إليها ولذلك وقفنا مع الواقفين من ركاب ومودعين خارج المبنى مما يلي الطائرة، ولكنهم لم ينادوا الركاب للصعود إليها والوقت المحدد على عدم أهميته عندهم قد فات، وتبين السبب بعد ذلك وهو أن الأمتعة التي قدمت مع ركاب الطائرة لم يحملها الحمالون إلى مبنى المطار، وبقيت تحتها، وقد اضطر كثير من الركاب إلى الرجوع إلى الطائرة، وأخذ أمتعتهم

بـــأيديهم، وبعد أخذ ورد فيما بينهم جاء عاملان معهما عربة كبيرة تجر باليد وتدفع من الخلف حملا عليها الأمتعة فصعدنا للطائرة.

من باتا إلى مالابو:

اصـــطف الركاب للصعود إلى سلم الطائرة فأشاروا إلينا قبلهم أن نصـــعد لأنــنا (دبلوماسيون) وهم يعظمون السياسيين حاملي الجوازات (الدبلوماسية) ويحتفون بهم فجلسنا في المكان الذي أخترناه لأن الكراسي ليس لها أرقام وإنما السابق يختار المكان الذي يحبه، وقد امتلأت مقاعد الطائرة كلها بالمسافرين حتى إن رجلاً أبيض وليس أشقر وأظنه أسبانيا بقـــي بدون مقعد حتى أغلقوا باب الطائرة وأجلسوه في كرسي المضيف الضـــيق وجهـــه إلى وجوه الركاب، و دخل المضيف إلى غرفة القيادة ليجلس مع الملاحين.

وعلـــى ذكـــر الملاحين أقول إنهم من الروس لأن الطائرة روسية نفاثـــة صـــغيرة مثل التي قدمنا عليها وهي (ياك ٤٠) ويظهر أنهم من المـــناطق الإسلامية في روسيا، والطريف في الأمر أنه كان معهم مفتاح غـــرفة القـــيادة الـــذي كـــان مغلقاً حتى بالنسبة إلى المضيفة وموظفي التنظـــيف، وعندما دخل الملاحون أخرج أحدهم من جيبه مفتاحاً فتح به باب الغرفة وهو باب كنت لاحظت في جولاتي في روسيا أنه يظل مغلقاً مـــا بيـــن الملاحيـــن والركاب حتى في الطائرات الصغيرة فإذا أرادت المضـــيفة أن تدخـــل إلـــى الملاحين وقلما تفعل ذلك قرعت الباب بيدها ففتحوه لها بالمفتاح.

أقلعـــت الطائـــرة في الرابعة وخمسين دقيقة عصراً متأخرة (٥٠) دقيقة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو الرابعة.

وحالما نهضت صارت تطير فوق الخلجان البحرية الخضر، وغابات وسطها مستنقعات، وكان أمام مجلسي في الطائرة أسرة أوروبية أظنها سائحة حاولت تصوير المنطقة من الطائرة فلم تستطع بسبب تحديب زجاج النوافذ فصورت سحباً كانت تمر بها الطائرة.

ومع استمرار الطائرة في الطيران وصلت إلى منطقة غابات كثيفة بحري فيها نهر جم المياه لم يخبرنا أحد من الطائرة يخبره ولا خبر غيره.

ثم وصلنا إلى منطقة فيها شاطئ رملي جميل المنظر ليس عليه أية منشآت، وإنما تقع الغابات خلفه مباشرة، ومن حسن الحظ أن الجو صافٍ اليوم بخلافه أمس، حيث كانت السحب تجلل سماء الطريق وقد استمتعت بذلك.

ثم لججت الطائرة في أجواء المحيط الأطلسي الذي كان أسلافنا العرب يسمونه البحر المحيط الأعظم، فصارت الطائرة تطير وإن شئت قلت إنها تسبح بين محيطين أزرقين هما البحر والسماء.

ثم وصلنا إلى جزيرة (بيوكو) التي فيها العاصمة (مالابو) وكان أول ما رأيناه منها على البعد جبالها الخضر الكثيفة الخضرة، وغيوماً بيضا تحاول أن تطاوله فتعجز عند ذلك فتبقى عند كتفه كأنما تريد أن تربت عليه.

وقد مرت الطائرة فوق الجبل الأخضر الذي تبين أنه هضبة من عدة هضبات جبلية ولم تكن الطائرة مرت فوقه عند القدوم إلى مالابو للمرة الأولى ولا عند المغادرة بل كانت في الحالتين تطير أو تتدنى فوق مياه البحر، ثم ساحلت بمعنى أنها صارت تطير على الساحل.

وهبطت في مطار مالابو بعد طيران استمر ٣٨ دقيقة في جو صاح غير أن الآفاق تجللها سحب كثيفة.

وجدنـــا السائق الذي كان معنا في المرة الأولى واقفاً في المنطقة التي تسبق الجوازات مما يلي ساحة وقوف الطائرات، مما يدل على صلة له قوية بالمسئولين، فأسرع يحيينا ويقول: لقد عرفت أنهم ستأتون اليوم، وأخــذ جوازيـــنا لتسجيلها في مكتب الجوازات مع أننا في رحلة داخلية، وقال: هكذا العادة أن تسجل الشرطة أسماء جميع القادمين على الطائرة.

سألناه عما إذا كان يعرف موعد قيام الطائرة غداً إلى (ساو تومي) فأجاب بنعم، إنه في العاشرة ضحى.

ثم ذهب لاحضار الحقيبتين وتسجيل الجوازين، وكنت أتأمل المطار فـــأجد كوخاً خشبياً كان وجوده قد استرعى انتباهي عندما وصلته لأول مـــرة بجانـــب المدرج، وبجانبه ملابس منشورة على الأرض المعشبة، وغير بعيد منه (غرنوق) ناصع البياض يتمشى بالقرب من المدرج غير مبالٍ بشيء لأن الناس لا يصطادون هذه الطيور لذلك لا تذار.

في مدينة مالابو ثانية:

حمـــل الســـائق أمتعتنا بسيارته، وقال، الأفضل أن نمر ببيت مدير شركة الطيران المحلية لنؤكد من عنده الحجز إلى ساو تومي غداً، وذلك قبل الذهاب إلى الفندق، وتلك فكرة جيدة لأن المرء هنا وحسب ما جربناه لا يستطيع التأكد من أي شيء حول الطيران من الفنادق، وحتى من أي مكتـــب آخر فخرج إلينا مدير الشركة في (مالابو) وعندما رآني قال: لقد عملت في بلادكم السعودية فترة في مكتب الخطوط الكاميرونية في جدة، فأخـــبرناه أنـــنا جئنا لتأكيد الحجز إلى (ساوتومي) غداً، فتعجب من ذلك وقـــال: لا يوجـــد لنا رحلة غداً إلى (ساو تومي) ولم تكن لنا في السابق رحلـــة إليها يوم الأربعاء، وإنما نسير إليها رحلتين إجداهما يوم الاثنين

والأخرى يوم الجمعة، فقلنا: إذاً تحجز لنا في أي شركة مسافرة، فقال: لا توجد أية رحلة لأية شركة قبل يوم الجمعة.

وهنا اسقط في أيدينا فمن الصعب علينا أن نبقى يومين بدون عمل في هذه البلاد، لذلك سألناه عن الحل الذي يراه لنا فقال: الأفضل أن تسافروا غداً الأربعاء إلى (دوالا) في الكاميرون، فقلت له: إننا نستطيع أن ننفق يوماً في عاصمة الكاميرون (ياوندي) فقال: هذا جيد فالطائرة التي تسافر غداً إلى دوالا تقوم من هنا في الثانية صباحاً وتصل إلى دوالا بعد أقل من نصف ساعة، وتسافر في التاسعة إلى ياوندي فتصلها قبل العاشرة، فحجزنا معه على هذا الأساس، وطلبنا من السائق أن يذهب بنا إلى فندق (كاندي) الذي كنا فيه ولكن الفندق ليس فيه غرف خالية، فذهبنا إلى فندق رأيناه من قبل أفخم منظراً، وأحسن مظهراً منه وهو فندق (أوريكا) فوجدنا عنده جناحاً خالياً وغرفة منفردة خالية ولا يوجد غيرها فنزلت في الجناح بثلاثة وعشرين ألف فرنك، ونزل رفيقي الذكوري في غرفة بـ ١٧ ألف فرنك (سيفا)، وهذا مبلغ قليل بالنسبة إلى الفندق وإلى أننا كنا ندفع لفندق كندي ١٧ ألف فرنك للغرفة.

وجدنا الجناح جيداً فهو مكيف وفيه ثلاجة وتلفاز ملون، وفوق ذلك الماء فهو موجود في الحمام حاراً وبارداً فاغتسلت بعد العرق والرطوبة ونمت بعد أن صليت.

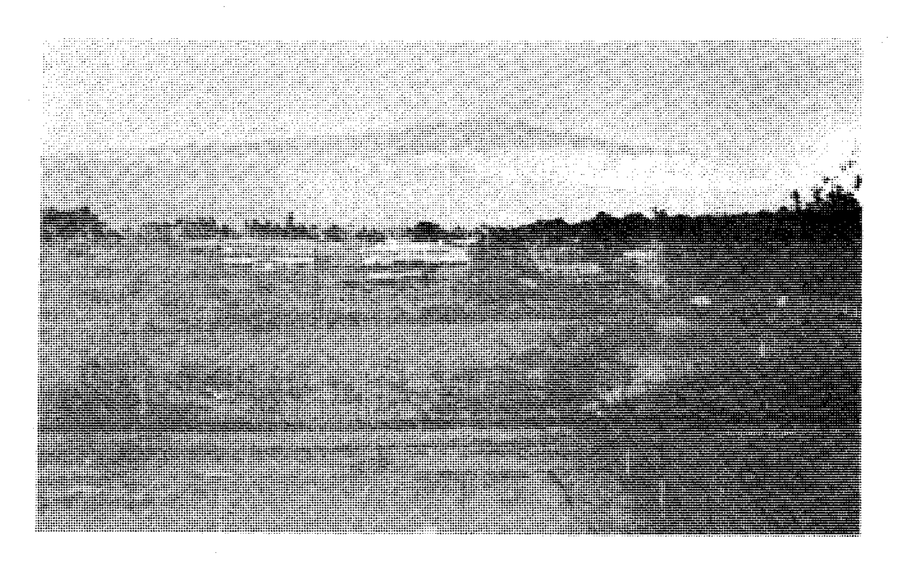
يوم الأربعاء: ١٤١٦/١١/١٥هـ.

صباح مالابو:

كان صباح هذا اليوم (الملاباوي) واضحاً مشرقاً خلاف ما كان عليه عندما كنا في فندق كندي ذي الطابق الواحد الذي لا يرى المرء من

غرفته شيئاً من الخارج لأنه محاط بسور واقف.

فعندما أزحت ستارة النافذة قبل شروق الشمس رأيت الجبل الأخضر الذي يطل على المدينة يسبح في غلائل من ندى الصباح، مما زاد خضرته غموضاً حتى صارت إلى السواد أقرب وطيوراً سوداً كبيرة كأنها الغربان قد بكرت تطير صوب الجبل الأسود، وكأنما لتزيد سواده أو لتزيله لتحل محله، وطوائف قليلة من المواطنين السود يسيرون على تثاقل، وبخاصة جماعة من النساء اللاتي يحملن على رؤوسهن أشياء يبدو أنها تثقلهن، والخضرة المطبقة، ورأيت الأشجار ساكنة كأنما هي سادرة لم تصح من النوم بعد، وأشجار النارجيل النحيلة ذات الفروع الكثة قد سكنت فروعها عن الحركة، وكأنما هي تتنصت على ما يجري لهؤلاء الغرباء الذين يحلون هذا الفندق الغريب عن أهل البلاد مساكن وسكاناً.



الجبل الأسود لشدة خضرته المطل على مالابو كما صورته مع طلوع الشمس

وأسرعت ألتقط هذه الصورة للجبل الأسود قبل أن تدركه الشمس فتحيل سواده إلى خضرة، ونزلنا للاستقبال ننتظر السائق الذي وعدنا

بالحضـــور في السادسة والنصف صباحاً ليأخذنا إلى المطار حتى نسافر بالطائرة التي تغادر في الثامنة إلى الكاميرون.

وجـــاء الســـائق بالفعل في الموعد المحدد، ودخلنا في قاعة كبار الـــزوار فـــي المطـــار، أو الصالون كما يسمونها وهو يسعى في إنجاز الجوازات وشحن الأمتعة، وقد أبطأ علينا، ثم جاء ليقول: إن سفر الطائرة قد تأخر فهي لن تحضر إلى هنا من دوالا إلا في الثالثة والنصف وعادة تبقى ثلاثة أرباع الساعة قبل أن تعود إلى (دوالا).

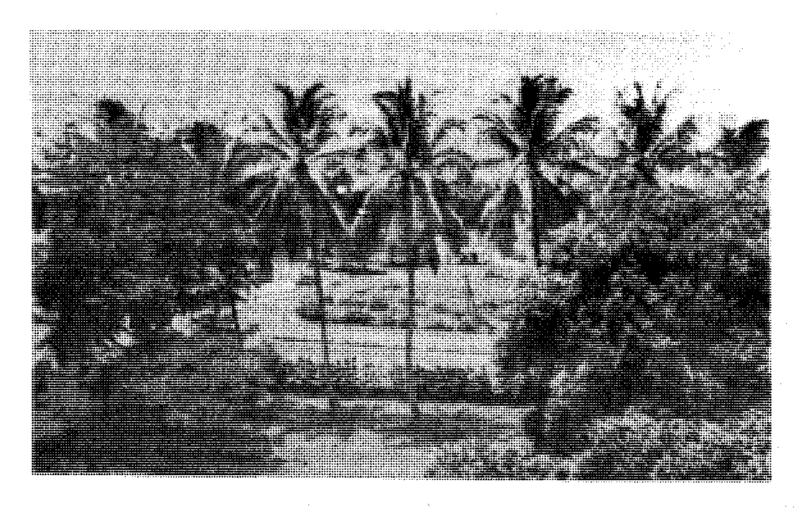
وأسقط في أيدينا مرة أخرى وجاء إلينا مدير الشركة فأكد ما ذكره الســـائق وقال: سوف تصلون إلى (ياوندي) في الثالثة بعد منتصف الليل لأن الطائرة سوف تمر بعدة محطات تتأخر فيها قبل الوصول إلى دوالا، وهذا معناه خسارة هذا اليوم الأربعاء.

فعزمـــنا علـــى البقاء هنا مكرهين حتى يوم الجمعة لأنه لا وسيلة للوصـــول إلـــى (ســـاوتومي) غير ذلك، فطلبنا منه تأكيد الحجز لنا يوم الجمعـــة، وعدنا إلى فندق (أوريكا) فوجدنا عنده غرفتين خاليتين ونحن علـــى حالة نفسية سيئة لأن معنى ذلك أن نفقد يومين من الرحلة، ولكن لـــيس بد مما ليس منه بد، وحمدنا الله تعالى على أننا لم يمسنا مكروه لا في الصحة ولا في البدن، ولم نتعرض لحادث سير أو سرقة أو انتهاب، نعـــزي أنفسنا بذلك، وقلت لرفيقي: إن هذه ستكون إجازة قهرية، ولكنني سوف استغلها بالكتابة والراحة بعد التعب المتواصل.

وجدنا فندق (أوريكا) في النهار أحسن مما هو عليه في الليل، فهو ذو قاعة استقبال واسعة مؤثثة بأثاث جيد، بل إنه جديد كأنه أثاث الفنادق الراقـــية في بلادنا، ولها ثلاث واجهات زجاجية على حديقة الفندق كلها مـــن الـــزجاج والألمنـــيوم، وقـــد نصبوا فيها تماثيل من الخشب لبعض

الإفريقيين، والإفريقيات بالغوا في إظهار التقاطيع الجسدية والتقاسيم في الوجوه حتى وصلت إلى حد التشويه.

وعجبت من أهل البلاد بل رثيت لهم لكونهم يحتاجون وبعضهم في فقــر مدقــع مع وسائل الرقي الجيدة المتاحة مثل مصائد الأسماك الغنية وأشجار الفاكهة الاستوائية الوفيرة، والمحصولات الغذائية التي تنمو في المــنطقة، إلـــى جانب الثروة الخشبية من الغابات، وأماكن تربية حيوان اللحم، ورد ذلك في خاطري عندما لم أر قرب الفندق أي مكان لأحد من المواطنيــن الإفريقيين، فمساكنهم بعيدة عنه، ربما كان ذلك محاولة من الحكومة لكيلا تقع أنظار زوار الفندق ونزلائه عليها.



من شرفة فندق أوريكا في مالابو

وحتى الفندق أكثر الذين فيه هم من الأجانب الأوروبيين وغيرهم، وفــيهم جماعــة مــن الجزائر من الفنانين جاءوا إلى هذه البلاد لعرض مسرحية باللغة الفرنسية، ثم رأيناهم يتمرنون على بعض المشاهد المهمة لعرضها في برنامج لهم.

وقـــد ذهـــب السائق إلى مكان في المدينة تبين أن ذلك من أجل أن يضـــع شيئاً من زيت المحرك في سيارته يقل مقداره عن اللتر، فوضع شــيئاً منه في السيارة ونقد ثمنه ثم ذهب إلى محطة للمحروقات فاشترى بنزيـــناً لهـــا كل لتر بخمسمائة فرنك إفريقي غربي (سيفا) ويساوي ذلك دولاراً واحداً، وهذا غلاء زائد.

والغريـــب أن باعـــة زيت المحرك رأيناهم في هذا الصباح الباكر جالســـين مـــع بضاعتهم منه التي وضعوها في جرار من الزجاج كبيرة على الرصيف من دون حانوت.

وقد استجد في هذا الصباح لسيارتنا هذه ما حصل لها من قبل من رفـــع وخفض وميلان ذات اليمين وذات الشمال في شوارع هذه المدينة ممـــا ذكرنـــي بشوارع المدن الروسية، ويوضح ذلك أن الإهمال وعدم العناية بالمرافق العامة التي تهم الجمهور أمر لا لون له، وليس في مكان من الأرض دون مكان من الأمكنة المهملة.

وقـــد رأيت في الشوارع أناساً يسعون مبكرين، ومن ذلك أن امرأة تنشـــر ثـــياباً أمام بيتها لاشك في أنها بدأت بغسلها قبل شروق الشمس، والذيـــن لـــم يـــبكروا، وربمـــا لم يحضروا ولو أظهروا- أي دخلوا في الظهـــيرة- هم عمال النظافة- إن كان للنظافة عمال في هذه البلاد، فقد رأيـــت أكوام القمامة المتخلفة من الأمس، وربما من قبل أمس باقية في الشوارع لم تحرك.

وقـــد فكرت في موضوع الإهمال الظاهر على المرافق العامة في هذه البلاد وأمثالها فقلت في نفسي: كانت هذه المرافق أحسن- بلا شك- فـــي زمـــن الاستعمار، ولكن هناك أشياء كثيرة هي الآن أحسن مما هي

عليه زمن الاستعمار، وبخاصة ما يتعلق بالأشياء الضرورية من المأكل والملبس، ولكن ألا يمكن أن يقوم أهلها بما كان المستعمرون يقومون به من العناية والإصلاح لهذه المرافق التي منها الطريق بطبيعة الحال؟

وعرفت لماذا تركهم المستعمرون عندما عرفوا أنه قد وعي أهل البلاد أمرهم، وصاروا يريدون من المستعمرين ما لو استجابوا له لخسروا، إضافة إلى الروح الوطنية التي استعرت في هذه الشعوب، وهي الروح التي لا تحسب حساباً للخسائر والأرباح ولا تنظر إلاَّ إلى إرضاء الطموح الوطني.

إجازة اضطرارية:

أو هي إجازة ربانية حصلت لنا رغماً عنا، أما أنا فإنني لن أخسر هذين اليومين وهما الأربعاء والخميس، لأنني سوف أظل أكتب فيما تقرأه الآن وفي كتاب آخر، وبخاصة أن فندقنا صار يتكشف لنا من حسنه ما كان خافياً، من ذلك أنني تأملت الغرفة وحمامها فلم أجد فيها أي شيء فيه خراب، أو يحتاج إلى إصلاح مما يدل على أن أصحابه يتعهدونه بكل ما يحتاج إليه من ترميم وإصلاح، وذلك أمر نادر الحدوث في البلدان المتخلفة، كما رأيت فيه شيئاً لم أره حتى في البلدان المتقدمة، وهو أن مصباح القراءة الذي بالقرب من وسادة السرير يضيء بمجرد أن يلمسه الشخص ضوءاً خافتاً فإذا لمسه ثانية زاد نوره، فإذا لمسه ثالثة بلغ نوره أقصاه ثم إذا لمسه لمسة رابعة انطفأ.

وأنوار الغرفة ساطعة والمكيف يعمل بصفة مستمرة، وفي الغرفة تلفاز ملون يبث عدة محطات ليست بينها أية محطة لهذه البلاد الغينية الاستوائية، ولا أقول المستوية في نسبتها إلى خط الاستواء.

وللغرفة شرفة واسعة نظيفة فيها مائدة وكرسيان نظيفان تتعهدهما الخادمات الإفريقيات بالنظافة وغسل الشرفة كل يوم.

وهناك مطعم فخم فسيح المساحة يقع في الطابق الأول ويطل على حديقـــة للفـــندق واســـعة تنتصب فيها أشجار النارجيل الريان يحيط بها أشـــجار غيرها من أشجار الظل النضرة، وقد رأيت أن فروع النارجيل تشـــبه لـــريها وارتخائها فروع النخيل في بلادنا فالتقطت لها صورة من شرفة الفندق.

والشـــيء الوحـــيد المعطل في الفندق هما بركتان للسباحة إحداهما كبيرة للكبار والأخرى صغيرة غير عميقة للأطفال.

السر في الإسبانية:

ســـألنا عن السر في هذا الانتظام والعناية بمرافق الفندق فأخبرونا بأن ذلك سببه أن صاحبته امرأة إسبانية متفرغة له، تباشر كل ما يتعلق به بنفسها وإن كانت تأمر الخادمات الإفريقيات بالعمل.

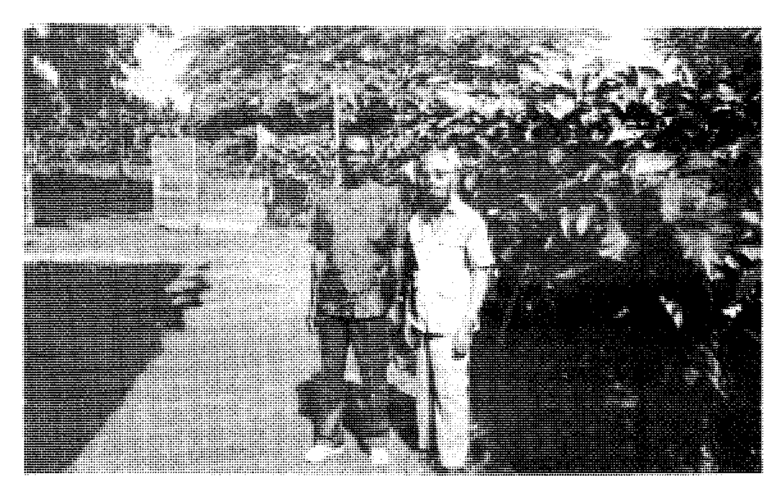
ويقال مثل ذلك أيضاً في الطعام فهو نظيف ومعتنى به، ويقدم على الطريقة الأوروبية يقدمه عمال أفارقة مؤدبون.

المحسن الفقير:

إذا أحســـن المـــرء بمعنى أنفق في وجوه البر عن سعة، فإن ذلك يعتبر أمـــراً طبيعياً، إذ ينبغي على من وسع الله عليه أن يوسع على الآخرين، ولكن إذا تـــبرع بالمـــال، وهو قليل المال، فإن ذلك يعتبر جهد المقل، ويكون له من الثواب العظيم مثلما يكون لمن تبرع بالكثير من ماله الكثير.

ذكـــرت ذلـــك لمناســـبة اللقـــاء بـــالأخ المحسن الفقير المسلم الجديد (عمر

فــاروق...) بــناء علــى إفــادة وصــلت إليه من باتا بأننا الآن في (مالابو) كان الــرجل خاشــعا مطمئناً يبين نور الإسلام على وجهه، وتعلوه السكينة والوقار، لم يشــرع كمــا هو المنتظر في الإخبار بتبرعه بأرضه التي لا يملك غيرها إلا بيته الــذي يســكنه وأسرته، وإنما جاء ليشكرنا على المبلغ الذي سلمناه لزوجته، ولكننا بدأنــاه بالشــكر والتقدير من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبشرناه بأن الله ســبحانه وتعــالى ســيخلفه عليه بالخير كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُــوَ يُخْلِفُــهُ وَهُــو خَــيْرُ الرَّازقِين﴾، وقلنا له: إننا قدمنا هذا التبرع القليل له لا لــنقابل مــا عملــه، فذلــك أعظــم وأكبر وإنما هو رمز من إخوانك العاملين في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لعملك الجليل هذا.



مع الأخ المحسن الفقير (عمر الفاروق) في حديقة فندق أوريكا في مالابو

ســـألناه عن راتبه في الشرطة التي يعمل بها في (مالابو) فذكر أنه (١٢) ألــف فرنك إفريقي غربي (سيفا) في الشهر، وذلك يساوي ١٢٠ فرنكاً فرنسياً أو تسعين ريالاً سعودياً أو ٢٧ دولاراً أمريكية، لذلك فهمنا الســبب الذي من أجله رأى المبلغ الذي قدمناه له كبيراً، وإن كنا لا نراه كذلــك، وهو ألف دولار تساوي راتب ثلاثين شهراً بمقياس ما يتقاضاه

الآن على وجه التقريب.

قلت له: إننا يسرنا في رابطة العالم الإسلامي أن نستضيفه إذا وصل إلى مكة المكرمة حاجاً أو معتمراً، ونحمد الله تعالى أن جعل في إخواننا المسلمين الجدد مثله، أكثر الله من أمثاله.

قال الأخ عمر فاروق: سوف أسافر قريباً إلى (باتا) لأنني هنا في (مالابو) غريب لا أعرف أهل هذه المدينة، ولا أشعر أنني أنسجم معهم.

فقلت في نفسي ولرفيقي السفير الدكوري: هذا الرجل يعتبر نفسه غريباً في مدينة (مالابو) عاصمة بلاده، وهي لا تبعد عن بلده إلا بمقدار ٤٠ دقيقة للطائرة فكيف تكون غربتنا نحن الذين تفصل بيننا وبين بلادنا مسافة لو كان السير عليها بالإبل لاحتاج إلى ما يقرب من السنتين؟ ولكننا جئنا لغرض نبيل ومعنا وسيلة سفرنا منها إذا أردنا ولله الحمد.

لقد التقطت صورة تذكارية مع هذا الأخ الكريم وحدثنا قبل أن ينصرف عن إسلامه، وكيف أنه أسلم بنفسه ولم يدله أحد على الإسلام وقال: إن زوجته أيضاً أسلمت وأولاده صاروا مسلمين، وأنه الوحيد الذي أسلم من أسرته، وذلك في عام ١٩٩٠م وأنه كان قبل ذلك كاثوليكياً ووالده كاثوليكي، وكذلك إخوانه وأخواته.

هذا وقد عرف الإخوة المسلمون أهل (مالابو) الذين كنا ودعناهم من قبل ظانين أننا لن نعود إليهم بأنناعدنا فزارونا في الفندق ولكننا أخبرناهم أننا نفضل البقاء في الفندق للراحة قبل السفر إلى (ساوتومي) وليس لدينا برنامج للعمل هنا الآن.

هذا ولو كان وضع الطرق فيها معتاداً لكنا اغتنمنا فرصة هذه الفسحة من الوقت في زيارة مناطق أخرى منها ولكن السير على طرقها متعب والحشرات اللاسعة فيها كثيرة.

يوم الخميس: ١٤١٦/١١/١٦هـ- ١٩٩٦/٤/٤م

عجيب أمر هذا الدين:

عجيب أمر الدين الإسلامي الحنيف فرغم كون دوله لا تناصره عجزاً أو تعاجزاً ، وأحياناً عن خبث طوية من الذين يدعون الانتساب إليه من حكام المسلمين، وحاشا لحكومتنا أن تكون منهم، فهي الدولة المسلمة الوحيدة في العالم التي وصل برها وتشجيعها للإخوة المسلمين إلى جميع أنحاء العالم، وما وجودنا اليوم في هذه البلاد إلا مظهراً من ذلك وشاهداً واقعاً عليه.

ومع ذلك فإن الإسلام ينتصر وينتشر بقوة فيه ذاتية، هي الإرادة الإلهية التي جعلته دين الفطرة السليمة، دين العقل الراجح، والتفكير المستقيم.

وقد خرق القاعدة المعروفة عند الناس وهي أن كل مبدأ لابد لانتشاره من حكومة أو قوة عالمية تقوم على نشره، فصار الإسلام ينتشر ويزدهر حتى في معاقل الأعداء، ويفتح عقولاً وقلوباً لا يمكن أن تفتحها الحروب.

أقول ذلك لمناسبة حالة فتاة كاميرونية مثقفة، رأيناها في فندقنا اليوم مع إحدى الراهبات ذكرت الفتاة أنها جاءت إلى هذه المدينة من مدينة إدوالا الكاميرونية الكبيرة مع هذه الراهبة بعد أن حصلت على جائزة من المدرسة التي كانت تدرس فيها وأظها قالت: إنها كلية، وتلك الجائزة تقتضي أن تمنح التذكرة والإقامة هنا مع الطعام بالمجان.

قالت: وأنا الآن مع هذه الراهبة كلنا من تلك المدرسة، وعندما رأيناها مثقفة مهتمة بالأمور العميقة، وكان الحديث معها بالفرنسية التي يجيدها رفيقي الشيخ الدكوري لأنها لا تعرف الإنكليزية.

سـألناها عن المسلمين في الكاميرون فأجابت بقولها: إنهم أكثرية إنهـم صـاروا الآن يمـثلون ٥٥./. من السكان، وقالت: إن المسلمين كرماء، وأوفياء صادقون مستقيمون، وإنها من منطقة جنوبية لم يكن فيها مسـلمون مـن قبل، ولكن أمها أسلمت وصارت تحافظ على الصلوات، بسبب وجود جيران لهم من الفلاتيين، وإنما هي أي الفتاة واسمها (جانيه) صـارت تفكـر فـي أن تصـبح مسلمة، ولم يبق على ذلك إلاّ إعلانها الإسـلام، حـتى إنها فكرت في الاسم الذي ستتخذه عندما تسلم فترجح عـندها أن يكـون أحد أسماء ثلاثة، ياسمين، نورية، سامية، وطلبت من الشـيخ الدكـوري أن يخبرها بمعاني هذه الأسماء بالعربية، فشرح لها معانيها كلها.

هذا مع العلم بأنها درست في مدرسة دينية مسيحية بعيدة عن التأثر بالإسـلام، بل هي قريبة من العمل ضده بحكم وجودها الذي يقتضي من المنتمين لها أن يظلوا مسيحيين مخلصين.

هـذا وقد جاءنا من أخبرنا أن الطائرة التي كنا قررنا من قبل أن نسـافر عليها إلى دوالا ثم ياوندي عاصمة الكاميرون وتركناها لتأخرها إلى الثالثة والنصف ظهراً بديلة من الثامنة صباحاً لم تغادر مالابو إلاّ في السادسـة مساءً، وعلى هذا لن تصل إلى ياوندي إلاّ قبيل الفجر، لكونها ستذهب إلى لاجوس عاصمة نيجيريا، وذلك إلى كون مطار نيجيريا غير مـأمون على الأمتعة التي تنتقل من طائرة إلى أخرى، وكوننا لا نحمل سمة دخول إلى نيجيريا.

الأمطار التي لم تعط حقها:

كانت السحب الثقيلة متراكمة على الأفق الشمالي للجزيرة، وعندما غربت الشمس كانت بروقها تتلألأ لا تكاد تفتر ولا دقيقة واحدة لأنها كانت عدة سحب ثقيلة.

وبعد ذلك المغرب بقليل بدأ قصف الرعود الثقيلة ذات البروق المتصلة يصل إلينا، ثم انهمرت السماء بالمطر المدرار وتواصل ذلك ساعات طويلة مما جعلني أجزم أن مثل هذا المطر لو وقع على بلاد عامرة لخرب من عمارتها ما خرب، ولو وقع أقل منه في الكثرة واتصال نزول المطر على بلاد صحراوية مثل بلادنا لتناقلته الأخبار، ولكن الأمر كان بالنسبة لهم معتاداً، بل إنهم يعتبرون الحديث عنه حديثاً مُعاداً، لأنه وقع على غابات ليست فيها من العمارة إلا ألواح خشبية أو سقوف من الصفيح أو من القش ولم تصحبه رياح قوية، فغسل درن أرضها وذهب به إلى البحر المحيط، وأروى أشجارها التي لم يمسها العطش، وربنا يخلق ما يشاء ويختار.

ولم يزيدوا في التعليق على هذه الأمطار في الصباح على قولهم: إن هذا الوقت موسم الأمطار في هذه البلاد، وصدقوا في ذلك لأن قصف الرعود ولمع البروق تكرر في مساء هذا اليوم واستمر إلى هزيع من الليل.

وحتى صباح هذا اليوم الذي كان ليله ماطراً باهراً لم تختلف الحال عن الأيام السابقة، إلا بأن لطف الجو، وخف الحر لفترة ما أن تعالت الشمس، ثم حلت الظهيرة حتى ذهب لطفه، وعاوده حره.

وقد رأيت الأهالي في هذا الصباح كالعادة يسعون إلى رزقهم

مبكرين، وبكر مثلهم عمال الفندق الإفريقيون، وهم هذا الجنس الإفريقي، العـــريق بـــل الغريق في كل شيء يتميز به الشخص الإفريقي الخالص الإفريقـــية، حتى الرائحة المميزة المشهورة كانت تصبغ الغرفة بصباغ يُشـــم ولا يـــرى عندما تنظفها الخادمة ثم تغلقها، فكنت إذا فتحتها بعدها وجدت هذه الرائحة القوية غير الذكية.

وفي ضحى اليوم ذهبنا لحانوت خشبي في جانب منفصل من فناء الفـــندق المكشوف رأينا أهله على البعد من المسلمين الذين يضعون على رؤوســـهم القلانس (الطواقي)، وبعضهم يلبس القميص العربي الطويل، فوجدنـــاهم بالفعل من المسلمين الهوساويين ووجدنا بضاعتهم مما يرغب بـــه الســـياح مـــن مصنوعات جلدية وخشبية محلية وأهمها عندهم هي التماثـــيل التي تبرز الخصائص الجسدية والتقاسيم التي تكون على وجوه الإفريقيين، وكذلك الأقنعة الإفريقية التي كان يستعملها المهولون السحرة مـــن الإفريقييـــن في القديم، وعندهم أشياء مهمة مثل مصباح كهربائي مركب على بيضة نعامة، ومثل مجموعة من أنياب الأفيال الصغيرة وقد اشـــتريت مجموعتيـــن والمجموعـــة هي سنان متماثلاً الحجم لأنهما في الغالـــب يكونان لفيل واحد إحداهما بخمسين ألف فرنك إفريقي غربي أي مائة دولار أمريكية والأخرى أكبر منها بستين ألفاً وهذا رخص متناه.

وقد طلبت مكالمة هاتفية لبيتي في الرياض فأروني قائمة الأسعار فإذا الدقيقة الواحدة بألفين وستمائة وعشر فرنكاً (سيفا) وهو غلاء لم أر لـــه مثيلاً في أي مكان في العالم، مع ذلك حاولت أن أجري المكالمة فلم يستطيعوا ذلك إذْ كان خطهم مشوشاً.

قبل مفارقة غينيا الاستوائية:

أزف موعد سفرنا من غينيا الاستوائية إلى جمهورية (ساو تومي) وانقطـــاع الحديث عنها ومع ذلك رأيت أن أكتب شيئاً عن المسلمين فيها قبل مفارقتها.

المسلمون في غينيا الاستوائية:

لقــد تكلمنا كلاماً كثيراً عن المسلمين والشئون الإسلامية في غينيا الاستوائية فيما مضى من الكتاب ولا شك في أن ذلك كافٍ لمن يريد أن يلم إلماماً بهذا الموضوع، ومن ذلك أنني ذكرت حالهم، وحال مساجدهم، ووضعهم، بناء على ما شاهدته من ذلك ويمكن تلخيصه بأن عددهم ليس كبيراً، وأن أحوالهم المادية ليست جيدة.

ولكنني أحببت أن أنقل هنا شيئاً لم أذكره في اليوميات تعلق بأسماء أئمة المساجد، على أن أتبعه بقائمة بأسماء المسلمين في مدينة (باتا) وإن تكن قائمة مختصرة لا تستقصي أسماء المسلمين كلهم، وقد حصلنا عليها مــن الجمعية الإسلامية في (باتا) وهي قائمة مجردة ولكن وجودها مهم فــي بلد دخله الإسلام حديثاً، وبأعداد قليلة من المسلمين، إلا أنني حذفتها من هذا الكتاب، إختصاراً.

وأول ما ينبغي أن نسجله هنا أن المسلمين لا توضع أيــة عراقيل أو معوقــات أمــامهم سواء من الحكومة أو من الشعب، وهم أحرار في ممارسة دينهم، بل وفي الدعوة إليه إذا ما أرادوا ذلك، وقد أرجعت ذلك إلــى عــدم اقتــناعهم بالديانة المسيحية الكاثوليكية التي دخلت البلاد مع الاستعمار الإسباني، ولذلك لا تراهم متمسكين بها، فضلاً عن أن يكونوا متعصبين لها.

ومما يبشر بالخير أنه يوجد عدة طلاب من المسلمين الجدد من أهل البلاد يدرسون في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

لقد زرنا المدينتين الرئيسيتين في (غينيا الاستوائية) وهما (مالابو) العاصمة في جزيرة في المحيط الأطلسي ومدينة (باتا) التي هي أكبر منها، وتقع في البر الإفريقي على شاطئ المحيط الأطلسي.

ذكر لنا الإخوة في (مالابو) أن عدد المسلمين فيها من أهلها الأصلاء هم (٣٠٠) مسلم وأظن أنهم لا يعدون بذلك إلا الرجال أما من يتبعونهم من النساء والأطفال فإنهم لا يدخلونهم في هذا العدد.

وهناك أعداد من المسلمين من مالي ونيجيريا والكاميرون و(غينيا كونكري).

وذكروا أن المساجد التي يعرفونها في غينيا هي ٧ منها أربعة تقام فيها صلاة الجمعة، ونوهوا بوجود كان للمغاربة المقيمين الذين نفتهم إسبانيا من المنطقة التي كانت تملكها في المغرب وهي منطقة الريف الذي عاصمته تطوان في شمال المغرب، وذلك قبل استقلال المغرب، وذكروا أنهم ساعدوا في بناء أول مسجد في (مالابو) كما أنهم أقاموا أو قل: شقوا طرقاً فيها.

وذكروا أن عددهم هو ١٤٠ عاد أكثرهم إلى المغرب بعد أن استقلت وتخلصت من نفوذ إسبانيا.

وقالوا لي أحد المسنين من المسلمين: إن عدد المسلمين كان أكثر مما هو عليه الآن، وذلك عندما كانت البلاد تحت الحكم الإسباني وفيها مجال للعمل فكان أن أتت إليها جماعات من المسلمين من نيجيريا والكاميرون ورحلوا عندما استقلت البلاد، وضاقت مجالات العمل فيها.

أمـــا فـــي مدينة (باتا) فإن الإخوة المسلمين من الهوسا كانوا أول الداخليـــن إليها، وذلك في عام ١٩١٦م، وقد أنشأوا أول مسجد في البلاد كلها في (باتا) أكبر مدن غينيا الاستوائية، ولم يكن عددهم كبيراً بل قيل إنه لا يزيد على ٤٠٠ وهم اليوم فيما ذكر لنا يعدون سبعمائة رجل.

ثم وصل بعدهم مسلمون من غرب إفريقية وبالذات من سيراليون وليبيريا ولكنهم لم يبنوا مسجدا مثلما فعل (الهوسا).

وفـــي الســـنين الأخـــيرة وخاصة بعد الاستقلال جاء إليهم للتجارة مسلمون من مالي والسنغال فقاموا بدعوة نشطة بين أهالي البلاد وتعاونوا معهم على بناء مسجد آخر في (باتا) هو الذي ذكرته في اليوميات.

وقد أخبرنا الإخوة في الجمعية أن عدد المسلمين الأصلاء في (باتا) يـــبلغ (٤٠٠) شخص أو يكاد وأنهم نشطوا وأجروا اتصالات بالمسلمين حـــتى إنهم قابلوا رئيس الجمهورية فاستقبلهم استقبالاً حسناً وشجعهم بأن أثـــنى علـــى الدين الإسلامي وأرسل أحد وزرائه للإشتراك في الاحتفال بافتتاح المسجد.

والمســـلمون يزدادون عددا باستمرار، ولو وجدت دعوة مخلصة مثابرة لتضاعف عددهم أضعافا مضاعفة.

وأعطونـــي ورقة فيها ذكر شيء عن المسلمين هنا وبيان بعدد المساجد والبلدان التي تقع فيها، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم ١٩٩٦/٣/٣٠م

دخـــول الإســـلام في غينيا الاستوائية في عام ١٩٢٦م من ليبريا وسيراليون وكانوا يصلون في بيوتهم في عهد الإسبانيين خوفاً من الفتنة

وبعــد ذلــك تقــدم رجل مسلم من تشاد اسمه محمد الوان إلى الحكومة الإســبانية وفــي ذلــك الوقــت كانوا المغاربة موجودين فساعدوه حتى اعترفــت الحكومة الإسبانية بالإسلام فأسس اللوان مسجد ١٩٣٦م فكان أول إمامهم هنا

(١) مالم محمد أقروا، نيجيريا.
(٢) مالم إبراهيم، ليبريا.
(٣) مالم اكنتارا، نيجيريا.
(٤) مالم موسى كفى، نيجيريا.
(٥) مالم حسن، نيجيريا.
(٦) مالم عثمان، نيجيريا.
(٧) مالم بلاريبي، نيجيريا.
(٨) مالم ثاني، نيجيريا.
(٩) مالم حسين عبدالعزيز عبدالله تشادي منذ عام ١٩٤٨م.

وأما عدد المساجد فكان كالآتي:

(١) ملابو مسجدين (١) جمعة.
(٢) باتا مسجدين (٢) جمعة.
(٣) أنيزو: واحد.
(٤) تيفا: واحد.
(٥) فينو أويوا: واحد.
(٦) منقاموا واحد (١) جمعة.
(٧) فهذا هو معلوم لدينا في غينيا الاستوائية.

يوم الجمعة ١٨/١١/١٤١٦هـ - ٥/٤/١٩٩٦م

مغادرة غينيا الاستوائية:

هـذا اليـوم هـو يوم السفر إلى (ساو تومي) الذي طال انتظاره، وموعـد قـيام الطائـرة إليها من (مالابو) هو الرابعة، ولذلك طلبنا من موظفـة الاستقبال وهي فتاة من السود أهل البلاد أن تسمح لنا بالبقاء في الغـرف لمـدة ساعة أو ساعتين بعد الثانية عشرة التي حددوها موعداً لمغادرة الغرف فأبت ذلك وقالت إذا جلستم بعد الثانية عشرة دقيقة واحدة حسبناها عليكم ليلة كاملة.

وهـذا موقف هندي أشبه منه بموقف أوروبي، فقد اعتدت من أهل الهند على عدم التسامح مع النزيل في البقاء في الغرفة بعد موعد المغادرة.

والأغـرب مـن ذلـك أن خادمة الغرف وهي التي تنظفها وتعيد ترتيـبها وهي إفريقية بائسة طرقت عليَّ باب الغرفة في الساعة الحادية عشـرة والنصف وكانت عرفت أننا سنسافر اليوم قائلة: إنني أريدكم أن تخلوا الغرف حتى أستطيع أن أنتهي من إعدادها بعدكم للنزيل قبل موعد ذهابي إلى بيتي للغداء في الثانية عشرة، فأنزلنا أمتعتنا وجلسنا في قاعة الاسـتقبال الجيدة الواسعة، وإن كانت غير مكيفة إلا أن فيها مراوح قد طلوها بلون ذهبي أصفر، وهي تبدد الرطوبة بشكل جيد.

وفي الثانية والنصف خرجنا إلى المطار مع السائق المعتاد لنا الذي يقـول إنه سوف يصبح مسلماً، وقد حضر إلينا اليوم، وهو يرتدي لباساً إسـلامياً هـو قمـيص عربـي تطل من تحته أطراف منقوشة لسروال حجازي وفوقهما قلنسوة (طاقية) مزينة بخيوط جميلة كالنقش.

وهـو خبـير بالترحـيل، خـدوم فيما يتعلق به، فأدخلنا (صالون

الشرف) أو الصالون الدبلوماسي، وذهب يسعى في الترحيل.

كان (الصالون) خالياً، وجعلت أتأمل لوحات رسموها على حائطه، منها رسم يمثل رجلاً إفريقياً معه سهمه الذي يطلقه على الطريدة، وامرأة أمام كوخ إفريقي معتاد تكنس ما حوله، وأخرى تطبخ الطعام خارجه بقدر من الفخار وهو الطين المشوي وتحته حطب جزل، وعادة طبخ الطعام هذه عادة إفريقية شائعة، ولا تزال موجودة، وهي طبخ الطعام خارج المنزل في الشارع إن كان المنزل على شارع أو في الخلاء، إن كان في مكان خال، وغالباً ما يكون الأمر كذلك، إذْ تبنى البيوت الإفريقية متفرقة بمعنى أنها غير متلاصقة، ولذلك تكون بينها فراغات لا تصل في التنظيم إلى حد أن تكون أزقة، وإنما هي ممرات أو أماكن خالية يتخذها أهل البيوت بمثابة المرافق العامة.

ورسم آخر لامرأة تحمل على ظهرها جرة كبيرة من الفخار مملوءة بالماء قادمة بها من النهر أو مجمع المياه ذاهبة إلى كوخها الذي بدا في الصورة بعيداً منفرداً وحده.

وأكواخهم كما رسموها كلها من الخشب أو الأعواد المطلية بالطين ذات سقوف هرمية الشكل أو مسنمة من القش أو أغصان الأشجار.

وصورة أخرى لشيخ إفريقي على قارب قصير منحوت من جذع شجرة واحدة، وهو يجدف به في النهر، وفي أسفل ساقه خلخال من خوص النارجيل.

هذا وقد امتد لبثنا في القاعة التي كانت مريحة بسبب وجود ستائر فيها جعلتها شبه معتمة فأصابنا القلق من عدم وصول الطائرة التي حددوا موعد قيامها الرابعة ظهراً، فلم تصل من (دوالا) حتى فات الموعد، ولم يعرفوا السبب.

إلى ساو تومي عن طريق دوالا:

تجاوزت الساعة الخامسة وإذا بمدير فرع الشركة (ايرأوفير افريك) التـــي سنســـافر معهـــا يأتي وقد ارتدى قميصاً عربياً سعودياً كما يفعل المسلمون في هذا اليوم الجمعة، وذكر أنه أحضره معه عندما كان يعمل فـــي مكتب الخطوط الكاميرونية في جدة، ولكنه ليس بمسلم وقال: سوف ننقلكم الآن بطائرة صغيرة إلى (دوالا) ومن ثم تركبون طائرة أكبر إلى (ساو تومي).

وفوجئـــنا بالطائرة التي هي أصغر من الطائرات الصغيرة التي ألفنا ركوبهـــا، فليس فيها إلا تسعة مقاعد وهي منخفضة السقف، ولكن المفاجأة الســـارة أن قائدهـــا مســـلم مـــن أهل مالي رهط رفيقي الشيخ عبدالوهاب الدكـــوري اسمه (عبدالقادر تانكرا) لذا كان لقاؤه بالشيخ عبدالوهاب حميماً، ووعدنـــا بأن يحجز لنا يوم الاثنين القادم من دوالا إلى دكار، وذكر أنه هو الذي يأتي لقيادة الطائرة في الرحلة من (ساو تومي) إلى دوالا.

ركبـــت معنا في هذه الطائرة أسرة فرنسية مؤلفة من رجل وامرأة وطفليـــن إلـــى جانب رجل إفريقي فكنا كل ركاب هذه الطائرة الصغيرة وعددنا سبعة.

لـــم يضـــع الطيار وقتاً، بل أسرع يقلع بطائرته في الخامسة والنصف، وكان حجز لنا المقعد الخلفي فهو أكثر راحة، لأنه بعيد من المحركين.

وكـــان بجانـــب الطيار مساعد له إفريقي، وهذا أمر مطمئن، لأن الســـفر بمثل هذه الطائرات الصغيرة مع طيار واحد يعد مخاطرة، وذلك لئلا يحدث مكروه للطيار فلا يستطيع أحد أن ينزل بالطائرة، وبعد عشر دقـــائق من قيامها وطيرانها على البحر بدأت رؤوس من الأرض تجللها

الغابات وتحيط بها وتقع حولها أخوار وهي الخلجان من البحر، وهذا هو أول البر الإفريقي الغربي من هذه الجهة.

واستمر وجود الخلجان البحرية بمعنى أننا وصلنا إلى خلجان أخرى رغم اقترابنا من المطار فمنطقة (دوالا) فيها هذه الخلجان والرؤوس المتعددة.

وتجلل الغابات المطبقة كل المنطقة في منظر أخاذ، ولكنه مخيف إذا ما تصور المرء أنه محاصر وسط غابة كثيفة بخلجان ومستنقعات واسعة ذات أمراض مستوطنة.

وبدت مدينة (دوالا) كبيرة متسعة أحسن من منظرها عندما رأيتها في الليل عند وصولنا إليها، ولا يرى المرء من الطائرة إلا أبنية حديثة ذات طوابق متعددة تفصل بينها مساحات من الفراغ الأخضر والأشجار.

الهبوط في مطار دوالا:

لم يعلن الطيار أي شيء للركاب من المعلومات المتعلقة بالرحلة ولكنه كان قال لنا إن مدة الطيران هي عشرون دقيقة غير أنها عندما هبطت في مطار (دوالا) كانت الساعة هي السادسة إلا ثمان دقائق وهذا يعني أن الطيران استغرقت ٢٢ دقيقة.

الغريب أن هذا المطار الكبير مطار دوالا لم أر فيه إلا طائرة واحدة ضخمة من طراز (جامبو ٧٤٧) وطائرة مروحية هي التي سنسافر عليها إلى (ساو تومي).

ظلت الطائرة الصغيرة بعد نزولها تدرج في المطارحتى وقفت قرب طائرة مروحية كبيرة نسبياً وهي من طراز داش٨-١٠٠ ذات

محركين مروحيين كنت ركبت مثلها في رحلتي إلى جزر البحر الكاريبي قبل أشهر.

فانتقلنا من هذه الطائرة الصغيرة جداً إلى الطائرة الصغيرة التي هي أكبر منها وهي مثلها تابعة لشركة إير أفيرا فريك التي هي غير (إير افريك) شركة الطيران الإفريقية الكبيرة، ووجدنا ركابها واقفين فأركبونا قبلهم لكوننا من حملة الجوازات الدبلوماسية، وعدد المقاعد في الطائرة كثير نسبياً فهو (٣٧) مقعداً كلها شغلت بركاب معظمهم من السياح الأوروبيين من بينهم الأسرة الفرنسية التي قدمت معنا في الطائرة الصغيرة.

ومثلما نزلنا من الطائرة الصغيرة إلى هذه الطائرة كما ينزل المرء من سيارة ليركب سيارة أخرى بجانبها ركب معنا قائد الطائرة الصغيرة الطيار المالي (عبدالقادر تانكرا) ليقود هذه الطائرة (الداش) أيضاً وفيها مضيف إفريقي واحد قال بالمكبر قبل الإقلاع سيستغرق الطيران إلى (ساو تومي) ساعة واحدة وعشر دقائق وسننزل في (برنسيب) قبل ساو تومي، و(برنسيب) هي الجزيرة الثانية التي تؤلف دولة (ساو تومي) مع الجزيرة الأكبر المسماة (ساو تومي) وعاصمتها (ساو تومي) أيضاً.

ساو تومي



معلومات مختصرة عن (ساو تومي)

الاسم الرسمي للدولة: جمهورية ساو تومي وبرينسيب الديمقراطية.

الموقع: تقع في المحيط الأطلسي جنوب نيجيريا وغرب الجابون.

المساحة: ٩٦٠ كم٢.

العاصمة: مدينة ساو تومي.

عدد السكان: ١٣٣٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٩٩٣م.

الطقس: استوائي حار ورطب.

الديانة: كاثوليك ٨٣./. بروتستانت ١٥./..

اللغة الرئيسية: كريولو.

اللغة الرسمية: البرتغالية.

الاستقلال: استقلت عن البرتغال في ١٢ يوليو ١٩٧٥م.

النظام القضائي: مبيني على النظام القضائي البرتغالي.

الاقتصاد: يعتمد على الكاكاو ويستخدم ٣٩,٦./. من الأراضي للزراعة.

أهم الموانئ: ساو تومي، سانتو انطونيو.

عدد المطارات: مطاران.

العملة: دوبرا.

التوقيت: مطابق لتوقيت جرينتش.

من دوالا إلى ساو تومي:

قامـت الطائـرة المروحية ذات السبعة والثلاثين راكباً من مطار دوالا الكاميروني إلى مدينة (ساو تومي) في السادسة وعشر دقائق مساءً بتوقيـت (دوالا) الـذي يتقدم ساعة واحدة على توقيت (قرينتش) وكان تحـتها حالمـا نهضت مستنقعات من نهر دوالا الذي يتشعب إلى شعب كبـيرة وتؤلـف مياهه في بعض الأماكن بحيرة كدرة المياه ورأينا حيًّا شـعبياً مـنعزلاً عـن المدينة بخليج من الخلجان المائية وهو ذو أكواخ تعلوها سقوف الصفيح المسنمة، وظني أنه لصيادين من صيادي السمك، أو أنه كان كذلك في الأصل، فهي في جزيرة صغيرة مستطيلة.

وفور قيامها وكانت تطير فوق مياه البحر والغابات الداخلة فيه فوق مـتون رؤوس أرضية غير واسعة غيرت اتجاهها إلى الاتجاه الصحيح إلـى موقـع (سـاو تومـي) بالنسبة إلى (دوالا) وهو الجنوب الغربي واستمرت كذلك حتى الوصول.

كنـت أتأمل الأرض تحتي ذات الرؤوس والخلجان فاستعيد معنى اسم الكاميرون الذي سميت به وهو أن أوائل الأوروبيين المكتشفين وهم مـن البرتغاليـين عندما وصلوا الساحل الكاميروني لأول مرة رأوا فيه مقاديـر كبـيرة مـن الروبـيان وهو (الأربيان) في العربية الفصيحة والجمـبري بالعامية المصرية، واسمه في لغتهم البرتغالية (الكاميرون) فأسموها بذلك الكاميرون لما رأوا في ساحلها من إربيان كثير، لكونهم لا يعـرفون لها اسماً من قبل، أو لهوانها عليهم، ولا تزال اللغة البرتغالية تسـمى الإربـيان بالكاميرون، وقد استرعى ذلك انتباهي عندما وجدت البرازيليين الذين يتكلمون اللغة البرتغالية يسمونه بهذا الاسم.

ومن المنظر الجميل هنا منظر مياه عذبة من نهر دوالا لا تبعد إلا قليلاً- كما ترى من الطائرة- عن مياه البحر بينها برزخ لا يبغيان، وهو برزخ ضيق تكسوه أشجار الغابات.

ثـم لججت الطائرة في البحر، وأبطأ غروب الشمس لكون الطائرة تتجه جهة الغرب مع أنها صغيرة غير سريعة وقد أعلن المضيف كيفية لبس سترة النجاة من الغرق أو التصرف في حالة ما إذا اضطر الركاب إلى القفز في مياه البحر.

وقـد استمر الطيران فوق المحيط الأطلسي الذي كان صافي الجو حـتى كاد يختلط منظره على البعد بمنظر السماء التي تكاد تطبق عليه لأن كليهما يبدو أزرق اللون زرقة غير صافية.

ومن الجيد في هذه الطائرة أن التدخين فيها ممنوع، وقدم المضيف ضيافته علبة من الكاكولا أو الفانتا، وليس غيرها إلا الماء المعدني.

هـذا وقد غربت الشمس فاسودَّت صفحة المحيط، وإن كان الشفق وهو النور الذي يبقى في الأفق بعد غروب الشمس لا يزال واضحاً.

وبعـد ساعة من الطيران اسود الشفق فصرنا لا نرى شيئاً، وإنما نتخيل البحر المحيط ليس له قاع قد وصله إنسان وعاد سالماً، ولذلك فإن مجرد التفكير في القفز إليه مدعاة للخوف والفزع.

وبعـد ساعة وخمس دقائق أضاء قائد الطائرة إشارة ربط الحزام دون أن نرى أي شيء إلا ظلام المحيط إن صح أن الظلام يرى.

ثـم بـدت لنا على البعد أنوار (ساو تومي) متفرقة ساطعة، إلا أن المرء لا يميز ما بين تلك الأنوار بطبيعة الحال.

في مطار ساو تومي:

هبطــت فــي مطــار (ساو تومي) عاصمة دولة (ساو تومي) في السابعة و٢٥ دقيقة بتوقيت (دوالا) التي غادرنا منها وهي السادسة و٢٥ دقــيقة بوقت (ساو تومي) الذي يساوي توقيت قرينتش مثل توقيت دكار والدار البيضاء بعد طيران استغرق ساعة وربعاً.

ومــن الطــريف أننا سألنا المضيف ونحن نهبط عن المطار الذي هبطــنا فيه، فذكر أنه مطار ساو تومي مع أنه كان ذكر في إعلانه بعد ركوب الطائرة أننا سنهبط في مطار (برينسيب) قبل ساو تومي فقال: هذا صــحيح ولكنــنا لم نهبط في مطار (برينسيب) لأنه لا توجد فيه إضاءة لذلــك لا يمكن هبوط الطائرة فيه ليلاً، قال: ولم نعلن ذلك لركابنا الذين ركــبوا معنا من دوالا إلى (برينسيب) لئلا يضطربوا، وسوف ننقلهم في صــباح الغد إلى برينسيب في طريقنا إلى (مالابو) ولكنه لم يذكر كيف سيقضــون هــذه اللــيلة في (ساو تومي) ومن الذي سيدفع نفقاتها، لأن الشــركة هي التي أخرت قيام الطائرة من دوالا إلى ساو تومي حتى حل الظلام قبل الوصول إليها.

وعــند ســلم الطائرة كان ضابط معه بطاقات القدوم المعتادة التي يملأها الراكب القادم وهي تعطي عادة في الطائرة قبيل الهبوط فأخذناها معنا لأنه لا يمكن ملؤها في ساحة وقوف الطائرة لعدم وجود النور وعدم وجود ما يعتمد الكاتب عليه عند الكتابة.

وفي الطريق من موقف الطائرة حتى مبنى المطار كنت أنا ورفيقي الشــيخ الدكوري أول السائرين، وإذا بعقرب قد شالت ذنابتها وهي ذنبها الــذي تلسع به أي تقرص الناس وهو الذي فيه السم منها وهي لا تفعل

ذلــك فـــي العـــادة إلا إذا استعدت للسع، أردت أن أنبه الموظفين الذين اســتقبلوا الطائــرة ولكـــنهم كانوا بعيدين عنا، وذلك لتحذير الركاب من الســياح الاوروبييــن الذين كانوا في الطائرة عراة الأقدام إلا من نعال شبيهة بالسبتية وهي (الشبشب).

ودخلنا إلى مبنى المطار وهو صغير إلا أنه جديد نظيف فيه رغم صـــغره كـــل مرافق المطارات الصغيرة من سير متحرك وعربات نقل الأمتعة، بخلاف مطار (مالابو) الذي ليس فيه شيء من ذلك، وفيه شيء أهم من ذلك ألا وهو حسن المعاملة للسائح القادم والثقة به خلاف ما كان عليه الحال عند أهل مطار مالابو.

وجدنـــا علـــى مكاتب الجوازات موظفين اثنين وكان موظف ثالث يقف معهما يتحدث ويضحك بصوت عالٍ، وتفوح من أفواه الجميع رائحة الخمر.

وقـــد ظـــل الـــركاب فترة في المكان الذي كان معتماً لأن أغلب المصابيح الكهربائية الموجودة في المبنى لم يكن فيه نور، لأنهم لم يبدلوا مكان المنطفئ بمصابيح جديدة.

لـــم نكـــن نحمل سمة دخول إلى (ساو تومي) ولكنهم أعطونا إياها سياســـية مجانية من دون توقف، ثم الأهم من ذلك أننا حملنا أمتعتنا من دون أن يضـــايقنا أحـــد مـــن الحمَّال أو غيرهم من المتطفلين، ومررنا بالجمـــرك مـــن دون تفتـــيش ولم يسألوا حتى مجرد سؤال لنخبرهم أن جوازينا (دبلوماسيان) وأكثر المسافرين كذلك، ولا يمكن المقارنة بين هذا المطـــار وبيـــن مطار جارته القريبة في البحر (مالابو) سواء من حيث المعدات أو من حيث المعاملة فهؤلاء أفضل وألطف، وأنظف وأسرع.

كـــان قائد الطائرة الأخ (عبدالقادر تانكرا) قد قال إنه لن يتركنا إلا

بعـــد أن ندخـــل الفندق، ووفى بذلك، إذ حملنا بسيارة الشركة التي فيها الملاحـــون إلـــى فندق (رزدنتال بايا) في وسط مدينة (ساو تومي) وهو فندق جيد كل ما فيه معتنى به من حيث النظافة والعناية وليس في الغرفة شـــيء يحـــتاج إلـــى ترميم أو إصلاح إلا أن مكتب الاستقبال ليس من الفخامـــة بـــذاك، وليس فيه مطعم، ولكن فيه أهم من ذلك وهو أن هاتف الـــنزيل فـــي الغـــرفة مربوط بالخط الدولي، فيستطيع النزيل أن يتصل اتصـــالاً مباشـــراً بـــأي مكان يريده من العالم، وقد هاتفت أهل بيتي في الرياض من غرفتي بسعر معتدل.

وأجـــرة الغـــرفة فـــيه (٦٠) دولاراً أمريكياً،وهم يتحدثون هنا مع السياح بالدولار، لأن هذه البلاد ليست داخلة في منطقة (السيفا) الذي هو الفرنك الإفريقي الغربي المربوط بالفرنك الفرنسي، وتساوي كل مائة منه فرنكاً فرنسياً واحداً.

كانت موظفة الاستقبال فتاة خلاسية غير أنها إلى السواد في اللون أقرب وإلى التقاسيم في الوجه إلى البيض أقرب. ولاحظنا بسرعة الفرق العظـــيم فـــي حسن المعاملة والأدب في المخاطبة ما بين أهل هذه البلاد التـــي كانت مستعمرة برتغالية، وبين أهل (مالابو) التي كانت مستعمرة إســـبانية، وخُيِّل إليَّ أن تربية البرتغال لمن استعمرتهم أفضل كثيراً من تربية الإسبانيين لمن استعمرتهم، وقد تأكد عندنا ذلك فيما بعد.

دخلـــنا الغرفة الواسعة وفيها أنوار عدة ومكيف للهواء جيد وتلفاز ملـــون مربوط على عدة قنوات منها القناة الفضائية الجزائرية التي تذيع بالعربـــية على مدار الساعة وتبدو واضحة جيدة، ومنها القناة الإخبارية الأمريكية (س إن إن) بالإنكليزية.

وفيها أشياء لطيفة منها أنهم وضعوا آلة توصل بتيار الكهرباء في الغرفة ويوضع فيها دواء يطرد البعوض من الغرفة، ولكننا لم نحتج إيه لأنه لا شيء من البعوض أو غيره فيها ومن احتياطاتهم ضد البعوض أن النافذة فيها على سعتها باب من السلك الذي لا ينفذ منه البعوض، وقد عرفت السبب بعد ذلك في شدة احتياطهم من البعوض وهو أن البلاد توجد فيها حمى الملاريا الشديدة، ولكن ذلك ليس بشكل كامل كما أخبرنا به اللبنانيون المقيمون هنا فيما بعد.

وهناك جهاز تفريغ الماء في المرحاض رأيتهم جعلوه بمثابة الحنفية اللطيفة وليس كالمعتاد بأن يضغط عليه أو يرفع حتى يفرغ الماء، وحتى باب الحمام في الغرفة جعلوه كباب الحمام في الطائرة بحيث إذا كان مغلقاً من الداخل بدا من الخارج ذا لون أحمر مكتوباً عليه بالبرتغالية (مغلق) وإذا كان مفتوحاً صار ذا لون أخضر مكتوباً عليه (مفتوح).

وشيء مهم آخر بالنسبة إليَّ وهو أنهم يتكلمون اللغة البرتغالية مما جعلني استعيد التكلم بها الذي اعتدت عليه عندما كنت في البرازيل، وقد فوجئ الجميع بذلك، لأن السياح الذين يأتون إليهم لا يعرفون البرتغالية في الغالب.

سألنا عن مطعم نأكل فيه شيئاً خفيفاً فدلونا على مقصف عندهم في طابق يصعد إليه من درج مفتوح خارج إدارة الفندق، فكان الموظفون يتحلون بأدب نادر، ومجاملة عظيمة حتى إنهم قدموا لنا فاكهة الباباي مجاناً بمناسبة قدومنا لفندقهم لأول مرة، وكان ثمن الشطيرة (الساندويتش) رخيصاً جداً بالنسبة إلى الأسعار التي عرفناها في منطقة السيفا، إذْ لم يزد على دولارين اثنين للشخص الواحد وهي من الجبن،

ولا ينبغـــي أن يفهم هذا على أنه ليس عندهم نزلاء، أو شاغلون لغرف الفــندق فقــد جـــاء إليهم بعد أن سجلنا عندهم سياح ممن كانوا معنا في الطائرة فاعتذروا إليهم بعدم وجود غرف خالية.

ولـــم يتحدث أحد عن انقطاع الماء والكهرباء عن الفندق مثلما كان الجميع حتى أرباب الفنادق يتحدثون عنه في (غينيا الاستوائية) ولذلك لم تنقطع الكهرباء ولا الماء عن الفندق طيلة إقامتنا في (ساو تومي).

كان أكبرهم لنا أن نتصل بالإخوة المسلمين المسئولين عن الجمعية الإسلامية قبل أن ننام حتى يأتوا إلينا غداً، ولم يكن لدينا عنوان لأحد من المســلمين، إلا أنـــنا نعرف أن اسم رئيس الجمعية الإسلامية هو (ليما) فـــنظر رفيقي الشيخ الدكوري في دليل الهاتف فوجد شخصاً اسمه (ليما) تكلمـــت معنا امرأته فذكرت أن زوجها ليس في المنزل وإنه ليس بمسلم فطلبـــنا منها أن يتصل بنا بعد وصوله إلى البيت، وقد اتصل بنا بالفعل وذكر أنه سيأتي إلينا في صباح الغد.

يوم السبت: ١٤١٦/١١/١٨هـ- ١٩٩٦/٤/٦م

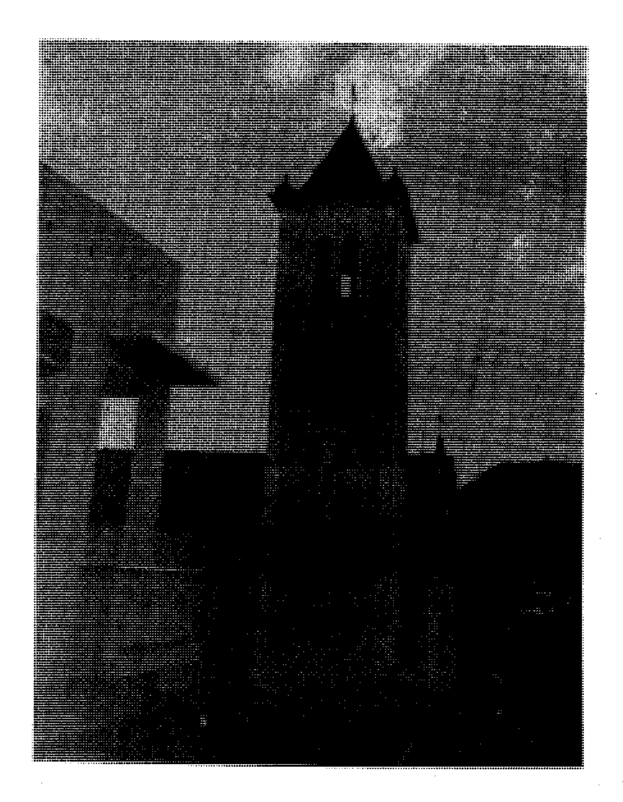
صباح ساو تومي:



أنواع الموز في سوق ساوتومي

كان صباح هذه المدينة (ساو تومي) نشيطاً مبكراً إذْ ما أن أزحت ستارة النافذة حتى رأيت طوائف كبيرة من الإفريقيين الأصلاء قد بكروا إلـــى سوق يقع فندقنا على حافته، وقد جاء بعضهم يحملون أمتعتهم على رؤوســـهم وجاءت بعضهن تحمل إلى ذلك طفلها خلف ظهرها كما هي العـــادة الإفريقية العريقة، وقد تجمهروا في هذا السوق الذي كنت أسعى إلـــى مثله سعياً، وجاءني هنا يسعى إليَّ سعياً، وتبين أن هذا التجمهر في الســـوق لا يكون إلا مرة في الأسبوع هي في يوم السبت هذا، وهذا من حسن حظي، وإن كان السوق موجوداً فإن المراد وجود الباعة والمشترين على أرصفته وبجانب شارعه الواسع.

ومن جهة أخرى تقع كنيسة برتغالية على طرف الميدان الذي يقع فـيه ويتفرع منه السوق وهي معتادة البناء بالنسبة إلى الأبنية الجيدة في قلـب المدينة هذا الذي يقع فيه فندقنا، ولكن فيها شيئاً غير معتاد ألا وهو بـرجها المبني على طريقة الصوامع، وهي منارات المساجد الأندلسية، ممـا يدل على أنه قديم البناء أو أن بناته البرتغاليين أرادوا به أن يكون شاهداً ومثالاً على ثقافتهم العريقة.



برج الكنيسة الرئيسة في مدينة

ساوتومي مبني على الطراز الأندلسي

ومن المعلوم أن الأندلس التي كانت بلاداً مسلمة تشمل جزءاً كبيراً من إسبانيا وجميع بلاد البرتغال التي عاصمتها لشبونة، ولكن البرتغاليين

كـــانوا أشـــد تعصباً فيما يتعلق بأطرزة البناء أو المظاهر الإسلامية من الإســبان، فقــد شــاهدت في المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية والوســطى قصوراً ومنازل عديدة مبنية على الطراز العربي الإسلامي الذي لا يزال البناء به معروفاً حتى الآن، وقد أشرت إلى ذلك في بعض كتبــي المطــبوعة عــن أمريكا الجنوبية مثل: (على قمم جبال الإنديز) و(رحلات في أمريكا الوسطى).

أمـــا البرتغالــيون فإن الأبنية الأندلسية قليلة في مستعمرتهم، وقد بحثت عنها طويلاً في سائر أنحاء البرازيل المستعمرة البرتغالية الكبيرة فلم أجد إلا أمثلة قليلة.

خيام ساو تومي وخيام البرازيل:

كانــت موظفـــة الاستقبال في الفندق قد أخبرتنا أنهم يقدمون طعام الإفطـــار مجاناً لأنه تتضمنه أجرة الغرفة، وهذا أمر جيد تفعله كثير من الفــنادق الأوروبــية ذات الجـــو البارد، ولكن بلاداً أخرى ليست باردة الجـــو، وإنمـــا هي معتدلة كالبرازيل تفعله بصفة شاملة، فما نزلت في فــندق مـــن فـــنادقها في طول البلاد وعرضها إلاّ وجدت وجبة الصباح داخلة في أجرة الغرفة.

وفـــي هـــذا الفندق (الساو تومي) كان الإفطار في غرفة ملحقة به علـــى موائد نظيفة، وجاءوا بالبيان الذي تضمنه مكتوباً باللغة البرتغالية وحدهـــا وقـــد قرأته بسهولة لأنه قليل ومبسط فذكرت وجبة الإفطار في الصباح في فنادق البرازيل عمرها الله تعالى إذْ لم يكونوا يكتبونها كتابة، وإنمـــا يضـــعون الطعـــام على هيئة مائدة مفتوحة طويلة تشغل الفاكهة الصـــباحية المتـــنوعة الطازجـــة حيزاً كبيراً يكفي لابتلاع كل ما تقدمه

المطاعم الأوروبية من أنواع الطعام في وجبة الإفطار، ثم تأتي الأجبان والألبان المتنوعة الأذواق والألوان، ثم البقولات المتعددة، والبيض بأساليب طبخه وإعداده وبعد ذلك القهوة البرازيلية العريقة.

والأهم من ذلك أو مثل ذلك عند الغريب تلك الابتسامة غير المتكلفة والمعاملة الطيبة من العاملات البرازيليات المؤدبات بألوانهن التي تتنوع تنوع فاكهة بلادهن من السواد الندي الخفيف إلى الشقرة الذهبية وما بين ذلك.

وعندما جاءت خادمة المطعم السوداء هذا الصباح وهي تحيي التحية الصباحية المماثلة لتحية البرازيل البرتغالية: (بون ديا) ومعناها الحرفي: يوم طيب، ومعناها الفقهي: صباح الخير، ووضعت مقدمة الإفطار على المائدة وهي قطعة من الباباي في حجم الأصبعين وقرن واحد من الموز، ذكرت البرازيل، وما فيها من شيء جميل فوجدتني أنشد البيت الذي قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم جاءت بالطعام مع زبدة ومربى وقطعة جبن صغيرة كل ذلك مغلف تغليفاً صحياً إلى جانب خبزة وشاي أو قهوة، ولكن هذا الفندق يعتبر مثالاً في نظافته وترتيبه ونظافة الأثاث وقد اعتنوا بمظهر النظافة فكسوا درجه وغرفتي في الطابق الثاني بطبقة من الخشب الصقيل الذي يستعمله الأوروبيون لمكافحة برودة الأرض مع أنه لا برد عندهم.

مقر الجمعية الإسلامية:

لم يطل بنا انتظار الشخص الذي اسمه (ليما) مثل اسم رئيس الجمعية الإسلامية، وهاتفناه البارحة، فقد حضر مبكراً هذا الصباح إلينا

في الفندق فوجدناه خلاسياً يشبه أعراب الجزيرة العربية لولا إنه قصير وليس في وجهه وجاهة العرب ولا تقاسيم وجوههم، وعلل لونه ذلك بأن أبـــاه برتغالـــي وأمه (لوكال) أي إفريقية من أهل البلاد، وأن عمله هو (مدير تجاري).

قـــال: اســـمي انطونيو ليما وهو غير مسلم، إلا أنه يعرف مقر الجمعية الإسلامية، ويعرف رئيس الجمعية الإسلامية الذي اسمه (ليما) أيضاً.



مقر الجمعية الإسلامية في ساوتومي

أخذنـــا الـــرجل بســـيارته إلى مقر الجمعية الإسلامية فسارت مع شـــوارع جيدة من حيث السعة، ومن حيث حالة الزفت، وهي فيما يتعلق بحالـــة الطـــرق تخالف شوارع المدن في غينيا الاستوائية، وهي تخالفها أيضـــاً في قلة كثافة الأشجار، فالأشجار والحدائق المرتبة هنا موجودة، ولكن كثافة الأشجار وكثرتها أقل من مدن غينيا الاستوائية، على أن هذا القول لا يشمل ريف (ساو تومي) فهو غابات متشابكة كثيفة كما سيأتي.

وقفـــنا عند مقر الجمعية الإسلامية الذي آنستنا عنه عبارة مكتوبة باللغة العربية أنساً معنوياً وحسياً، أما الحسي فلكونها بلغتنا الحبيبة، وأما المعـــنوي فلكونها تدل على وجود رسمي للمسلمين في هذه البلاد وتقول العـــبارة في أعلى البناء (مقر الجمعية الإسلامية في ساو تومي) وتحتها ترجمة العبارة باللغة البرتغالية.

لـــم نجـــد رئـــيس الجمعية الإسلامية، بل ذكروا لنا أنه غائب عن الـــبلاد، وأنه مسافر إلى نيجيريا، فأسفنا لذلك، ولكنهم أخبرونا أن نائب رئيس الجمعية الإسلامية، والأعضاء موجودون، إلا أن المقر مغلق الآن.

يقع مقرها في حي من العاصمة أو هو مستقل عنها لأنه في طرفها اســـمه (أقو بوبو) ولاشك أنك ستحس ذوقاً من كلمة (بوبو) هذه بأنك في بلاد قوم من الأفارقة الذين يحبون في لغتهم المقاطع المتألفة من حرفين أولهما متحرك والثاني ساكن.

وسيأتي ذكر تسميات مشابهة لهذا في المناطق الخالصة للإفريقيين في هذه البلاد، لأن بعض الأسماء المهمة هي أسماء برتغالية، بعيدة عن لغة القوم وجرس كلامهم.

والغريـــب أن هـــذه الظاهرة التي تميز بعض اللغات البدائية موجودة فـــي لغـــة عـــريقة جداً هي اللغة الصينية وهي فيها أكثر ظهوراً منها في اللغـــات الإفريقية، وقد ذكرت ذلك في كتبي عن الصين ومن المطبوع منها (داخـــل أســـوار الصـــين) .. مجلدان، و(في جنوب الصين) و(العودة إلى الصين) و(في وسط الصين) و(على سقف العالم)، و(فوق سقف الصين).

وجاءنـــا عـــند مقر الجمعية عدداً من الأشخاص استرعى انتباهي

منهم امرأتان خلاسيتان إحداهما تشبه الأعرابية النجدية، مع أنها ليست لها علاقة بأهل نجد، بل ولا بالعرب إلا إذا كان البرتغالي الذي قارب أمها ينحدر أصله القديم من أصل عربي مغربي، أو مشرقي مهاجر في قديم الزمان إلى الأندلس، وقد سارعت المرأة إلى القول بأنها مسلمة.

ووجدنا امرأة أخرى اسمها (نارميس) تشبه الحضريات من أهل نجد فهي خلاسية غير أنها إلى البياض أقرب وتقاطيعها تقاطيع العرب قالت أيضاً: إنها مسلمة، ولم تقتصر على ذلك، وإنما ذهبت سيراً على الأقدام وعلى كتفها طفل أسود عمره في حدود السنتين، ذكر أحد الإخوة المسلمين بعد ذلك أنها غير متزوجة، وأنها حصلت على هذا الطفل من الشارع، ولا أدري تفسير ذلك، وكذلك وجدنا صبياً ذكروا أنه مسلم.

مسجد ساو تومي:

قالت الخلاسية التي تدعي الإسلام (نارسيس): إن المسجد غير بعيد من هنا، وسارت على قدميها ونحن على السيارة فوجدنا المسجد خلف الشارع العام بمبنى واحد، وهو من الخشب الرث له نوافذ لا تفتح أو تغلق، وإنما هي من السلك الذي يمنع الحشرات ولا يمنع الهواء، ولا نقول الغبار، لأنه لا يمكن أن يكون في هذه الأرض التي يشغلها غبار لكونها كلها أشبه بغابة ندية كثيفة النبات، حتى إن الأعشاب الوحشية تغطي أرضها ببساط أخضر لا يمكن لمن أراد أن يرى الأرض تحته إلا بجهد بعد أن يقطعه ويزيله وهو طبقات أي بعضه فوق بعض.



الشيخ الدكوري مع الدليل انطونيو ليما عند المسجد المؤقت في ساوتومي

وقد التقطت صورة للمسجد من الخارج لأنه كان مغلقاً، وسنعود إليه فيما بعد مع الإخوة المسلمين لنرى حدود الأرض التي يقع فيها وكلها مملوكة للمسلمين.

ودعنا الموجودين عند مقر الجمعية بعد أن أوصيناهم بوساطة المترجم (أنطونيو ليما) أن يخبروا أعضاء الجمعية من المسلمين أننا موجودون في الفندق وأننا نرجو أن يجتمعوا ويأتوا إلينا فيه.

وقد عاد بنا (أنطونيو) بسيارته إلى الفندق مع طريق آخر عندما رأى حرصي على رؤية الأشياء المهمة وكثرة سؤالي، بل فضولي في الكلام.

وكونا من ذلك فكرة عن مدينة (ساو تومي) بأنها جيدة البناء، بحيث أن الأبنية داخل المدينة ليس فيها أكواخ، وكلها جيدة، وشوارعها واسعة نظيفة.



الشارع الذي تقع عليه أرض المسجد في ساو تومي

ولاحظت كثرة الخلاسيين فيها وكونهم في صحة جيدة، وليسوا كالخلاسيين في غينيا الاستوائية الذين قل أن تجد فيهم أحداً غير معتل الصحة إلى جانب قلتهم، وحتى السود هم أجمل أشكالاً، وأكثر وجاهة من أهل غينيا الاستوائية، وهذا هو ما انطبع في ذهني وذهن رفيقي الشيخ الدكوري.

وتبين أن فندقنا يقع في قلب المدينة الجيد، وسيأتي وصف لما رأيناه من قلب المدينة عند ذكر الجولة فيها غداً بإذن الله.

سوق ساو تومي:

لم يزد غيابنا القصير عن الفندق الذي يقع سوق ساو تومي بجانبه السوق إلا ازدهاراً وأهله إلا ازدياداً، وقد سارعت لأراه والتقطت فيه بعض الصور التي توضح للقارئ الكريم أشكال الناس والمعروضات، وقد التقطت لنفسي فيه صوراً وأنا كالمتكره لذلك، وإنما قصدت من الصور توثيق ما قلته عن وجودي في هذا السوق ونحوه، وليس اعتقادي بأن وجود صورتي في الكتاب قد تعجب أحداً.



باعة الأكياس المخططة في ساو تومي

ومــن الأشياء الإيجابية أنني رأيت فيه ما لم أره في أسواق غينيا الاســتوائية وهو عربة جرار مليئة بالقمامة والمخلفات من السائق، وقد جمعوها منه ليبعدوها ولا يزالون يلتقطون النفايات منه.

وأمــا البضــائع المعروضة في السوق فإنها متنوعة من الملابس البســيطة التي يبدو أن فيها ما هو مستعمل والأواني الصغيرة وأكثر ما فيه الفواكه المحلية، والخضرات، وأهم ذلك وأكثره ظهوراً الموز بأنواعه التــي تؤكــل فاكهة، والتي تطبخ غذاء رئيسياً لعامة الشعب مثلما يكون الأرز والذرة أو القمح غذاءً رئيسياً لبعض الشعوب.

وفــي هــذا السوق عشرات من الأطفال الذين معهم أكياس اللدائن يبيعونها على الناس الذين يشترون أشياء تحتاج إلى وضعها في كيس لأن الــباعة وهم يعتبرون هنا من الجائلين أو المؤقتين لا يعطون من يشتري منهم كيساً، وثمن الكيس الواحد مائة (دوبرا) الدوبرا هي عملتهم الوطنية ويســاوي الــدولار الواحــد (٢٥٠٠) دوبرا، ويساوي الفرنك الإفريقي

الغربي (السيفا) وهو ما هو كثرة عدد وقلة حاصل خمسة (دوبرات).

وقلت لرفيقي الدكوري: لو يعلم أهل هذه البلاد معنى (دوبرة) وأنه قد يكون مشتقاً من الإدبار، كما أن (الدبرة) في العربية والفصحى أو العامية عندنا هي القرحة في ظهر الدابة لما سموا به عملتهم.

وهنا تذكرت أنني رأيت نساءً في البرازيل اسم واحدة منهن (دوبرا)، وقد انطقت بذلك أبا زيد الخيالي في المعلقة البرازيلية من كتاب: (المقامات البلدانية) بأن قال:

طحابك قلب بالحسان متيم — يهيم وراء الحسن في كل موئل

فمنهن ريتا ثم شيلا و(دُبْرة) — وفاطمة الكبرى فلا تتنصَّل

وقد التقطت صوراً في السوق لأناس مجتمعين أو متفرقين، ولي معهم متوقعاً أن يعملوا ما عمله أهل غينيا الاستوائية من النفور من التصوير أو الغضب منه بعد انتهائه ، فلم أجد من هؤلاء (الساوتوميين) إلا الاستغراب والابتسام.



أطفال يبيعون أشياء صغيرة في ساوتومي

وهــذا الأمر إلى أمور أخرى جعلتنا نشعر بالأمان بينهم وأعطتنا انطباعاً بأنهم قوم وديون ذوو طبيعة سمحة، وهذا ما تأكد لنا فيما بعد.

واشــترينا مــن السوق باباي وموزاً سكرياً جيداً رخيصاً وبرتقالاً استوائياً غير جيد.

هذا وكان السوق مزدحماً جداً بالباعة والمتسوقين، ومن الباعة من أحضــر بضـــاعته على سيارة أو عربة، أو نحو ذلك فصار يبيع منها، وكان السير فيه متعة غامرة، لاسيما مع عدم النظر الشزر لمن يحمل آلة تصــوير، والشــعب فــيه شــعب إفريقي عريق في إفريقيته، بحيث أن الخصائص المظهرية المشهورة في الإفريقيين هي ظاهرة فيه،إضافة إلى السواد الشديد الذي لا يمكن إخفاؤه.

الاجتماع بزعماء المسلمين:

حضــر إليــنا جماعــة مــن كبار المسلمين العاملين في الجمعية الإســلامية اســتجابة لمــا طلبــناه مــن الذين رأيناهم في مقر الجمعية الإســلامية، وقــد حضــر مــنهم، الأخ محمد تانكو وهو هوساوي من الكاميرون مقيم في ساوتومي منذ عشر سنوات، وقد حدثنا أنه عندما أسلم الأخ محمــد ليما رئيس الجمعية الإسلامية في عام ١٩٨٧م كان يصلي معه لا يصلي معهما أحد.

ورئــيس الجمعــية الإسلامية هو الآن مسافر في نيجريا، لذلك لم نستطع اللقاء به، وكلن الإخوة المسلمون حدثونا عن أمره بأنه أول مسلم

مـــن سكان أهل (ساوتومي) وكان إسلامه في مدينة (ابرازافيل) عاصمة الكنغو علي يد شخص مسلم من مالي اسمه (باي درامي) وكان إسلامه- كما سبق- في عام ١٩٨٧م فتحاً للإسلام والدعوة الإسلامية في البلاد، إذْ أســس أول جمعية إسلامية مسجلة في الحكومة، ومعترفاً بها منها، كما أقام أول مسجد صغير مؤقت من الخشب، ودعا قومه من أهل البلاد إلى الإسلامي فأسلم منهم جماعة، وبعضهم كان قريباً من ذلك، إلا أن رعاية المســلمين الجـــدد غير موفرة لهم في هذه البلاد بسبب ضيق ذات اليد، ولكونهم هم أنفسهم يحتاجون إلى من يبصرهم بأمور دينهم.

وممـــن حضر أيضاً الأخ (أحمد علي ليما) وهو شاب أسلم حديثاً، وأخ لمحمد ليما رئيس الجمعية الإسلامية ويعمل الآن نائبا لرئيس الجمعية.

وعمر سانتوس أسلم منذ ٣ سنوات وهو الآن مواظب على الصلاة، وحريص على تعلم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، نوه بذلك عنه الإخوة من جماعة المسلمين. وهو من أهل (ساو تومي) الأصلاء، وحسن فوابو من الكاميرون.

وحـــاتم (ويـــو) مـــن الســـكان (الساوتوميين) الأصلاء أسلم منذ سنتين ونصـــف، وقـــد أخبر الإخوة المسلمون بشي ظاهر، وهو أنه لا يوجد أحد من المسلمين من أهل البلاد الأصلاء، أبوه مسلم، وإنما أسلموا هم بأنفسهم.

وهـــذا ظاهر من كون رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (محمد ليما) هـــو أول من أسلم من السكان الإصلاء وإسلامه كان منذ ٨ سنوات على وجه التقريب.

عدد المسلمين:

لـــم يستطع هؤلاء الإخوة وهم من العاملين في الجمعية الإسلامية، ومن المهتمين بأمور المسلمين أن يعرفوا عددهم بالضبط، ولكنهم قالوا: إن لديهم قائمة بأسماء المسلمين الجدد سوف يعطوننا إياها.

وقــد أعطونـــا إياهـــا بالفعل بعد ذلك، ولكن قال أحدهم وهو أمين صــندوق الجمعــية الأخ الحـــاج (عمر كان) إن هناك قائمة أحدث منها تشتمل على أسماء غير مذكورة في هذه القائمة.

قالوا: إن من المسلمين من غير أهل البلاد الأصلاء ثلاثة من مالي و٣ مـــن لبنان، وعشرة أجانب، ولم يذكروا السنغال الذي من أهله الأخ عمر كان، أمين الصندوق للجمعية.

إلى مسجد ساو تومي:

وهـــو المســـجد الذي ذهبنا لرؤيته هذا الصباح فرأيناه مغلقاً، وقد أخـــبرنا الإخـــوة المســـلمون أنهم يملكون أرضاً واسعة امتداداً لأرض المسجد، لذلك حرصنا على زيارته معهم.

ركبنا سيارتي أجرة جيدتين وإن لم تكونا من سيارات الأجرة فأهل السيارات الخاصة يؤجرونها كما تؤجر سيارة الأجرة.

فـــتحوا بـــاب المســـجد الـــذي هو من الخشب قد أقاموه مؤقتاً لذلك بدا مهلهـــلاً مخلخـــلاً، ولا غرو، لأنهم يأملون أن يبنوا على هذا الأرض الواسعة مســـجداً بـــناء متقـــناً بلإسمنت المسلح، وقد وضعوا لذلك خرائط وتصميمات أطلعونا على الرسم الذي من المقرر أن يكون عليه المسجد.

وفـــراش المســـجد يوحي بالعوز، وعدم القدرة، إذْ هو من المشمع الذي

أبـــلاه الزمانِ حتى صار مستهلكاً لا يصح أن يبقى في المسجد، ولكن هذا هو ما سمحت به حال المسلمين المالية و(لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها).



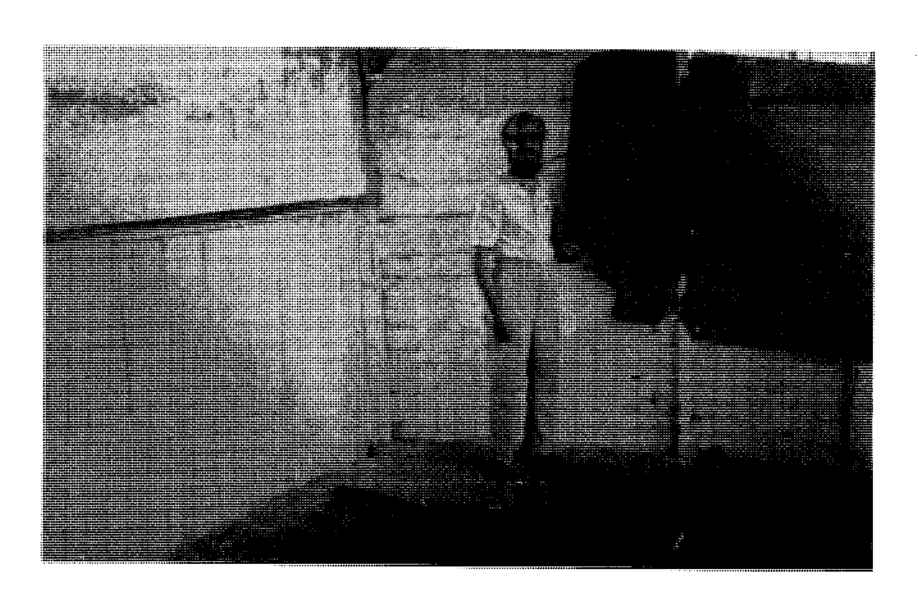
مع الإخوة المسلمين في داخل المسجد المؤقت في ساو تومي

وقـــد حاولـــت أن أعرف منهم سعة المسجد الحالي وسعة الأرض كلها فذكروا أنهم لا يستطيعون ذكر ذلك إلا إذا رجعوا للأوراق الرسمية التي منحتهم الحكومة بموجبها هذه الأرض.

وقـــد قست مساحة المسجد بنفسي فوجدته عشرة أمتار في أربعة أمتار وجـــزء منه في شماله محجوز لصلاة النساء مفصول عن باقي المسجد بحاجز خشـــبي قصـــير، وأما الأرض فقد عرفت بعد ذلك من الأوراق الرسمية التي حصلنا على نسخة منها، أن مساحتها (٤٥٠٠) متر مربع.

وفي المسجد سبورة خشنة متشعثة منكسرة الأطراف.

وذكـــروا أنهـــم بنوا هذا المسجد المؤقت من التبرعات فيما بينهم وساعدهم على ذلك أخ سنغالي، كان يعمل في الأمم المتحدة واسمه (فال) لا يذكرون منه إلا هذا.



السبورة المكسرة داخل مسجد ساو تومي

وليس للمسجد إمام متفرغ مؤهل في الوقت الحاضر، وكان عندهم في السابق إمام مبعوث من جمعية (سار) التي هي جمعية خيرية منبثقة من مؤسسة الراجحي في الرياض، إلا أنه ذهب ولم يعد بحجة أن مؤسسة (سار) لم ترغب في تجديد عقده، ولكن يؤم المسلمين الآن أحد الإخوين (محمد تانكو) و(حسن فوابو).

وسقف المسجد من الصفيح الرث الذي أصابه الصدأ، ولا يليق أن يبقى مظهر المسجد بهذه المثابة وإخوتهم المسلمون في الحواضر الإسلامية على ما هم عليه من قدرة مالية ووفرة في الرجال الذين يستطيعون أن يساعدوهم بالنصح والإرشاد.

ومن توفيق الله لنا أن خصصنا في رابطة العالم الإسلامي خمسين ألف ريال،وتساوي ١٣٠٠٣ دولاراً أمريكية مساعدة أولية لإنشاء أول مسجد في هذه البلاد، وذلك في صك- شيك- سنقدمه للجمعية وسيأتي الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله.

ذكر الإخوة أن لهم درساً قرآنياً يقيمونه في المسجد، ومن الطريف أنهم أشـــاروا إلـــى أحد الشبان من المسلمين،وكان بعضهم انضموا إلينا في المسجد فقالوا: إنه في سورة الفجر، وإلى آخر قالوا: إنه في سورة الطارق!!

وهذا ذكرني بما كان موجوداً عندنا في مدارس الصبيان حيث كان المعلم يدرس الصبيان تدريساً تلقينيا فيقول: فلان حفظ سورة كذا يريد أنه عرف قراءتها وهو في السورة التي بعدها: سورة كذا.

أمـــا هـــؤلاء الإخوة فقد طلبوا من أحدهم أن يقرأ سورة الضحى فقرأها قراءة جيدة.



الأشجار الملتفة في أرض المسجد في ساو تومي

ثـــم تجولـــنا في الأرض كلها فرأيت فيهاأشجاراً من أشجار الموز نامية نضرة قالوا: نحن الذين غرسنا أشجار الموز هذه من أجل أن نثبت للحكومـــة أننا عمرنا الأرض، ولكن الأعشاب الوحشية فيها كثيفة، لذلك قلـــت لهم: أليس من الممكن أن تأتوا ببعض المواشي كالغنم ترعى هذه

الأعشاب الملتفة فدهشوا لهذا الأمر، وكأنه لم يخطر لهم على بال، ثم رأيت عنزاً مربوطة في ناحية من أرض المسجد وقد امتلأ بطنها من الرعي مع أنها مربوطة.

وفي شرقي الأرض نبع نوهوا بأنه عين، وأنها داخل أرض المسجد، وقد رأيت نساء من أهل البلاد يغسلن ثيابهن منها وبنيات صغيرات يأخذن منها إلى بيوتهن، وإن لم تكن ملاصقة لأرض المسجد.

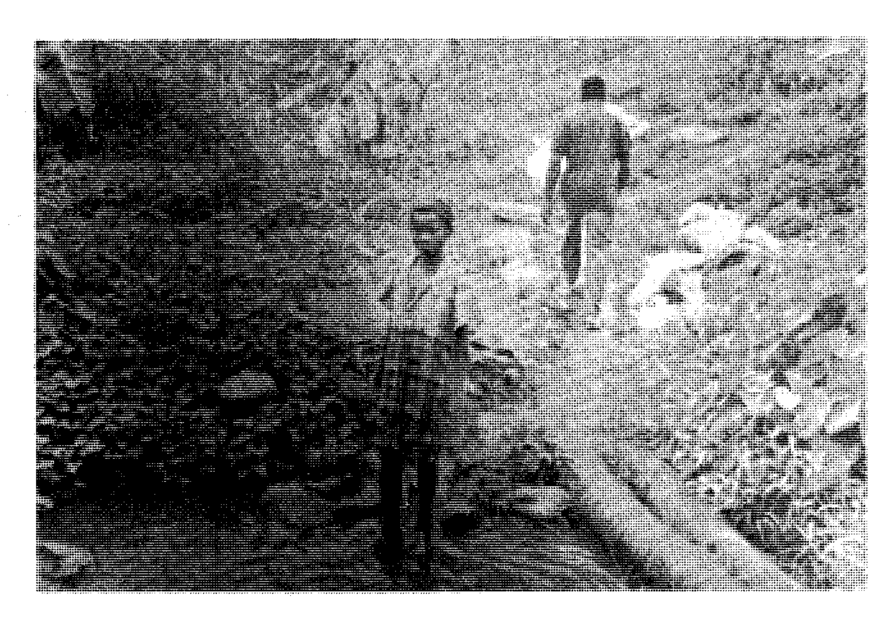
أردت تصوير الأرض من مكان مرتفع على حدها من جهة المغرب فالتقطت الصورة بالفعل بعد جهد وبحث من مكان لا تستره أغصان أشجار كانت على حافتها الغربية.

ورأيت بجانب أرض المسجد من جهة الشمال بيتاً يبنى من الخشب في مراحله الأولى حيث يبدو وضع الخشب فيه شبيهاً بالخشب الذي يوضع لبناء الأسمنت المسلح إلا أنه غير مرصوص.

واكتشفت في جانب من أرض المسجد المثل العامي عندنا الذي يقول: (ترعى وهي رابضة) والمراد بها الراعية أي التي ترعى من الدواب، وذلك إذا كثر العشب وطال.

وهذا واقع هنا، ومن العجب أن لا يستغل الناس ذلك فيبقى الفقير فقيراً مع أنه يستطيع أن يعمل مثل هذا العمل، وإذا لم يكن لديه مال يشتري به ماشية، فإن العجب من ذي المال عندهم ألا يعطيه المال ليستثمره بجزء منه.

ومعزاهم صغيرة- كما قلت- تشبه معزى تهامة في بلادنا إلا أنها بيض الرؤوس سود الأبدان.



بنية إفريقية في النهير الذي يخترق أرض المسجد في ساو تومي

هذا وكان الجو غائماً إلا أنه حار رطب، لأن الشمس قد ارتفعت، والظهيرة قد قربت.

وعدنا من طريق آخر إلى الفندق، وطلبنا منهم أن ينظموا اجتماعاً لأكبر عدد ممكن من زعماء المسلمين في مقر الجمعية حتى نعقد معهم اجتماعاً ونسلمهم الشيك الذي أحضرناه معنا للمسجد.

غداء لبناني:

علم بوجودنا رجل لبناني مسلم فأرسل ابن أخيه إلى الفندق مستوضحاً فتحدث إلينا وجاء عمه يدعونا للغداء في بيته، وكنا بحاجة إلى ذلك لأن الفندق ليس فيه مطعم، وكنا سألنا أهله عن مطعم قريب نظيف، فلم يخبرونا لعدم معرفتهم، إضافة إلى أننا لا نطمئن إلى هذه المطاعم الأجنبية التي لا ندري عن اللحم فيها ولا عن نظافتها.

ذهبنا إلى الأخ اللبناني في حانوت له على سيارة لأحد الإخوة

الإفريقيين فوجدناه فيه بالفعل وذكر أنه يبيع الأغذية وعلى رأسها اللحم والدجاج والمشروبات والأطعمة الأخرى بالجملة، يبيعها على أهل الدكاكين، والمتاجر الصغيرة، وذكر أن عمله لا بأس به لأنه يستورد من خارج البلاد، وله خبرة بهذه التجارة.

ذكر أن عدد المسلمين اللبنانيين ثلاثة وقد حضروا غداءه وهما اثنان معه، وأنه يوجد في البلاد لبناني مسيحي واحد.

واسم الأخ اللبناني على حسن الدهينة من جنوب لبنان.

انتقلنا من (دكانه) إلى بيته الذي يقع في الطابق الثاني من المبنى الذي يقع فيه متجره، وذكر أن المبنى مستأجر مع أنه وشركاءه يملكون مبنى جيداً من عدة طوابق أرانا إياه ومستودعاً للأغذية ضخماً أشار إليه.

وفي بيته وجدنا المائدة قد نصبت عليها الفاكهة والخبز فانتظرنا قليلاً ثم قدم الغداء كاملاً، وكان يقدمه طباخ إفريقي عندهم لأنه ليس لديهم نساء، وكان طبخه ممتازاً لا يكاد يختلف عن الطبخ اللبناني بشيء، وقد أمعنا فيه أكلاً لأنه طعامنا الذي مضت علينا أيام لم نذقه.

كان مؤلفاً من الأرز ومن الخضار المنوع المطبوخ باللحم، وأهم ما في الخضار الباذنجان الأسود واللحم البقري إلى جانب سلطة ممتازة من الطماطم والخيار والملفوف، وصحن من الحمص بالطحينة المأدوم بزيت الزيتون.

وقبل ذلك حساء (شربة) من الخضرات واللحم لذيذة جداً، ثم الفاكهة وهي بطيخ أخضر وباباي وموز.

وبعد ذلك حملتنا سيارته التي هي يابانية غالية كسيارات الجيب من بيته الذي يقع في شارع الثالث من فبراير، والغريب أن هذا الأخ لم

يعرف لماذا ذكروا الثالث من فبراير هنا وسموا به الشارع كما تبين أنه لا يهتم بالمعلومات العامة، لأنه رجل تجارة ومال شغله الاهتمام بها عن الاهتمام بالأشياء الأخرى.

ومـــن ذلك أننا تجاوزنا ونحن نسير مع الشارع نهراً صغيراً سألته عن اسمه فلم يعرفه مع كونه ليس بعيداً عن بيته.

ومررنا بالقصر الجمهوري الذي رأيناه نظيفاً ولكنه ليس فخماً، ولا بـــالغ التميز، وقد أخبرنا هذا الأخ أن رئيس الجمهورية يخرج في بعض الأحيان بنفسه وحيداً إلى الشارع من غير أبهة ولا هيلمان.

ويقـــع القصر الجمهوري على شارع (برزدنتال) بمعنى الرئاسة، سمي الشارع بذلك لوقوع قصر الرئيس عليه، والشارع جيد ذو اتجاهين بينهما جزيرة فيها أعشاب وزهور معتنى بها.



المؤلف على شاطئ مدينة ساو تومي

ثم مررنا بشاطئ رملي جميل من شواطئ موجودة بهذه الجزيرة، ولكن هذا الشاطئ بالذات هو الذي يقع عليه جزء من المدينة، وكان يظن لهـذا السـبب أن يكون مزدحماً بالسايحين والمتنزهين لأن هذا هو وقت الذهاب إلى الشواطئ للسباحة والتنزه، حيث الساعة قد زادت على الثالثة ظهـراً، ولـم تصل إلى الرابعة، ولكننا لم نر عليه إلا عدداً ضئيلاً من الشـبان الإفريقيين يلهون بأمواج هادئة تداعب رماله الصافية، فالتقطت صورة للجزء الخالي منه وواصلنا السير إلى شاطئ آخر وهو جميل لأنه جـزء مـن مرفأ طبيعي يشبه شكل الهلال لم يعرف الأخ أيضاً اسمه، فاكتفيت بالتقاط صورة تذكارية فيه.

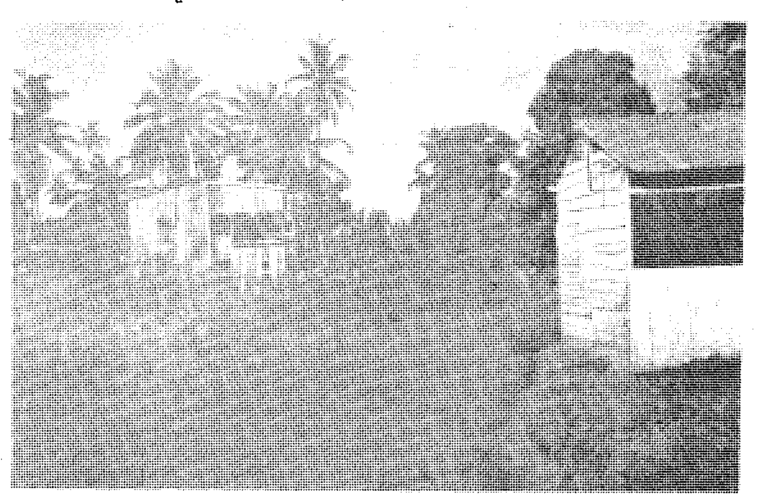
وقـد عجبـت مـن هذه المصادفة الغريبة وهي أن تكون شواطئ المسـتعمرات البرتغالـية أجمـل مـن شواطئ المستعمرات التي كان يسـتعمرها غـيرهم مـن الأوروبيين، ولو لم يكن لذلك من الشواهد إلا شـواطئ الـبرازيل الفائقـة في الجمال ونعومة الرمال، وناهيك بجمال شـواطئ مديـنة (ريودي جانيرو) أجمل مدن العالم فهي رملية متعددة متنوعة المظهر مع أنها في بلدة واحدة، وتحيط بها روابٍ خضر تنهض من قربها في وقوف شبه حاد حتى يعجز السحاب المنخفض الذي يكون في أكثر الأحيان أبيض ناصع البياض عن أن يطاولها.

ومـررنا بعـد ذلك بحي جيد قال: فيه الأغنياء الدبلوماسيون، ولم يعـرف اسمه وهو بحق جميل المظهر يشقه شارع عريض من اتجاهين بينهما جزيرة من الأعشاب والزهور والبيوت عليه دارات (فيلات) ذات حدائق واسعة ترفرف عليها فروع الأشجار الريانة الخضر.

وتمشية الأصيل:

استرحنا في الفندق وكتبت ما شاء الله أن أكتب، ثم خرجت قبيل غروب الشمس مع رفيقي الدكوري في تمشية على أشلاء السوق الذي كان مزدحماً وما يزال فيه أناس كثير، وقد كثرت فيه الإفريقيات اللاتي يبعن مأكولات محلية بسيطة ومنها مثلاً الموز المقلي وأنواع من الشطائر (الساندويتش).

والجو جيد جداً يكاد يخلو من الرطوبة في هذه الساعة ولا أثر للبعوض الذي يبدأ بالانتشار عادة في هذه الساعة من الغروب، ولذلك يكثر الخفاش الذي يتغذى عليه أي على البعوض والحشرات الطائرة يصطادها من الجو وهو يطير، ولذلك لم أر خفاشاً في هذه الساعة.



جانب من الحديقة العامة في ساو تومي

ورأينا حدائق منظمة فيما وصلنا إليه منها مع أن وجود الحديقة لا يكلفهم أكثر من تعهدها بالقص أو التهذيب لأنها تشرب من ماء السماء، والأشجار الكثيرة لا تحتاج إلى عناية كبيرة، أما الزهور والأعشاب المغروسة فلم أر منها إلا القليل من الزهور، وأما غرس الأعشاب أو النبات

الآخر للزينة فلا يعرفونه.

وفـــي السوق رأيت شواهد من عراقة هذا الشعب في إفريقيته منها حمل الأمهات أطفالهن على ظهورهن، بل رأيت طفلة تحمل طفلاً على ظهـــرها فصورتها من دون استعداد منها ولا أدري أتكون صورة الطفل المحمول ظاهرة أم لا.

وحمـــل الطفـــل على الظهر يتيح للمرأة أن تحمل على رأسها ما تريد حمله، ويتيح لها أن تكون يداها غير مشغولتين.

وحمـــل الأشـــياء الثقيلة على الرأس وهذه عادة إفريقية تكاد تكون عامـــة، ولعـــل مرجع ذلك إلى قوة عظام الرأس نتيجة لكثرة التعرض للشمس، أو لسبب آخر.

إلـــى جانب المظاهر الجسدية المعروفة من الفم الفضولي، والأنف المســتحي، والأرداف الغلـــيظة، والصــــدور غير المزيفة لأن الإفريقية العـــريقة قلما تستعمل حمالة الثدي، والسرر المنتفخة وهي- جمع سر- وهو موقع اتصال الحبل السري من بطن الطفل، وعدم المبالاة بما ظهر من جسم المرأة من دون أي قصد للتبرج، وربما كان هذا من بقايا عهد العري أو القريب من العري من الملابس الذي كان سائداً في الغابة وكاد ينقرض الآن أو انقرض بالفعل.

وهـــذه إلى جانب الرائحة المميزة للأجسام وإن كانت هنا أقل ربما كان ذلك لقلة الرطوبة في الجو أو لعادة تنظيف الجسم بالاستحمام.

والشيء الظاهر عند الأفارقة عموماً هو محبتهم للشراء من السلع المعروضة على الأرض والأرصفة، أي غير الموضوعة في الحوانيت، واشتراك المرأة في البيع والشراء البسيط.

يوم الأحد: ١٩/١١/١٤١٦هـ- ٧/٤/١٩٩٦م.

تسليم المساعدة المالية:

قلت: إننا نحمل معنا (شيكاً) بمبلغ طيب من المال يكفي للبدء بأعمال بناء المسجد، وقد طلبنا منهم أن يحضروا كل من يستطيعون إحضاره من الأعضاء العاملين في الجمعية، وزعماء المسلمين وذلك في مقر الجمعية الإسلامية هذا اليوم ولم نكن استطعنا الدخول إليه أمس لأن الشخص الذي كان معه مفتاحه لم يكن موجوداً.

وفي العاشرة من هذا الصباح انتقلنا إلى مقر الجمعية حيث وجدنا اثني عشر شخصاً من المسلمين منهم الإمام (تانكرا محمد) ونائب رئيس الجمعية (أحمد علي ليما) وامرأة مهمة في الجمعية وفي الوسط الإسلامي هي (سارة) زوجة رئيس الجمعية، وشاركت في جميع ما يتعلق بأمور الجمعية وهي ثرية تملك عقارات في هذه المنطقة من (ساو تومي) ومن ذلك هذا المبنى الذي تشغل الجمعية الطابق الثاني منه، ويشتمل على أربع غرف أكثرها متوسطة الحجم، وتعتبر كبيرة في هذه البلاد وإحداها صغيرة وهي التي فيها مكتب رئيس الجمعية وقد جلسنا فيها نحن الاثني عشر ولم تكد تتسع لنا ولما نحن عليه من مقاعد خشبية أحضروها من غرف أخرى في مقر الجمعية ومن الغرفة الكبيرة آلتان كاتبتان إحداهما عربية وأدوات مكتبية أخرى والمقر- على وجه العموم- مؤثث تأثيثاً جيداً على خلاف ما عليه الجمعية الإسلامية في (مالابو) التي ليس لها مقر أصلاً، وفي (باتا) التي تجتمع في المسجد.

وكنا طلبنا منهم أن يحضروا أحد المسؤولين في الحكومة من أجل

حضور تسليم (الشيك) لهم من أجل توثيق صرفه في محله، ومن أجل أن تعـــرف الحكومـــة أننا لم نجئ هنا لنقوم بأعمال خفية معادية لها أو لغيرها، وإنمـــا دفـــع المعونة على بناء المسجد أمر ليس عليه غبار من الناحية القانونية، لأنه مدفوع لجهة رسمية مسجلة في الحكومة، ولأن الأوروبيين كـــانوا لا يزالون يساعدون المسيحيين يدفعون المعونات المالية والعينية الكثيرة لهم علناً وبلا استخفاء.

وحضر من الحكومة القاضي ومستشار رئيس الجمهورية (انطونيو روتاريو امارو) وهو غير مسلم، ولكنه الذي أشرف على منح الترخيص الرسمي القانوني من الحكومة لهذه الجمعية، وله علاقة ودية بالمسلمين.



مع المسلمين في مقر الجمعية الإسلامية في ساو تومي

بعـــد أن اكـــتمل عقد الحاضرين ألقيت فيهم كلمة بالعربية ترجمها الشيخ الدكوري إلى الفرنسية فترجمها القاضي للقوم إلى البرتغالية، وإن كـــان فيهم من يحسن الفرنسية أو شيئاً منها فترجمتها إلى البرتغالية أمر مطلوب لكي يفهمها الجميع.

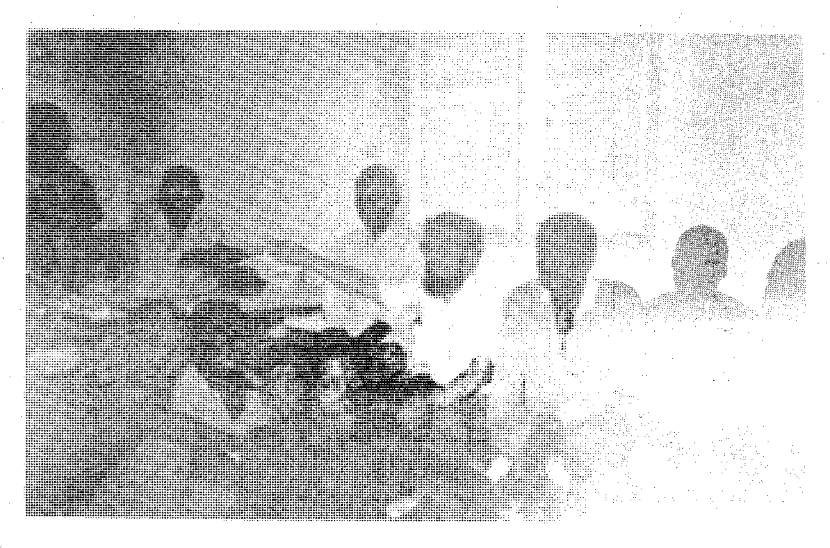
قلت فيها بعد المقدمة بالحمد والشكر لله تعالى الذي قدر الاجتماع في هذا المكان الذي لم يكن فيه قبل سنوات من ينتمي إلى الإسلام، ثم على ما قدره من هذا الاجتماع الطيب بهؤلاء الإخوة المسلمين، إننا من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة التي أسست للتعاون مع الإخوة المسلمين في جميع أنحاء العالم على أمور دينهم، بما في ذلك المساعدة على إنشاء المساجد،وقد أحضرنا معنا هذا (الشيك) الذي يمثل ١٣,٣٠٠ دولار أمريكية لأجل الإسهام في نفقات بناء المسجد على الأرض التي حصلتم عليها من الحكومة بدون ثمن، ونخبركم أن هذا المبلغ هو مخصص لبناء المسجد وليس غير فلا يجوز صرفه أو صرف شيء منه على أي مشروع خيري آخر كالمدرسة أو بعض فقراء المسلمين، لأنه فيما يتعلق بالمدرسة يمكنكم الكتابة إلينا الآن أو فيما بعد، لطلب المساعدة التي سننظر فيها ولذلك نرجو منكم جميعاً أن تعرفوا ذلك، ويعرفه ممثل الحكومة الحاضر معنا القاضي انطونيو.

ولتعلموا أنه لا يجوز أن يصرف الشيك إلا باجتماع من عدد من المسلمين العاملين في الجمعية وعلى رأسهم الإمام وأمين الصندوق، ونائب رئيس الجمعية، ويستحسن أن تطلعوا مكتب الرابطة في الجابون القريبة منكم ليكون على علم بكيفية صرف المبلغ، وسوف نبلغه من جانبنا أن يتصل بكم، وإذا اقتضى الأمر سفره إليكم أمرناه بالسفر.

وقد شكروا ذلك، وتلعثم بعضهم لكونه لم يعرف ماذا يقوله تجاه تسلم هذا المبلغ الذي لا يحلمون بأنهم سيحصلون عليه.

ثم قلت لهم: إننا على ضوء حسن التصرف في هذا المبلغ سنبني علاقات رابطة العالم الإسلامي بكم في المستقبل، بحيث يمكن أن نرسل مساعدة أخرى للمسجد أو لغيره من المشروعات الإسلامية في هذه البلاد

إذا تيقـــنا من حسن صرف هذا المبلغ، وكذلك سيكون الأمر في التعامل مع الجمعية والقائمين عليها.



مع المسلمين في مقر الجمعية الإسلامية
في ساو تومي أثناء اعطائهم المساعدة

الشيك المقبور:

عندما تسلموا منا (الشيك) تراطنوا فيما بينهم، ثم أحضروا مسامير ومطـــرقة، فوضـــعوه فـــي مكتب عندهم أخذوا يسمرون عليه المكتب ويوثقون ذلك من أجل أن لا يمسه أحد حتى يأتي رئيس الجمعية ويجمع أعضاء الجمعية ليفكوا عنه المسامير، وقد قال أحد الحضور: إن هذا له بمثابة التابوت الذي يحفظ حتى الهواء عن الدخول.

ولم ينتظروا حتى نخرج من المكتب وإنما صاروا يتناوبون القرع على المكتب ودق المسامير التي وضعوها عليه بكثرة، بل بإسراف، مما جعلنا نطمئن إلى أنه سيصرف في مصرفه إن شاء الله.

وقد عزمت على أن أكتب للأخ (حبيب...) ابن رئيس جمهورية (ساو

تومـــي) الـــذي دخل في الإسلام، وأرسلنا إليه العام الماضي تذكرة ودعوة لأداء فريضـــة الحـــج ضـــيفاً على رابطة العالم الإسلامي، وذلك من أجل إخباره من جانبنا بهذا التبرع من الرابطة الذي لابد أن يبلغه بسرعة ولكننا سنطلب منه أن يشرف على كيفية صرفه للمسجد، وأن يخبرنا بذلك.

أن مـــثل هذه الساعات المؤثرة من فرح الإخوة المسلمين لمساعدة تأتيهم من مكة المكرمة هي ساعات مباركة وفقني الله تعالى لشهود عدد مـــنها، وكـــان أكثرها بسببي أو كنت حاملاً لها ولله الحمد، ولذلك سجلنا ذلك في صورتين معهم إحداهما كان فيها القاضي (أنطونيو) بجانبي لما ذكرته تشجيعاً له، وقد شجعناه أيضاً بما بلغنا عنه من العمل على تسجيل الجمعية الإسلامية، وتسهيل ذلك.

ثم نزلنا من الطابق الثاني لهذا المبنى الذي يعتبر عالياً بالنسبة إلى البيوت الإفريقية التقليدية في حي (أقو بوبو) هذا وفي أسفل المبنى محل تجـــاري كبير للأخ محمد ليما رئيس الجمعية، وهذا مفيد جداً لكون من يأتـــي إلى الجمعية يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام، ويعتزم الدخول فيه يجد رئيس الجمعية في متجره في اسفل المبنى.

إلى الشلال:

اطمأنـــنا على تسليم (الشيك) إلى الإخوة الذين أغلقوا أيضا الغرفة التـــي فيها المكتب الذي سمروه على (الشيك) حتى لا يفتح إلا بحضور الجميع على رأسهم رئيس الجمعية بدأنا جولة مهمة في ريف هذه البلاد (الساو تومية) تنتهي برؤية شلال في الجبال.

ونحـــب قل أن نبدأ الحديث عن الجولة أن نشرح معنى اسم (ساو تومـــي) وإن كـــان لا يحـــتاج إلى شرح في البلاد المسيحية، لأنه اسم

مسـيحي فمعناه: القديس تومي، فساو كما ينطق بها هي (سان) بالنون، ولكن البرتغاليين ينطقون بآخر هذه الكلمة وأمثالها مما ينتهي بالنون بواو فيها غنة بحيث يصح أن تكتب (سان) وأن تكتب (ساو) مثل (سان باولو) اسم المدينة الكبرى في البرازيل يكتبها بعض الكتاب العرب بالنون (سان بـاولو) وبعضهم بالواو (ساو باولو) ورأيي أن الصحيح هو بالنون لأن هـذا هـو أصل الكلمة وهي الكلمة التي تكتب بالإنكليزية (سانت) ولأن اللغـة البرتغالية تنطق بكلمة مماثلة في آخرها النون مثل أسماء البلدان اليابان يقولون (جاباو) والسودان (سوداو) فهل نكتبها مثلها؟

طـبعاً هـذا لا يجـوز وقد كتبتها (سان باولو) إلا أن الوضع هنا مختلف فاسم (ساو تومي) صار مسجلاً معروفاً بهذه الكيفية (ساو تومي)، وليس (سان تومي).

و(ساو تومي) اسم للعاصمة وللقطر مثل الجزائر والكويت وتونس، حيـث اسـم القطر هو اسم العاصمة، إلا أن الاسم الرسمي الكامل لهذه الـبلاد هو (ساو تومي وبرينسيب) وبرينسيب: جزيرة أصغر من (ساو تومـي) وأقل سكاناً إذ يبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ليس فيهم إلا مسـلم واحد معروف اسمه عثمان، وتبعد ٤٢ دقيقة من طيران الطائرة الصغيرة، أو ٩ ساعات بالقارب، وكان من المقرر أن تنزل طائرتنا فيها إلا أن الطـيار ألغـى النزول فيها بسبب عدم وجود إضاءة في مطارها حسب قوله- كما سبق.

ويـبلغ مجمـوع سكان (ساو تومي وبرينسيب) مائة وخمسة آلاف نسـمة وهذا قول المسؤولين فيها الآن، وإن كانت الإحصاءات الأجنبية السابقة لا تزيد عددهم على ٩٧ ألفاً.

ركبـــنا السيارة التي كانت معنا منذ أمس وهي سيارة خاصة ليست ســـيارة أجرة رسمية وعادة الناس هنا أن يؤجروا سياراتهم الخاصة كما يؤجـــر (التاكسي) وهي سيارة صغيرة جيدة سيأتي الحديث عن صاحبها ووالده فيما بعد.

ذهبنا مع طريق يبتعد عن المدينة جهة الغابات فكانت أولى الوقفات عند:

بوم بو:

ولعلك تذكر ما قلته عن ظهور جرس الكلمات الإفريقية عند هؤلاء القوم فـــ(بوم بو) مكان أي منطقة أو حي لولا أن البيوت السكنية لم تعمه كلـــه اسمه (بوم بو) والوقفة فيه ليس من أجل النطق باسمه أو من أجل رؤيـــة الأشـــجار الكثيفة التي تغطي البيوت السكنية فيه، وإنما من أجل ســـوق فـــيه اســـمه (سوق بوم بو)، وذلك لشراء بعض الموز الصغير السكري لكونه جيداً ولا يحتاج لغسل أو مؤونة في إعداده للأكل.



بيوت القرويين في ساو تومي

ويقــع فــي جــوف غابـــة استوائية كثيفة منازله من الخشب، ولبن الأسمنت والمعروضات في سوقه في غاية التقتير والقلة ولكن ثمنها كذلك، فقــد رأيــت الرأس مع الثوم الذي تسميه العامة عندنا (فص الثوم) إذا كان فــي مقدار التمرة الواحدة قسموه إلى أجزاء صغيرة بحيث يكون الجزء منه كالســنين أو الــثلاثة أسنان صغيرة، يكومونه هكذا منشوراً بعضه بجانب بعــض وهــو أقل من رأس واحد، ولكن ثمنه زهيد فهو مائة دوبرا، وذلك يساوي جزءاً من ٢٥ جزءاً من الدولار أي أربعة سنتيمات أمريكية.

وهكــذا في عدة أشياء مثل ثلاثة قرون من الباميا بـــ١٠٠ دوبرا، وقــرن فلفل صغير حار بهذا السعر، وقلما رأيت الكومة من الفلفل يزيد عددها عندهم على اثنين، ورأيت كومة من الطماطم غير الجيدة تسترعى الانتباه لكثرتها لا تزيد على ربع كيلو وعرفت أن صاحبتها سوف تفرقها إلــى أجــزاء بعــد ذلك وتبيعها، ورأيت عندهم نوعاً من الباذنجان غير معروف عندنا، وهو صغير ورديء خشن يبيعون الثلاث منه بمائة دوبرا.

وعلى هذا تقاس بقية الموجودات التي ليس فيها ما هو رخيص إلا المــوز الســكري الجيد يبيعون عشرة أصابع منه بأربعمائة دوبرا وهذا منتهى الرخص.

والبــيع هنا بالعد وبالجزاف، وكله يدل على الشح والتقتير، ويدل أيضــاً علــى أحد شيئين، فإما أن تكون المحصولات قليلة مع أن البلاد خضراء مطيرة، أو أن الناس ليست لديهم قدرة على شراء الشيء الكثير، وقد يكون الأمران مجتمعين.

ورأيــت زيت النخيل الذي يستعمل في الأدم في البلدان الاستوائية مــنوعاً يبيعونه في جرار صغيرة، والشيء الذي استرعى انتباهي وجود

طائفـــة من الرجال والشبان مجتمعين على شيء وهو يتكلمون بأصوات عالية فذهبت لأرى ذلك الشيء فإذا هو لعبة من لعب الأطفال التي يكون فيها رهان على شيء يسير.

وقفة في بيترو فايفا:

ســـرنا قلـــيلاً مع طريق جيد وسط غابات يظنها المرء خالية من البيوت لولا أنه يرى الملابس منشورة على جانبي الطريق فوق الارض لـــتجف، لأن أعشـــاب الأرض المتشـــابكة تمنعها من أن يمسها التراب وأردت أن أصور كومة من الثياب منشورة على أرض غير بالغة الكثرة من العشب فوقفنا في مكان اسمه: بترو فايفا لا يعدو أن يكون طريقاً في الغابـــة لولا هذه الثياب المنشورة على الأرض لتجف، وإذا بقوم يلتفون علينا فقلت في نفسي ما قال الأولون- وليس لنا مثل السوء- من فرصة اللـــص زحمـــة الطريق، واللص هنا هو المصوِّرة التي كانت بيد الأخ (حســـن فوابـــو) الـــذي كان يرافقنا في الجولة هو والأخ (محمد تانكرا) الهوساوي فطلبت منه أن يلتقط صورة مع بعضهم.

ومـــرت بنا أمرأتان خلاسيتان تبدوان في لون الأعراب غير أنه لا شيء يقربهما منهم إلا هذا اللون القمحي الباهت، ومن أهم المظاهر التي تبعدها عن الأعرابيات أن كل واحدة منهما قد حملت طفلها على ظهرها في خرقة محزومة بقوة. ولا أدري الذي جر الحديث هنا عن الولد، فقال الإخـــوان: إن الـــزواج هنا بالمعنى المفهوم عندنا نحن المسلمين، وعند المسيحيين المتمسكين أيضاً غير موجود، وإنما يحكم الأمر التعارف بين الرجل والمرأة.

ومضـــى الطـــريق حسناً قليل الحفر ولا عيب فيه إلاّ ضيقه قليلاً،

وفـــرق كبير بينه وبين الطرق التي تتخلل غابات غينيا الاستوائية، فتلك فاسدة الطرق.

و قـــد تراكم على الأفق سحاب استوائي ثقيل فدعوت الله تعالى أن يلجمه بلجام عن المطر حتى نعود للمدينة لئلا يفسد المطر علينا رحلتنا.

وأكثر الأشجار هنا ظهوراً وأجملها منظراً هي نخيل الزيت الناعمة التـــي لـــم يجعلهـــا ســـموقها في الجو تصاب بالنحول كما تفعل نخيل النارجـــيل، ولـــولا هذه الغابات المتراكمة حوله لذكرنا منظرها بمنظر نخيلنا الحبيب نخيل التمر والرطب.

وقـــد كثرت أشجار الموز الكبير الذي يستعملونه للطبخ ولا يصلح للأكل طازجاً استمرت رؤية الملابس المنشورة على الأرض في جانبي الطـــريق بدون أن يرى المرء منازل حولها فالمنازل داخل الغابة، وهي علـــى أيـــة حال منازل ليست كثيرة، ولا متراصة، لأن عدد السكان في البلاد قليل.



امرأة تحمل أشياءها بيديها وعلى رأسها في ريف ساو تومي

والشـــيء الـــذي لا يكـــاد يغيب عن النظر هو رؤية المشاة على الطريق من رجال ونساء، وليس على أي منهم لباس وطني خاص، وإنما هـــو اللـــباس الإفرنجي الذي صار غالباً، ولكنه هنا مخفف لا يزيد في الغالب عند من يتطلبون الوقار على تبان وهو السروال القصير وقميص قصـــير الكميـــن مفتوح الصدر وعلى أكثرهم لا يزيد على التبان وحده، وأمـــا النســـاء فقد تخففن مما فوق النصف الأعلى من الصدر وما تحت الركـــبة في قميص طويل واحد (فستان قصير) أو صدري وتحته فوطة قصـــيرة، ومع ذلك فإن المرء يشعر أنهن لا يشعرن أنهن بذلك يتبرجن، ولا يشـــعر الـــرجال فـــيما ظننـــت نحوهن بما يشعرون به نحو النساء المتبرجات في البلاد الشرقية الآسيوية.

الوجبة الرئيسية للشعب:

وفـــي هـــذا الجو الأخضر بل المطبق الخضرة يتساءل المرء عن الوجبة الرئيسية من طعام الشعب لينظر فيما إذا كان يمكن للبلاد أن تنتج ما يكفي منها غذاء لعامة الشعب عند الحاجة، وقال لي الإخوة أهل البلاد إن الوجـــبة الرئيســـية هي الموز المطبوخ وهو هنا كثير متوفر بأسعار مناســـبة، وذكـــروا أنواعـــاً أخرى من الغذاء من أهمها الكسافا، والذرة الحبشـــية ذات الحـــبوب الكبيرة التي ذكروا أنها تجنى مرتين في السنة، لكثرة الأمطار ومناسبة الجو لها.

ولما ذكرت لهم ما أعرفه من كون الكسافا غنياً بالنشويات، وليس فـــيه شـــيء من الزلاليات (البروتين) وأن الذي يقتصر على أكله وحده يصـــاب بســـوء التغذية، وإنما ينبغي أن يؤكل مع طعام غني بالزلاليات أجـــابوا بـــأن ذلـــك صـــحيح وإن السكان بطبيعتهم يدركون هذا ولذلك

يحرصـــون علـــى أن يـــأكلوا السمك الذي هو موجود هنا بكثرة، وكان رخيصاً في الماضي ولكن ارتفع سعره في الوقت الحاضر، ومع ذلك لا يزال متاحاً لأغلبية الشعب شراءه والتمتع بأكله.

ولا شك في أن البلاد تستطيع أن تصطاد مقادير كبيرة من السمك من شواطئها المديدة البعيدة عن التلوث ذات المسافات من المياه الضحلة، كذلـــك تســـتطيع أن تحصـــل على السمك من الأنهار الصغيرة والبرك والمستنقعات، ولكن الذي ينقص الشعب هو الخبرة والمران على العمل، وأهـــم من ذلك الشعور بالحاجة لمثل هذه الأمور، وعدم الحصول على التقنـــية الحديثة، وذكروا أن كيلو السمك الجيد يباع هنا بثلاثة دولارات أمريكية وهذا سعر لا يبعد كثيراً من أسعار السمك غير الممتاز عندنا.

قرية كروزيرو:

لا نـــزال نـــرى ونسمع في هذه الجزيرة ما يذكرنا ببلاد البرازيل العامرة زادها الله ازدهاراً، وزاد أهلها خيراً، فإنهم فيما علمت من خير أهـــل الكفـــر- إن كان في الكفر خياراً- والعرب يقولون: إن في الشر خياراً، يريدون بعض الشر أهون من بعض.

ومـــن ذلك اسم قرية مر بها طريقنا وهو (كروزيرو) الذي ذكرني بكلمـــة كانت تتردد في سمعي يومياً في البرازيل، وذلك بأن (كروزيرو) كـــان اســـم عملة البرازيل لسنوات طوال، فقد زرتها لأول مرة في عام ١٩٧٠م ثـــم آخـــر مرة عام ١٩٩٥م أي بعد ربع قرن من الأولى كان الكروزيرو هو عملتهم وإن كانت تخللت ذلك فترة كان (الكروزادو) هو اسم العملة، وقد غيروه الآن.

ومعـــنى (كروزيـــرو) صـــليبي- نســـبة إلى الصليب الذي يقدسه

المسيحيون، وبالفعل يسميه البرتغاليون (سانتا كروزيرو) وترجمتها: الصليب المقدسة لأن كلمة صليب في لغتهم مؤنثة غير مذكرة ولا غرو في وجود ما يذكر المرء هنا بالبرازيل وأهلها من مثل هذه الكلمة بجامع أن البلدين على تفاوتهما في أكثر الأشياء ومن أهمها مساحة الأرض كانا من المستعمرات البرتغالية.

ومن اللافت للنظر هنا أن أكثر المستعمرات البرتغالية التي زرتها في إفريقية مثل انقولا والرأس الأخضر وغينيا بيساو تتحدث لغة برتغالية كريولية ومعنى الكريول: المختلط، بخلاف (ساو تومي) هذه فإنها مثل البرازيل تتحدث اللغة البرتغالية المعتادة، وقد نفعتني في هذه البلاد كلمات وجمل تعلمتها من البرازيليين أثناء زياراتي لبلادهم.

وليس في قرية (كروزيرو) الساوتموية هذه ما يذكر بالبرازيل غير الاسم فهي صغيرة لاجئة في أحضان الغابات.

وبلدة ترينداد:

وهذا اسم خاص يذكر بالإسبان لا بالبرتغال، والبرتغال كما هو معروف كانوا يتكلمون مع الإسبان بلغة واحدة ثم استقلوا بلغة لهم خاصة، ولذلك كادت اللغتان تكونان لغة واحدة، وهما لغة واحدة في القديم، و(ترينداد) المشهورة بهذا الاسم هي جزيرة في البحر الكاريبي كانت مستعمرة إسبانية قبل أن تقع في أيدي البريطانيين فتصبح مستعمرة إنكليزية إلى أن نالت استقلالها.

واسم عاصمتها يدل على أصل تسميتها الإسبانية فهي: (بورت أوف اسبين) ومعناها باللغة الإنكليزية ميناء إسبانيا.

أما معنى لفظة ترينداد فإنه مأخوذ من التثليث في العقيدة الكاثوليكية

المشـــهورة والتثليـــث هو اللاهوت والناسوت والروح القدس، واللاهوت عندهم: الإله، والناسوت: الإنسان، والروح القدس: الملك.

وصـــلنا هنا إلى بلدة اسمها (ترينداد) ذكروا أنها المدينة الثانية في (ســاو تومـــي) واستتكثرت عليها اسم مدينة فأسميتها بلدة، وتعتبر بلدة برتغالـــية في (ساو تومي) بمعنى أن أكثر سكانها من البرتغاليين، وهذا كـــان في زمن الاستعمار، وقد اختلف الوضع الآن، فصار الأفارقة هم الأكثرية بين سكانها بعد أن رحل أكثر البرتغاليين.



في بلدة ترينداد على يساري الأخ محمد تانكو

وهي بلدة جميلة أبنيتها بالحجارة والإسمنت وشوارعها واسعة ذات أرصـــفة عريضـــة، ويسكن رئيس الجمهورية- في بعض الأحيان- في قصـــر علـــى ربـــوة عالية فيها، رأيناه غارقاً في أشجار الغابات رغم ارتفاعه، وفيها كنيسة مشرفة، أي عالية حسنة المظهر.

وذكر الإخوة المرافقون أن هذه البلدة ليس فيها مسلمون، ويأملون أن تصبح دار إسلام بعد ذلك، ورأيت فيها عدداً من الخلاسيين منهم خلاسيات حسنات المظهر.

ولا تبعد هذه البلدة عن العاصمة إلا مسافة ٧ كيلومترات، فالمسافات متقاربة، والسائق يسير الهوينا بسيارته، ونحن نشجعه على ذلك من أجل أن نرى المكان والسكان.

البرتغاليون في ساو تومي:

قلت: إن أكثرهم قد رحلوا، ولكن لا يزال يوجد منهم عدد قليل يعملون في التدريس، وخبراء ولكن بعدد محدود حتى قال بعضهم، إن عددهم لا يزيد إلا قليلاً عن المائتين.

وقد حدثني الأخ علي حسن... اللبناني أن البرتغاليين الموجودين في هذه البلاد ليسوا من رجال المال والأعمال ويظهر من حالهم كما لو كانوا لا يصلحون لذلك، ونحن لا نقول هذا، ولكن نقول: إن العرب الذين لقيتهم في سائر أنحاء البرازيل، وقد زرت أنحاءها كلها على وجه التقريب ذكروا كذلك أن البرتغاليين أقل اشتغالاً بالتجارة من الإسبان، وإن العرب أقدر منهم أي من الإسبان الذين هم أكثر اشتغالاً بالتجارة من البرتغاليين، وأن العرب لا تفوقهم أية طائفة من الناس هناك في ميدان التجارة والأعمال التجارية إلا اليهود.

هذا وقد بدأ الطريق في الصعود التدريجي بعد أن تركنا (تريندداد) وتكاثفت عليه الغابات التي كانت كثيفة أصلاً، وكثرت الأشجار المثمرة على الطريق، وكان أكثرها ظهوراً أشجار الكاكاو المعروف الذي يشرب كما تشرب القهوة والشاي، وهي أشجار تشبه على البعد أشجار الحمضيات لولا أن لها عروشاً في بعض الأحيان كعروش أشجار العنب، وورقها رقيق نوعاً.

قرية باتيبا:

وصلنا قرية صغيرة تبين أنها جزء من منطقة تسمى القرية والمنطقة باسم باتيبا على قارعة الطريق فيها أشجار القهوة والكاكاو والموز في غاية من الخصب والندى.

وجدت نفراً من الشبان في شارعها فوقفنا عندهم، وعاجلتهم بصورة لم أستأذنهم فيها لئلا يمتنعوا أو يتصنعوا للمصورة، فهاجوا وقالوا بين الجد والهزل: لماذا صورتنا؟ وجاء شرطي كان واقفاً بالمصادفة فقلت لهم صادقاً: لقد صورت الشارع، وكنت تعمدت أن تظهر صورتهم مع الشارع.

سألناهم عن سكان القرية، فقالوا: أتريد جميع سكان منطقة (باتيبا) قالوا ذلك وهم يشيرون بأيديهم ناحية اليمين والشمال: إن عددهم كثير يصل إلى مائتين، فعجبت من ذلك وقلت: يا سبحان الله، ما أعظم الفرق في السكان بين هذا المكان وبين الهند والصين، حيث لا تعتبر القرية التي يبلغ عدد السكان فيها (٥٠) ألفاً من القرى الكبرى.

وقد رأيت لافتة بالبرتغالية تشير إلى مكان يذهب إليه طريق في الغابة اسمه (كتاب) وهذا لفظ عربي ولكن المرافقين لم يعرفوه، ولم يعرفوا ما تدل عليه كلمة (كتاب) هذه.

هذا ومع الارتفاع التدريجي في المنطقة لطف الهواء قليلاً، وخفت رطوبته وكثرت الأشجار المثمرة، وبدأت أشجار الزهور وهي أشجار كثيرة ذات أوراق ملونة كلها هنا من اللون البرتقالي بحيث تبدو على البعد كأنها الزهور، وأشجار أخرى شبيهة بأشجار الجهنمية المزهرة، ولكن ألوانها ليست بالألوان الوردية كما هي عليه حالها في بلادنا.

والطريق جيدة السفلتة والصيانة، لا تدل حالتها على كونها في بلاد متأخرة.

القهوة والكاكاو:

يجمع بين القهوة والكاكاو أنهما مشروبان يشربان حارين، وذلك ما نعـــرفه في بلادنا، ولكن الشيء الذي ربما لا يعرفه بعض الناس هو أن المكـــان المناســـب لنموهما متقارب فكلتاهما تحتاج إلى جو رطب كثير الندى والامطار، أو لنقل أنه لا يصيبه السموم أبداً.

ولذلـــك أكـــثروا مـــن غرسها هنا، وحدث الأخوان (محمد تانكو) وحسن (فوابو) أن الحكومة تشجع زيادة إنتاج الكاكاو، وتسمح بأن يتاجر الأفراد به من أجل إشاعته بين الناس حتى يعرفوا أن البلاد تنتج مقادير كبـــيرة منه، فيقبلوا على شرائه، وتزيد من مساحات الأرض المزروعة مـــنه، بخلاف القهوة التي تحتكر الحكومة تصديرها والاتجار بها، ولا تسمح للتجار وأرباب الأموال الخاصة بذلك.



المؤلف عند شجرة القهوة في ساو تومي

قالوا: والأخ محمد ليما رئيس الجمعية الإسلامية وهو تاجر على جانب قليل من الثراء يتاجر بالكاكاو فيشتريه من المزارعين ويصدره إلى البلاد الأخرى مثل نيجيريا، وأحياناً يشتريه من ملاكه في الغابات ويبيعه في داخل البلاد للتجار الذين يصدرونه للخارج.

هذا وقد امتد الطريق وزاد وجود الأشجار المثمرة، وقل عليه وجود أشجار الغابات التي لا يستفاد منها إلا بالأخشاب، وإن كانت موجودة متشابكة في الأماكن البعيدة عن الطريق وهي الأماكن التي يصعب على عامة الناس قطع الأخشاب منها وإزالتها لتحل محلها أشجار الكاكاو والقهوة.

والأهالي موجودون هنا رغم ظهور منازلهم على الطريق الأعلى قلة، وهم يبدون في صحة جيدة ويوحي منظرهم بأنهم يتغذون بغذاء جيد، إلا أن أقل ما يحفلون به هو اللباس سواء منهم الرجال، والأطفال، ولاحظت أن أكثر الأطفال والشبان أجسامهم لامعة، وأعينهم صافية.

جبل القهوة:

وصلنا إلى لافتة كتب عليها (مونتي كافي) ومعناها: جبل القهوة لأن (مونتي) هي جبل، وكافي: قهوة.

وقلت للإخوة: إننا نريد أن نشرب من قهوة هذا الجبل، ولا نكتفي برؤيتها مغروسة نامية، فذكروا أن ذلك ممكن في فندق سياحي قرب الشلال.

وبرد الجو وطاب مع الارتفاع النسبي، قال الأخ محمد تانكو: لقد كنت أسير على قدمي في هذه الأماكن من أجل التجارة فأبيع وأشتري مع المواطنين، فذكرني ذلك بحال العرب اللبنانيين في البرازيل الذين كانوا يبدأون تجارتهم ببضائع يحملونها على أكتافهم يطوفون بها القرى

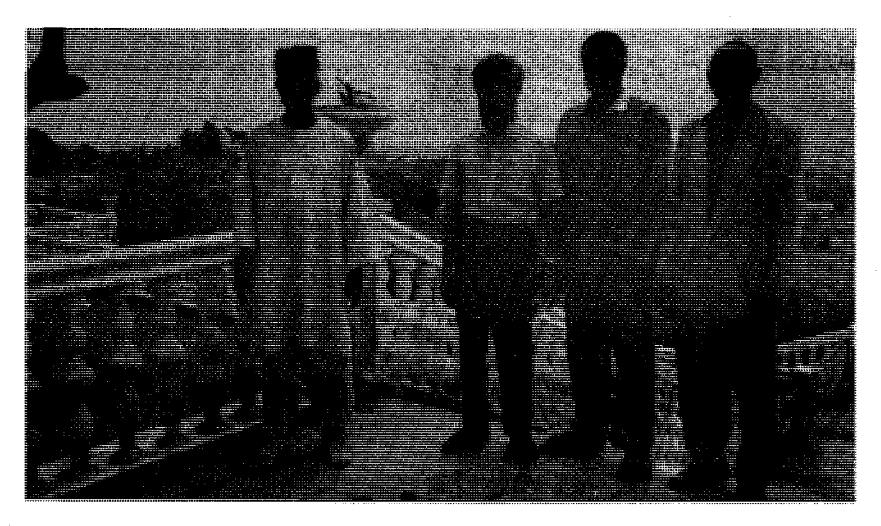
والأرياف يبيعون منها على السكان بالنقد والنسيئة، إلى أن يحصلوا رأس مال يكفي لفتح (دكان) ما يلبث في العادة أن يكبر ويصبح أكثر من (دكان)، وبعضهم يفضي به ذلك إلى أن يصبح مالكاً كبيراً من ملاك العقار في البلاد، وقد حدثني كثير من أهل البرازيل العرب بذلك، وذكرت شيئاً منه في الكتب التي ألفتها عن البرازيل وقد طبع منها عدة هي: (في غرب البرازيل)، و(على ضفاف الأمازون)، و(على أرض القهوة البرازيلية)، و(جنوب البرازيل) و(شرق البرازيل)، وبقيت كتب أكثر منها عدداً لم تطبع حتى الآن.

وقال الأخ (تانكو) ما قاله أهل البرازيل من باعة العرب: إن النساء يدفعن أكثر مما يدفعه الرجال لشراء البضاعة، وأنهن يدفعن ما عليهن كله إذا كان الدفع مؤجلاً، لا يبخسن منه شيئاً.

ومع هذا الخصب الظاهر وما يوحي به وجود الأشجار المثمرة المشهورة الشائعة الاستعمال كالقهوة والكاكاو فإن مظاهر الشقاء، وبخاصة شقاء النساء ظاهرة هنا في سيرهن على الطريق ماشيات وأحياناً بدون حذاء، والمراد به الحذاء السبتي الشبيه بالشبشب، وأما الحذاء الذي هو الخف فإنه يكاد يكون معدوماً في أرجلهن، لأن جو الغابة الندية لا يلائمه، وأثمانه ترهق جيوبهن.

وقل أن يرى المرء هنا امرأة منهن تمشي طليقة اليدين أو الظهر أو الرأس من حمل أو شيء يشغل ذلك.

وصلنا الفندق الذي يقع قرب الشلال ورأينا سياحاً أوروبيين يلتقطون صوراً تذكارية وصوراً لهذه المنطقة الخضراء من مكان مرتفع فيه.



في شرفة فندق المنظر الجميل في ساوتومي مع المرافقين

وقد بقيت حوالي ثلاثة كيلومترات على الوصول إلى الشلال، وقد انقطـــع الطريق المزفت حيث وقف عند الفندق الذي لم نقف عنده وإنما واصـــلنا سيرنا مع الطريق الطيني داخل غابة عذراء، لذلك لم تكن فيها أية شجرة مثمرة، وإنماهي أشجار الغابات، وقد اشتبكت أغصانها، لأنها كانـــت أشـــجاراً طويلة سامقة تحتها أشجار قصيرة ثم أعشاب، وأوراق شـــجر ساقط، وتحيط بالطريق تلال متدرجة الارتفاع لا يرى المرء لها تربة، وإنما يعرف أنها متدرجة من ارتفاع الأشجار، وفي الطريق زهور مغروسة وإن تكن قليلة التنوع.

وقد مررنا بمنطقة مظلمة من الغابة لأن الطريق تتعانق فيها فروع الأشـــجار وتتراكب حتى تمنع عنه ضوء الشمس، ومع أن الطريق ليس مزفتاً فإنه طيني مصون، بمعنى أن الحكومة تتعهده لذا وجدناه نظيفاً نقياً من فروع الأشجار أو كتل الطين الصغيرة.

شلال القديس:

مـــثلما كان اسم البلاد يدل على قديس عند البرتغاليين المستعمرين وهو (سان تومي) وجدناهم سموا هذا الشلال باسم قديس لهم أيضاً اسمه نيقولا فأسموه (كاسكا دي سان نيقولا) أي شلال القديس نيقولا. وذكرني هـــذا بطرفة نقلت عن الأعراب في أول عهدهم بالاستقرار والتدين على زمن الملك عبدالعزيز بن سعود رحمه الله وهو أنه أرسل إليهم مرشدين و(مطاوعـــة) فقـــال أحدهم للأعراب: لماذا لا تسألون عن أمور دينكم؟ فانـــتدب له أحـــد الأعراب قائلاً: أنا أسأل، أحسن الله أليك: (أم سالم قبل تجيـــب سالم وش اسمها)؟ وأم سالم: عصفور بري حسن التغريد يعرف بهذه الكنية (أم سالم) فكأنه يسأل عن اسمها قبل أن (يولد) لها سالم!

ولمـــا كان الشلال بارزاً واضحاً فلابد أن يكون له اسم قبل مجيء البرتغاليين للبلاد، وبعده بقليل عند المواطنين فما اسمه آنذاك؟

لـــم يعـــرف القوم له اسماً غير هذا الاسم البرتغالي، فقلت: إن الذي نعـــرفه أن البرتغالييـــن لـــم يجدوا في هذه الجزيرة سكاناً عندما اكتشفوها، وإنما وجدوها غابات عذراء ملتفة مثلها في ذلك مثل جزر الرأس الأخضر التـــي لـــم يجدوا فيها سكاناً، ولكنهم لم يجدوا فيها غابات لكونها صحراوية قاحلـــة، ممـــا أضطر البرتغاليين إلى إحضار طائفة من العبيد الأفارقة من مستعمراتهم إلى هذه الجزر لخدمتهم ومساعدتهم على عمارتها.

والشلال ليس عريضاً ولكنه غزيرالمياه وهو يتنزل من مكان فوق صخور مرتفعة، فيسقط محدثاً صوتاً جميلاً، وقد حفر حفرة عميقة على مـــر السنين مع أن الأرض التي يسقط عليها الماء الآن صخرية ويؤلف مجـــراه مـــبدأ نهر يسير إلى قرب العاصمة فترفده مسائل مياه صغيرة، وقـــال الأخ (محمد تانكو): إن هذا النهر يمر ببيتي، ولا ينتفع منه الناس

إلا بغسل الثياب ونحوها لأن المدينة تشرب من مياه نهر آخر اسمه (نابودو) وذكروا كثرة الأنهار في البلاد ولكنها صغيرة.

ومع جمال الموقع حتى لو لم يكن فيه شلال، هذا الشلال الذي تسقط فيه المياه محدثة صوتاً جميلاً في جريانها وفي سقوطها وفي الرذاذ المتطاير منها على هيئة ضباب يصافح الوجوه والأبدان بارداً لطيفاً في هذا الجو الحار الدائم الحرارة الذي يلف (ساو تومي) فإننا لم نر فيه أي متنزه أو متفرج ماعدا فرنسياً وزوجته جاءا بسيارة يظهر أنها مستأجرة وصورا بعض المناظر.

وقد استغربت فيما قل لي (محمد تانكو): إن آخر مرة رأى فيها هذا الشلال كانت قبل ست سنين وزاد استغرابي عندما قال حسن فوابو: إن هذه المرة الأولى التي أشاهد فيها هذا الشلال.

وهذا بلا شك يدل على الإمكانات المالية المحدودة للقوم لقلة السيارات المملوكة عند عامة الشعب ولعدم تنظيم رحلات لحافلات أو نحوها، وقد شغلت القوم هموم العيش عن التطلع لرؤية الشلال وأمثاله إضافة إلى الخمول الفني والفكري الذي يرزحون تحته.

وقال الأخوان محمد وحسن: نحن مشغولان بالدعوة والصلاة عن الذهاب لمثل هذا المكان، فقلت لهما: وبالتجارة أيضاً فقالا: وبالتجارة، لأنهما يعملانِ بالتجارة.

ولو كان في بلاد مثل بلادنا لاتخذه الناس مزاراً أو بمثابة المزار، ولغدا حديث السُمَّار، وربما نظمت فيه أشعار.

وعلى ذكر الفرنسي وزوجته اللذين يتنزهان أحب أن أقول إن اللغة الفرنسية شائعة في هذه البلاد أكثر من الإنكليزية رغم كون البلاد كانت مستعمرة برتغالية يفترض أن تكون اللغة البرتغالية فيها هي الأولى، وما عداها من اللغات

تكون حسب أهميتها، والإنكليزية أهم في المجال الدولي من الفرنسية.

وقفنا ملياً في جوانب عديدة نتأمل هذا الشلال الجميل الذي نراه يسقط من بين جذوع أشجار ضخمة من أشجار الغابة، وكأنه ينبع منها لكونه مرتفعاً عنها ولا نرى مجرى قبل سقوطه.

وتبدو مياهه الصافية الساقطة، وكأنما هي لصفائها ذوب الفضة أو الزجاج السائل الذي يجري، وقد ذكرني رذاذه عندما اقتربت منه برذاذ شلال آخر ولكنه عظيم بالنسبة إلى هذا الشلال مثل عظمة الأرض التي يسقط فيها من حيث الاتساع بالنسبة إلى اتساع أرض الشلال هذا، وهو شلال، بل شلالات في بلاد البرازيل يسميها البرازيليون (بلعوم الشيطان)، وذلك لكونها قوية الجرية تجتذب من يقترب منها عند مسقطها حتى يسقط من هذا الشلال فيموت فوراً، وذلك من ألوف الأطنان من المياه الساقطة من علٍ تقع فوقه كالمطارق الضخمة لقوتها.

وقد وصفت شلال البرازيل هذا في كتاب: (على أرض القهوة البرازيلية) المطبوع.

فندق المنظر الجميل:



ريف ساو تومي وبحرها، صورة من فندق المنظر الجميل الجبلي

شـــفينا النفس من رؤية الشلال والتقطنا الصور التي نريد التقاطها وعدنا مع طريق الغابة العذراء الذي هو جزء منها لم يصبه التحسين إلا بالتسوية وإبعاد العوائق منه ولما انقضت الغابة العذراء خرجنا منها إلى تلة يصعد إليها طريق مزفت لأن فيها فندق المنظر الجميل وحق لهم أن يسموه الرائع الجمال.

فقد كتبوا عليه اسمه بالبرتغالية (بوزادا دي بوا فيستا) وهو يستحق هـــذا الاسم بحق لأنه مبني على تلة عالية خضراء تشرف على الغابات تحـــتها إلـــى أن تنقطع في شاطئ البحر، ثم يبدأ منظر البحر جميلاً جداً لأنـــه لازوردي ناصع لكون المياه ضحلة صافية ثم بعد ذلك ماء البحر الأزرق المعتاد.

ودخلـــنا إلـــى الفندق الجميل ذي المنظر البديع، وجلسنا في قاعته المكـــيفة فشـــربنا القهوة من أشجار (جبل القهوة) الذي يقع فيه الفندق، والتقطت صورة للمنطقة من داخل القاعة التي يفصل بينها وبين الخارج حـــائط زجاجـــي صافٍ، ولم أر من الجالسين في قاعة الفندق من غير البيض أحداً إلا من كانوا معنا.

ثم انحدرنا من جبل القهوة عائدين إلى المدينة، ورأيت بيوتاً شعبية عندها رجل جالس نصف عريان، ودجاجاً سارباً، وملابس منشورة على الأرض وماعـــزاً سميناً عجبت من كونهم لم يزيدوا في عدده ما دام أنه يصير سميناً هكذا، ولا يحتاجون للإنفاق على علفه، وله سوق رائجة في البلاد، وإذا زاد شيء منه عن حاجتهم أمكن تصديره للبلاد القريبة منهم ذات الكثافة السكانية مثل الكاميرون ونيجيريا.

زوجات المسيحيين:

عاد الحديث إلى زواج المسيحيين الكاثوليكيين هنا فذكر الإخوة أن سائق سيارتنا هو أحد الأبناء الكثر لرجل إفريقي مسيحي له ٢٠ زوجة وله منهن ٤٣ ولداً ما بين ذكر وأنثى أحدهم سائق سيارتنا، وذكروا أن والده غني، ولذلك اشترى له هذه السيارة ليتعيش منها لأنه لا يرثه لكونه من زوجة لا تعترف بها الكنيسة، فالكنسية تعترف بالزوجة الأولى والأولاد منها، أولاد قانونيون، وأما الزوجات الأخريات فالمجتمع يعترف بهن زوجات للرجل، ولا أحد ينكر عليه ولا عليهن ذلك، ولكن القانون لا يعترف لأولادهن بصفة البنوة القانونية لذلك لا يورثهم.

وكرر الإخوة بأن هؤلاء الزوجات العشرين مسيحيات مثل الزوج، وأهلهن الذين زوجوه بهن يعرفون ذلك، ومع ذلك أقدموا على إتمام هذا الزواج العلني ولم تمنعهم مسيحيتهم منه.

ولا يوجد الآن وثنيون في البلاد، بل الكل مسيحيون، فقد أدخلهم البرتغاليون كلهم إلى المسيحية.

والغريب أنهم ذكروا أن المسيحي من الوطنيين الذين يتزوج بأكثر من واحدة يذهب معهن إلى الكنيسة بهذا الاعتبار أي باعتبارهن زوجات له، ولا يعترض أهل الكنيسة على ذلك.

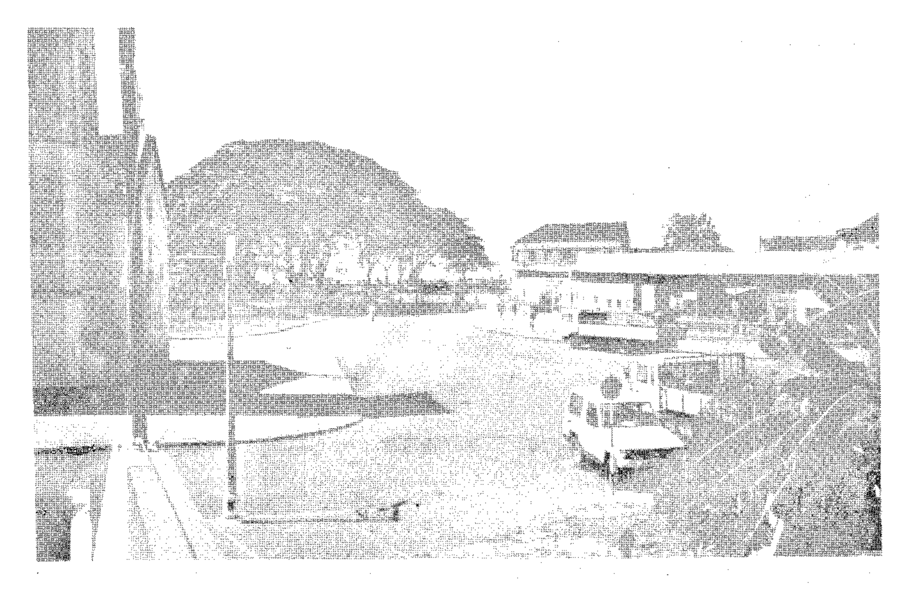
وسألتهم عن مثل هذا الرجل، ذي الزوجات الكثيرات هل يطمئن إلى أنهن في مجتمعهم المفتوح لا يقربهن غيره من الرجال، فأجابوا إنه لا يكون في العادة على علم بمن يخالفنه إلى غيره من الرجال، وإذا عرف عاقبهن وعاقب الرجل إذا كان ذا نفوذ، ولكن الجميع يعلمون هنا أن بقاء أمثالهن على هذا الزوج الكثير الزوجات أمر بعيد وعسير.

واسم السائق صاحب السيارة وابن ذي العشرين زوجة (أولابو تريرا).

وجولة في العاصمة:

عدنا إلى الفندق فاسترحنا فيه حتى الرابعة عصراً حيث حضر إلينا الإخوة محمد تانكو وحسن فوابو وأمين صندوق الجمعية الإسلامية الأخ (عمر كان) فذهبنا بالسيارة التي كانت معنا منذ الأمس، وصاحبها ابن ذي العشرين زوجة ومعنا أيضاً سيارة الأخ (عمر كان) التي هي أشبه بسيارة الجيب وهو الوحيد بين الإخوة زعماء المسلمين هنا الذي حضر بسيارة.

وكان ذلك من أجل القيام بصحبتهم بجولة على مدينة (ساو تومي) العاصمة، فكان أول ما أشاروا إليه البنك المركزي للدولة، وهو في مبنى تنقصه الفخامة والاتساع مع أنه بالنسبة إلى هذه البلاد مثل مؤسسة النقد بالنسبة إلينا، ويذكر أن عملتهم الوطنية وهي (الدوبرا) تباع في السوق السودا بأقل من قيمتها الرسمية التي حددها البنك المركزي بحوالي ١٥٪..



ضاحية في مدينة ساو تومي

ثم سلكنا شارع البحر المسمى في مصر بشارع الكورنيش، وهو الذي يحاذي البحر، وعطفنا عطفة قصيرة فمررنا بمبنى المحكمة العليا وهو صغير غير لائق بالنسبة لما نعرفه عن مباني المحاكم المهمة في بلادنا العربية، وتقع المحكمة بجانب القصر الجمهوري الذي مررنا به أمس.

الحزب الذي تخلى عنه الرئيس:

سرنا مع شوارع المدينة الواسعة الجيدة، ولاسيما بالنسبة إلى المدن في غينيا الاستوائية، فمررنا ببيت الحزب الحاكم، وهو الذي رشح رئيس الجمهورية الحالي وهو الرئيس ميقيل تروفادا ودعمه في الانتخاب لأنه حزبه واسمه: (ب، س، د) وهذه رموز لبارتي ساو تومي، ديمقرتيك ومعناه حزب ساو تومي الديمقراطي، ولكن الرئيس هجره منذ أن نجح في الانتخابات على اعتبار أنه صار رئيساً للشعب كله، ولا يليق أن يحكم باسم الحزب عندهم.

وفي البلاد خمسة أحزاب أو أربعة أخرى مع حزب الرئيس ليس من بينها حزب شيوعي.

ثم مررنا بالميناء وأصر القوم على رؤيته وهو صغير والبواخر فيه محدودة، والتقطنا صورة تذكارية مع الأخ (عمر كان) فيه.

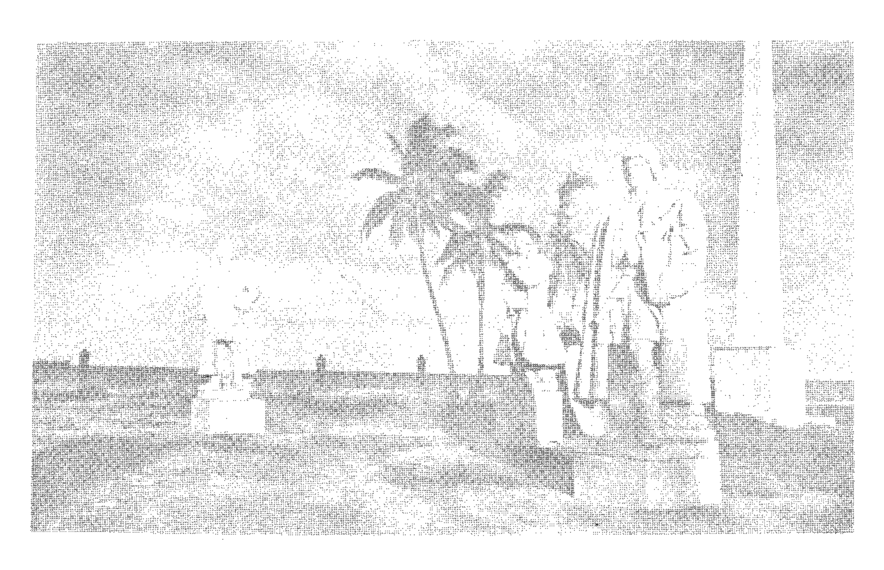
المتحف وتماثيل المكتشفين:

كان هدفنا هو دخول المتحف الوطني ورؤية محتوياته التي تدل على تاريخ البلاد، وتقاليدها، ولكننا وجدناه مغلقاً، ربما كان ذلك لكون اليوم هو الأحد، كذا قالوا مع أن المعروف أن المتاحف والمكتبات تفتح في أيام العطل الرسمية حتى تتاح الفرصة للعاملين في الأيام المعتادة أن يدخلوها.

ويقـــع المـــتحف على ساحل شرقي من المدينة وإلى الجنوب منه مســـاحة مكشوفة واسعة أقام البرتغاليون فيها تماثيل لثلاثة برتغاليين هم الذين اكتشفوا الجزيرة حينما وصلوا إليها قبل أي رجل آخر من البيض، وربما من غيرهم أيضاً.

وذلـــك قـــبل ٥٤٠ ســـنة كما هو مكتوب جاءوا إليها بسفينتهم من الكامـــرون فوجدوها خالية من السكان ليس فيها إلا الغابات، وليس فيها من الأشجار المثمرة المعروفة شيء.

وقد ذكر البرتغاليون أنهم وجدوا (ساو تومي) خالية، ولكنهم وجدوا فـــي الجزيرة الأخرى التي تؤلف معها الآن دولة وهي (برينسيب) سكاناً قلة من الإفريقيين، وربما كان سبب ذلك هو قرب برينسيب من الساحل الإفريقي بالنسبة إلى موقع (ساو تومي)، وهذا يوحي للأفارقة من السكان بأنهم أيضاً غرباء أو لنقل إنهم وافدون إلى الجزيرة مثلهم مثل البرتغاليين ما دامت الجزيرة خالية عندما وصلها البرتغال.



تماثيل المكتشفين البرتغاليين لجزيرة ساو تومي

وقـــد التقطـــت صورة لتماثيل أولئك المكتشفين، ولكن لم يكن في الوقت متسع ولا هناك وسيلة لمعرفة تاريخ اكتشافهم بالتفصيل إلا فيما لو كان المتحف مفتوحاً.

ويقع المتحف وما حوله في حاشية المدينة التي يبدو أن نمو العمارة فـــيها بطـــيء لأن الســـكان من الأفارقة غادروها أو غادرها أكثرهم، والأفارقة الذين يتكاثرون أكثر من الأوروبيين لا يستطيعون بناء المساكن الأسمنتية الحديثة المكلفة.

وعلـــى الساحل من جهة المدينة أشجار عالية من النارجيل النحيل، والنارجـــيلة كابـــن أدم الطويل كلما طال عمرها أصابها النحول إلا ما يتعلق بفرعها وهو أعلاها الذي فيه العسب والثمرة، فإن حالته ترجع إلى الجـــو الـــذي تعيش فيه الشجرة، فإن كان قريباً من البحر وكثير المطر والرطوبة كان فرعها كثاً واسعاً وإلا كان بخلاف ذلك.

ومررنا ببيت قال المرافقون: إن رئيس البرتغال كان قد سجن فيه حيث نفي من البرتغال، ولكنهم لم يعرفوا عنه أكثر من ذلك، و(قاتل الله الجهل).

ولكـــنهم عـــرفوا أن البرتغاليـــن هـــم الذيـــن أحضروا الأشجار والمزروعات النافعة إلى الجزيرة مثل النارجيل والموز.

الحديقة العامة:

تتمـــيز (ساو تومي) على غينيا الاستوائية بأشياء عديدة من أهمها العناية بالمرافق العامة، ومنها الحدائق، مع أن اتخاذ الحدائق في مثل هذه الأجـــواء الاســـتوائية المطيرة لا يكلف شيئاً لأنها تشرب من ماء السماء الذي يهطل عليها طيلة السنة.

وهذه الحديقة جيدة، وأمامها حديقة أخرى يسمونـها حديقة الزهور،

وحقها أن تكون الزهور فيها أكثر، وأن تكون أنواعها أظهر، ولكنها كلها نضرة جميلة المنظر.

والسجن العام:

مـــررنا بمبنى نوهوا بأنه مقر القيادة العامة للشرطة، ورأينا طائفة من رجال الأمن فيه وأمامه في الشارع، وكنا عرفنا منهم أن حالة الأمن هنا جيدة، وإن الانتهاب والاغتصاب معدوم، ولذلك عجبت حينما أشاروا إلـــى مبـــنى له فـــناء واســـع ذو أسوار عالية بالنسبة إلى أسوار الأبنية الأخـــرى التـــي غالباً ما تكون قصيرة رمزية، وقالوا: إنه السجن العام، ولكنهم سارعوا إلى القول بأنه لا يوجد فيه سجناء سياسيون، وإنما معظم الســـجناء هم من القتلة أو من سراق المواشي، أو من الذين اعتدوا على غيرهم بضرب أو أذى بسبب خصومة أو الاختلاف على حدود المزارع.

وجـــرائم القـــتل موجودة، وذكروا أنها غير قليلة، وربما كان من أسباب ذلك ما أخبرونا به أنه ليس عندهم عقوبة للقاتل بالقتل الذي يسمى (الإعدام) وإنما يسجنون القاتل ٢٨ سنة.

ولـــم نقف عند الشرطة ولا السجن، وإنما واصلنا تجوالنا في البلدة التي كنا رأينا بعضها من قبل لصغرها وإن كانت تشغل مساحة متسعة، فالبيوت فيها متفرقة، وليس فيها بيوت متلاصقة كالتي تكون عندنا.

ورأيـــت كومة من الأخشاب الضخمة، بل الهائلة الضخامة ذكروا أنهم أحضروها من الغابة من أجل استعمالها في صناعة الأثاث الخشبي الـــذي يصـــنع في المدينة، ولا أدري صحة ذلك إلا إذا كان على نطاق ضـــيق أو كانوا يصدرونه إلى الخارج لأن المدينة صغيرة والسكان في القطـــر كلـــه عددهم قليل، ومستوى حياتهم متدن، بحيث تكون حاجاتهم

للأثاث محدودة، وقدرتهم على شرائه أقل.

وقصدنا معهم مقر الجمعية الإسلامية لإحضار الختم وورقاً رسمياً من الجمعية لأننا سوف نعطيهم مساعدة رمزية للمسلمين الجدد هي ألف دولار أمريكية كانت بقيت معنا من مبلغ أحضرته معي من الرابطة وصرفته كله ولم يبق منه إلا ألف دولار، ولو كان بقي أكثر من ذلك لآثرناهم به لحاجتهم إليه، وقد احضروا ذلك إلى الفندق فسلمناه لهم بحضور المسئولين عن الجمعية ومنهم (سارة) زوجة رئيس الجمعية الأخ (محمد ليما).

وواعدنا الإخوة الحضور غداً لمعرفة موعد قيام الطائرة التي سنسافر معها إلى دوالا، والغريب أنه لا أحد يعرف موعد قيام الطائرة التي تتبع شركة (ايرافييرا فريك) وهي الشركة نفسها التي جئنا معها، وقد عودتنا التجربة ألا نعتمد على قول أحد من المواطنين فيما يتعلق بمواعيد الطائرات ولا حتى بوجود الرحلات، لأن معظمهم لا يعرف ذلك لكونه لا يقدر على السفر المتكرر، إضافة إلى كونها تتبع شركات صغيرة لا تضبط مواعيدها ضبطاً محكماً.

يوم الاثنين: ٢٠/١١/١٤١٦هـ - ٨/٤/١٩٩٦م:

مغادرة ساو تومي:

هـذا اليوم هو يوم مغادرتنا (ساو تومي) كما هو مقرر غير أننا لا نعـرف مـتى يكون ذلك، وكان همنا الأول معرفة موعد قيام الطائرة، وتصوير السندات التي أعطيناهم بموجبها المساعدة حتى تكون لديهم منها صور لتوثيق المبالغ بتحديدها.

وجـاء الإخـوة فـي الثامنة وقد صوروا المستندات، إلا أنهم لم يعرفوا موعـد إقلاع الطائرة لأن مكتب الشركة التي تعود إليها لا يزال مغلقاً، وربما لا يفتح في هذا الضحى لأنه توجد رحلة تشغل الموظفين كلهم فيه عن فتحه.

وقـد دفعـنا للفـندق أجره (٦٠) دولاراً للغرفة لليلة الواحدة دون إضافات من خدمة أو نحوها.

خرجنا إلى المطار بعيد الثامنة، وكانت هذه فرصة لرؤية الطريق فـي النور إذ كان قدومنا معه ليلاً ولم نستطع تمييز المناظر فيه، ويسير معظمـه محاذياً لشاطئ البحر الذي هو رملي جيد، وبعد طريق الشاطئ الـذي هـو طريق المطار تبدأ الغابات الخضر الملتفة في منظر جميل، لاسيما أن النظافة جيدة في كل موقع، بخلاف بعض المدن المهملة التي يكون طريق المطار فيها معرضاً أو كالمعرض لهياكل السيارات الخربة، ولغيرها من النفايات الثقيلة والخفيفة.

ولكننـي فوجئـت حيـن وصـلت المطـار فوجدت في داخله هيكل طائرتين مروحيتين كبيرتين، وهما مهملان خاليان حتى من أبواب النوافذ، وأمـا المـراوح فإنهـا باقية، وما أدري لم لم يصلحوا هذين الهيكلين الذين يشبهان الهيكل العظمي للإنسان أو يبعدونهما كما تقـبر جثـة الميت إن

لم يستطيعوا الانتفاع بما فيهما من معدن.

ووجدنا مبنى المطار ومرافقه في النهار أحسن منها في الليل رغم أنهـــا كانت حسنة، إلا أن قاعة الشرف أو (الصالون) كما يسمونها كانت مغلقـــة فسمحوا لنا لسماحتهم بأن ندخل نحن ومرافقونا الثلاثة إلى قاعة المغـــادرة قـــبل أن نجري أي أجراء في تذاكرنا لأن فيها مقاعد بخلاف قاعة الترحيل فليس فيها أي مقعد.

ووجدنا حمام المطار نظيفاً بل ممتازاً أحسن كثيراً من مثيلاته في مطـــارات الدول الإفريقية الكبيرة كالسنغال ودوالا وساحل العاج، بل إنه مثل الحمامات في مطارات الدولة المتقدمة.

وأخـــبرنا لحســـن حظـــنا أن الطائرة ستصل في التاسعة والنصف ففرحنا لذلك طلبنا من الإخوة المودعين الانصراف لأعمالهم بعد أن كانوا أتموا إجراءات سفرنا فامتنعوا.

ووصـــلت الطائـــرة فـــي التاسعة والنصف وكان قائدها هو أخانا وصـــديقنا المســـلم (عـــبدالقادر تانكرا) ففرحنا بذلك حتى يساعدنا على إجـــراءات سفرنا من دوالا إلى داكار، حيث أمتعتنا مشحونة إلى (دوالا) ولا يـــثق المرء بهذه المطارات، فيطلب أن ترحل أمتعته إلى المطارات التي بعدها لأنها قد تضيع أو تسرق أثناء ذلك.

وفي العاشرة والربع طلبوا من الركاب الخروج إلى الطائرة فودعنا الإخوة الكرام (محمد تانكو) و(حسن فوابو) و(عمر كان) وكلهم أعضاء فاعلون في الجمعية الإسلامية وصعدنا للطائرة التي هي من طراز داش ٨ كســـابقتها، وقـــد امتلأت مقاعدها الـــ٣٧ بركاب هم من جملتهم من السياح البيض ذوي المظهر الأوروبي وقد يكون فيهم بعض الأمريكيين،

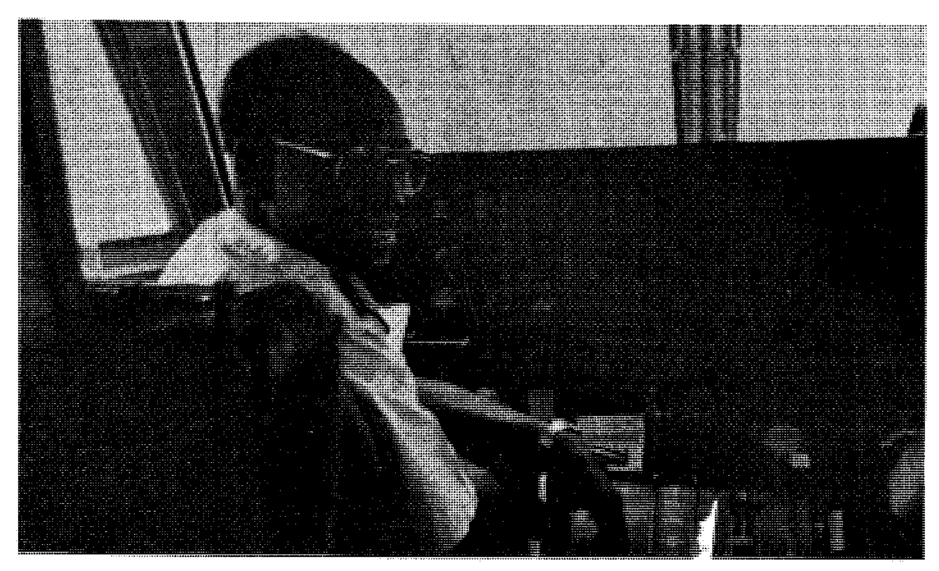
ومـــن الغريـــب أن هؤلاء السياح معهم أطفالهم وفي هذا الجو الإفريقي الغريب عنهم، إلا إذا كانوا جاءوا من بلاد إفريقية قريبة لقضاء الإجازة أو لمجرد السياحة، وما أظن إلا أنهم جاءوا من بلادهم الأصلية وتجشموا مشقة السفر للسياحة على ما يترتب عليها من نفقة وتعب.

ومن الأشياء الجيدة في هذه الطائرة أن التكييف فيها جيد نفعنا بعد هذا الجو الرطب الثقيل وإن كان أقل رطوبة وثقلاً من (مالابو).

والطـــيارة ذات محركيـــن مروحيين تابعة لشركة (إير افيرافريك) وهي شركة إفريقية محلية، وفيها مضيفان فتى وفتاة من السود.

نهضت الطائرة من مطار (ساو تومي) مع مدرج تحيط به أعشاب غـــير كثيفة ولا متشابكة كمطارات غينيا الاستوائية، وربما كانوا كافحوا كـــثافة العشـــب فقصوه، أو أساموه الماشية، وذلك في العاشرة والنصف وأعلنـــت المضـــيفة أن المســـافة إلى (مالابو) عاصمة غينيا الاستوائية ستستغرق ٥٥ دقيقة، وبهذا عرفنا أن الطائرة لن تهبط في مطار برنسيب الجزيرة الثانية في دولة (ساو تومي وبرنسيب) والتي تنزل فيها الطائرة إذا كان معها ركاب إليها وتتركها إذا أرادت.

ويقـــع المطاران على ساحل البحر مثل كل المطارات التي ركبنا مـــنها في المنطقة ابتداء من دكار حتى (مالابو) ودوالا، فصارت تطير فـــوق مـــياهه اللازوردية الضحلة، وهي ذات صفاء عجيب، حتى إنني صـــرت أرى من الطائرة الأشجار في قاع البحر وما فيها من حجارة أو نحوهـــا ولـــو كانت فيها أسماك كبيرة لرأيتها لأنها صافية، والطائرة لم ترتفع بعد.



قائد الطائرة المسلم عبدالقادر تانكرا

في مقعد القيادة بين ساو تومي وغينيا الإستوائية

ولم تسارع الطائرة في الارتفاع فوق البحر لأنه لا عوائق تجبرها علـــى الارتفاع، إضافة إلى أنها طائرة صغيرة فتمتعت برؤية قاع البحر مـــن الطائرة لفترة، ثم وصلت الطائرة إلى رأس من الأرض داخل في الـــبحر يصب فيه نهر كدر المياه حتى إنه كدر صفاء مياه البحر أو لنقل إنـــه لوثهـــا لمســـافة داخـــل الـــبحر الضحل إلى أن تغلب عليها البحر فاحتضنها، وعادت مياهه عندها صافية ذات لون بين الزرقة والخضرة، إلا أن الطائـــرة آخذة الآن في الابتعاد عن المياه الضحلة والشواطئ وما تتلقاه من اليابسة من أكدار أو حتى أقذار، وصار البحر تحتها أزرق قاتم الزرقة إذ كنا في جواء مياهٍ عميقة.

فوق برنسيب:

مـــا كان لي أن اخصص عنواناً لرؤية هذه الجزيرة من الجو لو لا أنها الجزيرة الثانية في الدولة ومهمة لصغر الدولة مع أن سكانها لا يزيد عددهم عن خمسة آلاف نسمة ليس فيهم إلا مسلم واحد اسمه عثمان، ولا

يعــرف الإخوة المسلمون هنا بقية اسمه، ربما لثقتهم بكونه لا يشتبه بغيره، إذْ لا يوجد فيها مسلم أخر، فضلاً عن أن يكون فيها (عثمان) آخر.

ولكــن المفرح أنهم ذكروا أن عثمان البرنيسبي هذا هو من أنشط المســلمين في الدعوة حتى إنه خصص أكثر وقته للدعوة إلى الله مع أنه يعانـــي مــن نقــص فـــي جسمه أظنه قالوا إنه أعرج وإنه مسلم جديد، ويرجون أن تستمر أعماله وجهوده إسلامياً في هذه الجزيرة.

فــبعد ٢٥ دقــيقة من الطيران لمحنا على البعد جزيرة (برنسيب) فرأيــناها كلها كأنها بساط أخضر غير متساوي الأطراف يلفه شيء من السواد وسط بساط البحر الأزرق الداكن.

وقــد توارد إلى ذهني مناظر جزر تؤلف دولاً وهي كلها قاصيها ودانــيها ترى من الجو مع شواطئها البحرية، ومن ذلك جزيرة قبرص، أذكــر أننـــي في عام ١٩٧١م أي منذ ربع قرن بالضبط كنت راكباً من جنــيف إلى بيروت مع شركة الخطوط اللبنانية المسماة بالشرق الأوسط فمررنا بقبرص التي كتبتها بالصاد جرياً على المألوف وإلا فإن عربيتها الصــحيحة كمــا رســمها أســلافنا العرب هي (قبرس) بالسين فأشار قائد الطائــرة بأنــنا نمــر بهــا، فرايتها من نهاية ارتفاع الطائرة صغيرة غير متساوية الشكل ولكنها كلها ترى من الطائرة حتى تخشى أن يبتلعها البحر، وكذلك جزيرة موريشوس في بحر الزنج المسمى بالمحيط الهندي وتقع إلى الشرق من مدغشقر التي تقع إلى الشرق من ساحل إفريقية الشرقي.

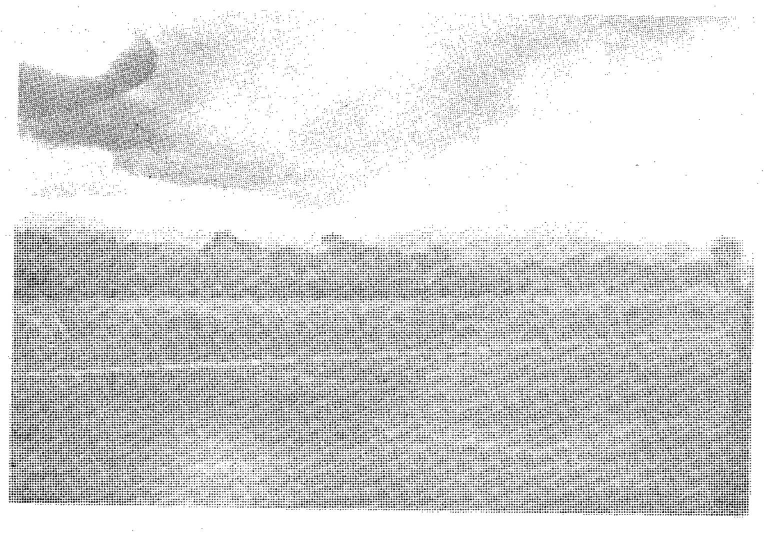
هــذا وكــان الطيران هادئاً رغم صغر هذه الطائرة لأنه كله فوق ســطح الــبحر، وقد قدموا ضيافة جيدة هي قرص من الخبز وكأس من الشاي أو الشراب البارد.

هــذا وقــد جــاءت المضيفة تقول: إن الطيار يدعوكما إلى غرفة القــيادة، وهذا مجاملة منه جزاه الله خيراً، وسلمت عليه في مقعد القيادة مع مساعد له إفريقي بجانبه، إلا أنني لم أر مقعداً لشخص إضافي لضيق المكان فشكرته وعدت إلى مقعدي في الطائرة بعد أن التقطت له صورة وهو على مقعد القيادة.

لــم نتبين شيئاً من معالم جزيرة (برنسيب) إلا شيئاً معروفاً مألوفاً فــي هــذه المنطقة وهو الخضرة الشديدة وإلى جانبها الشواطئ الرملية الجيدة كما تبدو من ارتفاع الطائرة.

في مطار مالابو- كرة أخرى:

قربنا من مطار (مالابو) فرأينا في البحر باخرة كبيرة، ربما كانت متجهة إلى الكاميرون وجزيرة خضراء صغيرة تبدو كالخيمة الخضراء في البحر، وبجانبها جزيرة لا يزال البحر في مخاضها ولم تولد بعد، إذْ يشرف سطحها على البروز من سطح البحر ولكنه لم يفعل



منطقة مطار مالابو من الجو

وبـــدت جزيرة (بيوكو) التي عاصمتها مالابو متسعة ولكنها خالية مـــن الســـكان لا يرى المرء فيها إلا الغابات الكثيفة، وذلك لكونها قليلة القـــرى والـــتجمعات الســـكنية، ومنازلها خشبية تقليدية لاطئة بالأرض تغطيها أشجار الغابة الكثيفة إذا وجدت تلك البيوت.

وهبطـــت الطائرة في الحادية عشرة و٣٥ دقيقة بعد طيران استمر ساعة وخمس دقائق في مطار (مالابو) الذي لم نشتق إليه لما عانيناه منه مـــن صعوبة عند الدخول ثم من اضطراب مواعيد الطائرات واختلاطها وأحياناً إلغائها وعدم وجودها.

نـــزل أكثر الأوربيين من الطائرة لأنها وقفت قرب المبنى الصغير الحقـــير، فقـــد جمع الصغر إلى الرداءة ولم أنزل وإنما وقفت عند باب الطائـــرة من الداخل ومصورتي بيدي ولكن سائحة أوروبية أسرعت إليّ تقول: لا تصور هنا (مالابو) إنهم لا يسمحون بالتصوير، ولم أكن بحاجة لتصوير المطار أو ما حوله لأنني عرفته حق المعرفة.

العودة إلى مطار دوالا:

نزل ركاب وصعد غيرهم، وفي كلتا الحالتين كانت مقاعد الطائرة كلهـــا مشغولة، فأقلعت في الثانية عشرة وعشر دقائق بوقت ساو تومي وهي الواحدة وعشر دقائق بوقت مالابو ودوالا.

وذكـــر وصولنا إلى دوالا ثم مغادرتنا منها بعد ساعات إلى داكار عاصمة السنغال في كتاب (العودة إلى غرب إفريقية) ولله الحمد.

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) فـي جـنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتـي فـي إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظـرة فـي شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بيـن غينـيا بيسـاو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) مـن أنقـولا إلـى الـرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظـرة فـي وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظـــرة إلـــى الفلبيـــن بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظـــرة إلـــى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصـــى جـــزر المحـــيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقلـــيما ســـمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) فـــي إندونيســـيا أكـــبر بـــلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قريـــنادا وسانتالوســـيا ودومنـــيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مـــع العمـــل الإســـلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) فـــي جـــنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شــمال شــرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريــا ومقدونــيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيلــيز والســلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العــودة إلــى مــا وراء الــنهر) جولــة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (علــى ســقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإســلام والمســلمون فــي غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بــلاد العربــية الضــائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتــبار فــي الســفر إلــى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكــريات مــن خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتـــي مـــن السـفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشــرقين رحلــة حــول العــالم وحديــث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامــة بجــنوب الفلبيــن لحضــور الاحــتفال بافتــتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى.

(٩٢) رحلــة هونــغ كونــغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض.

(٩٦) إقلـيم أورنــبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٧) إلـــى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشـرق الشـمالي مـن البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية).

(٩٩) مـن غينـيا الإسـتوائية إلـى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية (وهو هذا الكتاب).

(١٠٠) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠١) معجـم بـلاد القصـيم (فـي ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٢) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٣) الأمـثال العامـية فـي نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٤) كـتاب الـثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٥) نفحـات مـن السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٠٦) مـأثورات شـعبية- نشـرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٧) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٠٨) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٠٩) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١٠) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١١) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٢) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٣) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٤) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١١٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١١٦) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١١٧) الدعـــاة إلـــى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـــ.

(١١٨) واجـــب المســـلم فـــي بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠ هـــ/٢٠٠٠م.

(١١٩) (العـــالم الإســـلامي: واقـــع وتوقعـــات) نشـــرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـــ منها.

(١٢٠) الدعـــوة الإســـلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م.

(١٢١) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م.

(١٢٢) فـــي لغتـــنا الدارجـــة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٣) حكايـــات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـــ.

(١٢٤) أثـــر الأقلـــيات المســـلمة فـــي الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م.

(١٢٥) الكـــناية والمجـــاز فـــي اللغـــة العامـــية، نشـــرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـــ.

(١٢٦) أماكـــن قديمـــة العمـــارة فـــي القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

الفهرس